



خصصنا قسم مقالات الراحلين لهذا العدد لفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي بمناسبة ذكرى وفاته

محمد

السنة الرابعة العدد ٤٠

النصري

ربيع الأول ١٤٤٧هـ - سبتمبر ٢٠٢٥م

رئيس التحرير
أ. محمد الهادي

رئيس الرقعة
د. محمد الصغير

مجلة أنصار النبي ﷺ

الهيئة العالمية
لأنصار النبي ﷺ
International Organization Of Supporters Of The Prophet



تصدر عن

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصره النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصره النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصره النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهوداً علمياً وفكرياً لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمانية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصره النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد

٤٥

ميلاده ﷺ إيذاناً برفع الظلم
د. حسين عبد العال

٥٢

المسلمون الجدد.. سفراء للإسلام
عماد إبراهيم

٦٥

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٣/١)
د. إياد محمود

٧٣

العظمة النبوية في التواصل والإقناع (٢)
د. محمود عبد الغفار

٨١

الأدب مع النبي ﷺ منهاج حياة
أ.د. قيس عبدالعزيز الدوري

٩

الافتتاحية: عبقرية القرضاوي
د. محمد الصغير

١٥

ماذا غير ٧ أكتوبر؟
محمد إلهامي

٢٤

أهل غزوة.. يستعملهم الله
محمد محمد الأسطل

٣٢

﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾
عبد القادر مهدي أبو سنيح

٣٨

آيات النصر بعظيم الصبر (٢/٢)
الشيخ حسن الخطيب

بصيرة كيف أسلما

سؤال قادمي للإسلام!
رومان ديني

٩٠

من الغناء في الكنيسة إلى الإسلام!
لورين دوتشي

٩٥

ركام أزال غشاوة قلبي
أليو لوانغا

١٠٠

سفراء النبي

مقالات سفراء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

حوار مع النائب يوسف عجيسة الجزائري
م. خالد بن سليمان الأحمر الأنصاري

١٠٦

سيد قطب في ظلال القرآن (٢)
أ.د. خير الدين خوجة الكوسوفي

١٣٦

أديان باطلة (٢)
فرج كُندي

١٤٢

أئمة الهدى

مع زيات العلماء والدعاة والشهداء الراحلين

ذكرى مولد الرسول ﷺ
د. يوسف القرضاوي

١٥٨

لماذا يغلي الشباب المسلم؟
د. يوسف القرضاوي

١٦٧

هذا.. هو عدونا
د. يوسف القرضاوي

١٧٨

كيف نحارب إسرائيل؟
د. يوسف القرضاوي

١٨٨

الإمام المجدد يوسف القرضاوي
القائد الشهيد إسماعيل هنية

١٩٦

الصادعون لمحرم

مهر نرات العلماء والدعاة الأسرى

٢١٧

مواقف لا تُنسى
د. صلاح سلطان

فداك نفسي يا رسول الله!
إبراهيم السكران

٢٠٥

٢٢٤

القرضاوي والسياسة والتطبيع
عبد الرحمن يوسف القرضاوي

المولد النبوي وذكرى الثورة
أنس السلطان

٢١٤

المنصفون

مهر نرات غير الساعية الذم به انصفوا النبي

٢٤٠

الأكاذيب الغريبة حول النبي الصادق
هنري دي كاستري

آخر أيام النبي
ول ديورانت

٢٣٣

بريد القراء

مساهمة خاصة لقطالات قراء المجلة الكرام

كيف أشرق الأمة بعد غروب؟
علي جاد المولى

٢٥٤

🔥 ترحب مجلة « **الأنصار** » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

❶ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمتة والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

❷ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

❸ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

♦♦ تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

♦♦ ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com

بشرى
للأمة الإسلامية

أول مركز إلكتروني مستقل للفقوى الشرعية

مركز أنصار النبی
للفقوی والإرشاد
"دار الافتاء الإلكتروني"



أهداف المركز:



نشر
الوعي الديني
الصحيح

04



مواجهة
الفتاوى
المشوهة

03



سرعة
الرد
على الفتاوى

02



تسهيل
الوصول للفتوى
الموثوقة

01

مركز



القبلة الخضراء
لحفظ السنة النبوية

المشرف العام على المركز:

أحمد الحسني الشنقيطي

للتسجيل





البشارة الشهرية

اغسطس 2025

عدد الأحاديث
التي تم حفظها 3700

260+

عدد الطلاب
الجدد الملتحقين





د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الافتتاحية.. عبقرية القرضاوي

✽ في يوم الاثنين ٣٠ صفر ١٤٤٤هـ الموافق ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٢م تُوِّفِي فضيلة الإمام يوسف القرضاوي، عن عمر ناهز ٩٦ عاماً، ودفن في الدوحة عاصمة قطر التي هاجر إليها عام ١٩٦١م، ومن بركات الهجرة ما تيسر لنا من نعمة القرب من الشيخ، والتعرف على ملامح العبقرية في شخصيته بالنظر إليها من جوانبها المختلفة، وليس الجانب العلمي والمعرفي فقط، وعلاقة الشيخ مع قطر حكماً وشعباً تُعد من النماذج الفريدة في التاريخ المعاصر، وجديرة بالكتابة المستقلة عنها.





تعددت جوانب العبقرية عند الشيخ يوسف القرضاوي، في الوقت الذي يصنف فيه الشخص في عداد العباقرة إذا ظهرت عليه مخايل العبقرية في مجال واحد، ويندر أن يجتمع في إنسان أكثر من جانب من جوانب العبقرية، فهناك عبقرية القيادة والسياسة،

وعبقرية الفنون والآداب، وعبقرية المهن والمهارات، إلى غير ذلك من وديان العبقرية المختلفة، وهنا تكمن اختلاف عبقرية الشيخ القرضاوي عن غيره، حيث حصل قُصْبُ السبق في مجالات متعددة.

ولو قارنا بين القرضاوي وبين طبقة العباقرة من شيوخه الذين عاش وفياً للتلمذة عليهم، ستجد الفرق جلياً واضحاً؛ فمنهم من كانت عبقريته تربوية دعوية، أو فقهية أصولية، أو بلاغية أدبية، وقد استجمع الشيخ القرضاوي كل ذلك وزيادة؛ فقد كانت له عبقرية إعلامية، وقدرة على إنشاء المؤسسات العالمية ورعاية المشاريع الكبرى، مع القلم السيل في الكتابة والتأليف حيث بلغت موسوعة القرضاوي أكثر من مائة مجلد، ومجموع ما كتبه بخط يده في هذه المؤلفات بلغ قرابة ٤٥ ألف صحيفة، مع الحفاظ على الواجبات الاجتماعية والصلوات الممتدة.

ولا يشغله ذلك عن متابعة الشأن العام والاهتمام بقضايا المسلمين، وجدد الشيخ القرضاوي صورة أفراد من العلماء هم من كتبوا تاريخ زمانهم ووجهوا بوصلته، وكانوا عنواناً لعصورهم ورموزاً

في باقي العصور، كحجة الإسلام أبي حامد الغزالي في زمنه، وشيخ الإسلام ابن تيمية في عصره، وعندما يكتب تاريخ حقبتنا المنصفون، وتختفي عداوات المستبدين والشائئين لن يزاحم القرضاوي أحد من علماء عصره، وسيبقى بينه وبينهم رتوة.

❁ وما يضاف إلى جوانب العبقرية في شخصيته، أن جمع بين الغزالي وابن تيمية في جبة واحدة، وتمذهب بالحنفية والشافعية في آن واحد، وكان إذا سُئل عن مذهبه قال «حنفشي» ثم أصبح له اجتهاده الخاص فيما تطلبه عصره وزمانه.

مع مشاركة الشيخ



القرضاوي وحسن استثماره للوقت، كان مفتوحاً عليه منفوحاً ببركة العمر، وكأن الساعات تطول له وتتسع لينجز فيها ما يريد، حتى حوّل الأشياء إلى أضدادها

كما فعل في رحلات السفر، حيث كان رحمه الله كثير الأسفار فجاب القارات كلها داعياً ومبشراً، حتى لُقّب بالفقيه الطائر، ومعلوم أن السفر يقطع العمل وينافي الاستقرار، وتتغير فيه العادات والأحوال، حتى أن الشارع الحكيم رخص في ترك الصيام المفروض وقصر الصلاة الرباعية، ومع ذلك فقد جعل الشيخ القرضاوي رحلات السفر أوقات إنجاز لما تراكم من العمل.

❁ كانت عادة الشيخ يوسف القرضاوي استقبال الضيوف قبل صلاة الظهر، وبعد الصلاة يُعرض عليه الإيجاز الصحفي من أعضاء مكتبه، ثم يطلب من أحد الضيوف موعظة وتذكرة، أو بيان حال المسلمين في البلد التي وفد منها، وفي آخر الزيارات سأله عن العلم الذي فاته وندم عليه؟ فقال: «تعلّم اللغة الإنجليزية لأنها الأكثر انتشاراً، ولا ينبغي للداعية أن يحصر دعوته في لغة واحدة».

أما عند سؤاله عن الأمنيات فقال: «أن تُترجم كتيبي إلى اللغة الأردنية»، فقلنا له: كان حديثنا عن الإنجليزية! فقال: «إنني هنا أبحث عن الأجر والثواب، وأكثر من ثلث المسلمين يتكلمون الأردية».

﴿ وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر ﴾



تكرر هذا المثل بلسان الحال والمقال كثيراً مع طوفان الأقصى المبارك، حيث كان فضيلة الشيخ القرضاوي المرجعية العلمية والتربوية للمجاهدين في فلسطين، وكان القائد خالد مشعل يقول في مجلسه رداً على ما يبيده الشيخ من حفاوة وإكرام، وإحاطة الجميع بالتفقد والاهتمام: «سنشعر بمبراة اليتيم بعد شيخنا أبي محمد».

ورأيت الشيخ يطرب لمناداته بكنيته المجردة، على

عادة أهل الشام الكبير!

✍ إذا ذكرت أعمال القرضاوي ومؤلفاته، ذكر عمدتها وأشهرها: كتاب «فقه الزكاة»، الذي عكف عليه الشيخ تسع سنوات، وهناك ما أنجزه من كتبه في أسابيع، لكن من بركات الطوفان الممتد أنه

أظهر للواجهة سفير الشيخ العظيم: «**فقه الجهاد**»، وهو في مجلدين كبيرين، أصل فيه القواعد وردّ الشبه والزوائد، وقدم زاداً وملاذاً للمجاهدين الصادقين، الذين تتناوشهم سهام المغرضين المفرطين «**المدخلية**»، وحراب الغلاة الضالين «**الدواعش**».

✍️ وكان رحمه الله على منهجه في الوسطية والاعتدال، وكنا كلما اشتدت الحرب وحمي الوطيس، وجدناه رافعاً للواء وحاملاً الراية، ولا يخلو زمن من قائم لله بحجة، ويوجد من إخوانه وطلابه من يجتهدون -مجتمعين- لسد الثغرة الواسعة وملء الفراغ الكبير، لكن هذا الطراز من الأئمة الموسوعيين إذا أقل نجم الواحد منهم لا يبرز في سماء أخرى، إلا مع جيل جديد، إذا حانت مرحلة التجديد.

وختاماً.. كان التواضع عند الشيخ القرضاوي عادة وسجية، طبعاً وليس تكلفاً، وكل من اقترب منه رأى من ذلك عجباً، وعنده في ذلك ما يرويه، ومن بصمات الشيخ التي عمّت الآفاق، برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة، والذي توقف في سنوات الشيخ الأخيرة، لكن إدارة القناة رأت عودته يومياً في رمضان، فوجهت في حلقتي رسالة شكر وعرفان لشيخنا صاحب السنة ورمز البرنامج، وأرسلتها له وفاء وامتناناً، وهاتفته بعدها قائلاً: هل رأيتم المقطع يا مولانا الشيخ؟ فقال: «**مقطع إيه... أنا شوفت الحلقة كلها!**»



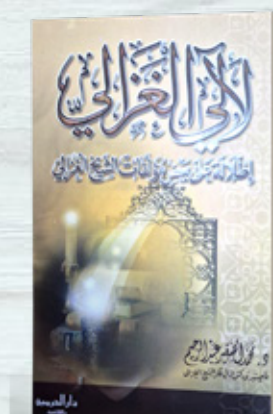
✿ وعملاً بسنة طلاب العلم في نقل علوم مشايخهم وتبليغها للناس فقد وفقني الله تعالى لاختصار كتاب «**فقه الزكاة**»، ثم ترجمته للغة التركية، ونعمل الآن على ترجمته إلى الإنجليزية والأردية، كما أنني بدأت في اختصار كتاب «**فقه الجهاد**» وفاء للشيخ المؤلف، ومؤازرة لرجال الطوفان المبارك.

رحم الله شيخنا الإمام الجليل، ونصر إخواننا المجاهدين والمرابطين!



مؤلفات

الدكتور محمد الصغير





محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

ماذا كان يمكن أن يفعل الفلسطينيون غير ٧ أكتوبر؟

يندهش العرب والمسلمون دهشة شديدة من هذه الدهشة الشديدة التي يبدئها الغربيون -الأوروبيون والأمريكان- إزاء حدث السابع من أكتوبر. كأن هذا الحادث شيء لا يمكن تفسيره، بينما يبدو مثل هذا الحادث شيئاً متوقعاً لأي إنسان يقرأ التاريخ أو يقرأ الواقع؟! 





ربما تكون الدهشة حقيقية إزاء الجراءة التي أبدأها المقاتلون في قطاع غزة، وإزاء قدرتهم على تنفيذ هجوم بهذا الاتساع في ظل فارق هائل بين قدراتهم التقنية وبين القدرات الإسرائيلية، لكن هذا جزء في تفصيلي لا يتعلق بتفسير الحدث وفلسفته، بل يتعلق بإجراءاته وأدواته، بمعنى أنه إذا أخفق المقاتلون من غزة في هجومهم هذا تماماً، فلن يكون المدهش هنا هو: لماذا فعلوا هذا وأقدموا على هذا الهجوم الانتحاري؟

إن العالم كله -بخلاف الغربيين بالطبع- يفهم تماماً لماذا قام المقاتلون في غزة بهجوم السابع من أكتوبر، بل الواقع أن هذا الهجوم كان متوقعاً تماماً، بل لم يكن يمكن توقع شيء آخر، فهذا هو منطق التاريخ، ومنطق الطبيعة البشرية، ومنطق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، ومنطق الصراع حين لا يمكن حله بالوسائل السلمية، ومنطق كل إنسان متدين حين يرى مقدساته الدينية واقعة تحت التهديد. إن كل شيء كان يقول: سيقع مثل هذا الحادث، إن لم يكن في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، فربما في الثامن من نوفمبر ٢٠٢٤م، أو في التاسع من ديسمبر ٢٠٢٥م، أو في أي تاريخ آخر.

«التاريخ لم يبدأ في ٧ أكتوبر»



هذه هي الجملة الأشهر المتداولة في الإعلام الغربي على لسان المتحدثين المتفهمين لهذا الحادث، تبدو جملة بديهية وطبيعية ومفهومة، لكن تكرارها وشهرتها وتداولها يدل في الحقيقة على أذن غربية صماء وعلى عقل غربي مصمت لا يريد أن يسمع ولا أن يفهم. نعم، التاريخ لم يبدأ في ٧ أكتوبر، فلماذا يحاول الغربيون تجاهل التاريخ!



✍️ إسرائيل كان لم يكن موجوداً قبل ١٩٤٨م، مؤسسو إسرائيل أنفسهم كانوا يحملون جوازات سفر كُتب عليها أنهم من «فلسطين»، العملات النقدية التي لا تزال موجودة ويمكن ببساطة البحث عن صورها على الإنترنت مكتوب عليها «فلسطين»، طابور من الأدلة لا يمكن دحضه، أي كتاب قد صدر قبل ١٩٤٨، أو أي أطلس للخرائط لا يكتب فيه شيء عن «دولة إسرائيل»، بما في ذلك الخرائط الغربية نفسها!

فما الذي حدث إذن؟!



الانتداب البريطاني على فلسطين

الذي حدث بكل وضوح أن الاحتلال الغربي، البريطاني تحديداً، سيطر على هذه المنطقة وقرر أن يمنحها لليهود، في تجاهل تام لكون هذه الأرض يحيا عليها شعب آخر عريق لم ينقطع وجوده منذ بدأ التاريخ المعروف. وإذن، كيف برر الغربيون ذلك؟ ببساطة شديدة اعتبرهم (تشرشل) مجرد حيوانات، وقال مقولته الشهيرة: «إن الحظيرة لن تكون أبداً ملكاً للثور لأنه نام فيها طويلاً»!

✿ تفاصيل كثيرة يعرفها المؤرخون والباحثون، بمن في ذلك المؤرخون الإسرائيليون، خلاصتها: جرى تهجير وإبادة عدد من القرى والمدن الفلسطينية، والإتيان بأفواج وأفواج من المهاجرين اليهود من كل بلاد العالم، وقبل نهاية المشهد كان لا بد من غطاء قانوني لهذه العملية الإبادية الإحلالية، فخرج قرار تقسيم فلسطين من الأمم المتحدة، ليكون أول قرار فريد من نوعه يتحكم في مصير شعب، وينشئ دولة غربية على أرضه، دون الرجوع إليه ولا استفتائه ولا معرفة رأيه!



ميليشيات يهودية في دير ياسين ١٩٤٨

وهكذا جاء شعب آخر، غُرس في هذه الأرض بقوة السلاح، بعد سلسلة من المذابح المشهورة، ثم بعد حرب هزلية خاضتها قوات عربية محدودة كانت واقعة تحت الاحتلال البريطاني نفسه، بقيادات عسكرية بريطانية، لتثبيت قرار إنشاء الدولة اليهودية.

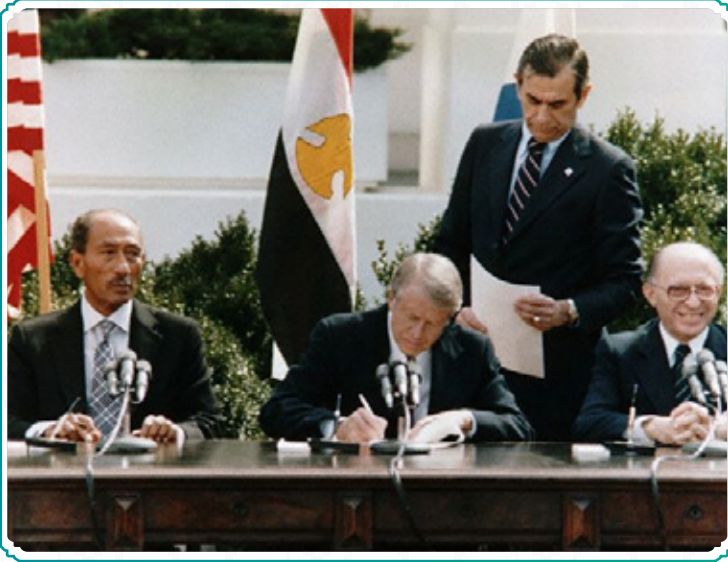
حسنًا.. فماذا حصل بعدها؟!

حتى الآن، وربما هذه معلومة لا يعرفها الغربيون، لا تعترف إسرائيل بحدودها، بل -ويا للطرافة- ترسم على علمها وتكتب في وثائقها ويتكلم الكثير من المسؤولين فيها بأن حدودها تمتد من النيل إلى الفرات! أي أن حدود ١٩٤٨م، لم تكن إلا قطعة الأرض الأولى التي ستوسع منها الدولة.

❁ لا يعرف الغربيون أيضاً -فيما عدا الباحثين والمؤرخين- أن إسرائيل لم تُهاجم أبداً من قبل أي دولة عربية، إن طبيعة الأنظمة العربية من جهة، وطبيعة الدعم الغربي المتدفق دائماً من جهة أخرى، كان يجعل إسرائيل دائماً في موقع الهجوم والاستيلاء على الأرض. ويمكن لأي قارئ لا يصدق أن يرجع إلى أرشيف الأمم المتحدة، ويمسك بأي تقرير لتقصي الحقائق عن الحروقات لخطوط الهدنة بين الدول العربية وإسرائيل، وسيرى ذلك بنفسه!

بعد نحو عشرين عاماً من التأسيس جاء التوسع الثاني؛ في ١٩٦٧م احتلت إسرائيل سائر فلسطين التي لم يكن بقي منها حينئذ إلا قطاع غزة (تحت الإدارة المصرية) والضفة الغربية (تحت السيادة

الأردنية)، وشبه جزيرة سيناء المصرية، وهضبة الجولان السورية. وجاء توسع ثالث في ١٩٨٢ لتحتل إسرائيل الجنوب اللبناني، ولا تزال بعض المناطق اللبنانية خاضعة للاحتلال.



✽ استطاع المصريون شنّ هجوم مفاجئ في ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، ثم مدوا أيديهم بالسلام، ووقعوا اتفاقية السلام (١٩٧٩م)، ولم يحصلوا على كامل أرضهم إلا بعد عشر سنوات في (١٩٨٩م) بعد مفاوضات مضنية وتحكيم دولي، وتنازلوا عن بعض أرضهم مثل قرية أم الرشراش، وعن سيادتهم على

أراضٍ أخرى متاخمة لإسرائيل (في نسختها التوسعية الثانية). كذلك تنازل الأردنيون عن الضفة الغربية (١٩٨٨م)، ووقعوا اتفاقية سلام أخرى (١٩٩٤م)، وما زال السوريون لم يسترجعوا أرضهم حتى هذه اللحظة!

✽ يجب ملاحظة أن الأرض الفلسطينية تحتوي على مقدسات إسلامية ومسيحية تهم الجميع، ولئن كان المسيحيون الغربيون قد تخلوا عن مقدساتهم فيما يبدو، فهذا الأمر لم يفعله المسلمون حتى الآن. في الواقع لدى الغربيين نفاق فظيع فيما يخص إسرائيل تجعلنا في العالم العربي نرى إسرائيل كنسخة أخرى من الممالك الصليبية في القرون الوسطى، بل أسوأ، لأن إسرائيل تعتدي بالفعل على المقدسات المسيحية دون أن يهتم الغربيون لهذا كثيراً.

ليس هذا موضوعنا الآن، ولكن: الفلسطيني الذي يريد تحرير أرضه، كما هي طبيعة كل إنسان يقع تحت الاحتلال، لا بد له أن يقاوم، حتى لو كانت مقاومته هذه تبدو عبثية وغير ذات فائدة، هذا

هو الأمر الذي فعلته كل الشعوب عبر التاريخ. ليس شيئاً عجيباً ولا غير متوقع! يعرف من قرأ التاريخ أن الاحتلال الإحلالي الإبادي الذي يريد سحق شعب وإسكان آخر مكانه، إما أن ينجح في الإبادة (كما فعل الأوروبيون في الأمريكتين وأستراليا) أو سيبقى يواجه موجات متجددة من المقاومة، مثلها أخفق نفس هؤلاء الأوروبيون في سائر المناطق الأخرى عبر العالم واضطروا إلى تصفية الاستعمار والبحث عن بدائل أخرى توفر لهم الهيمنة دون الوجود العسكري والحكم المباشر. كما هو الحال الآن!

✽ في أواخر الثمانينات من القرن الماضي انطلقت انتفاضة شعبية، تبدو عبثية تماماً، ماذا يفعل شعب ليس عنده إلا الحجارة أمام دولة إسرائيل المدججة بالسلاح، يمكن للقارئ أن يبحث قليلاً في الإنترنت ليرى كيف



كان الجنود يُمسكون الفلسطيني فيكسرون ذراعه لئلا يلقي بالحجارة مرة أخرى! سيرى خلال بحثه كيف أن المرأة العجوز تحمل طفلاً صغيراً بيدها اليسرى وتلقي الحجارة بيدها اليمنى! يبدو المشهد عبثاً حقاً، حتى إن كثيراً من جنود الاحتلال الإسرائيلي كان يطلق النار ثم يضحك عائداً لرفاقه!

✍ غير أن هذه الانتفاضة، لأنها تنسجم مع الدين والتاريخ والطبيعة البشرية، كانت واسعة وشاملة ومفاجئة، سرعان ما تطورت إلى عمليات -تبدو عبثية أيضاً- للرمي بالمقلاع والطعن بالسكين ووضع الحجارة في طريق مدرعات الاحتلال. ساعته فكر الإسرائيليون والغربيون في امتصاص هذه الانتفاضة عبر تكوين سلطة فلسطينية، تتولى هي تأمين المناطق الفلسطينية في غزة والضفة الغربية،

التأمين هنا بمعنى حماية الاحتلال، وتتولى إدارة الشؤون اليومية لهؤلاء، هذا هو الذي يُعرف باتفاق أوصلو. فرض على الفلسطينيين تأمين إسرائيل مقابل مفاوضات مفتوحة لم تنجح أبداً!



سار ياسر عرفات في هذا المسار عشر سنين، ولم يحقق شيئاً، بل الأغرب، أن الحكومة الإسرائيلية التي تأتي بها الانتخابات كانت تملك أن توقف مسار المفاوضات أو تلغيه، وبالفعل: قدم عرفات كل ما يمكن تقديمه لإيهود باراك في كامب ديفيد الثانية (٢٠٠٠م)، ولكن باراك لم يُرضه هذا. وفشلت المفاوضات. ومنذ ذلك الوقت كانت الحكومات الإسرائيلية ضد فكرة الدولة الفلسطينية أساساً!

قُتل عرفات بالسّم في (٢٠٠٤م)، ولم يستفد عرفات أي مكسب من القمع الذي سلطه على الفلسطينيين لتأمين إسرائيل، وجيء بعده بمحمود عباس الذي يبدو أكثر «مرونة» واستعداداً للتنازل عن أي شيء، لكن محمود عباس لم يجد أبداً أي شريك للتفاوض، مع أنه منذ عشرين سنة يعمل بكفاءة تامة في قمع الفلسطينيين ومطاردة من يريد مقاومة إسرائيل، وتعمل أجهزة الأمن الفلسطينية بكفاءة نادرة في التعاون مع الأجهزة الإسرائيلية، وكثيراً ما جرى تسليم فلسطينيين لإسرائيل، أو قتلهم تحت التعذيب في سجون السلطة الفلسطينية!

❀ لكن عباساً كان يريد أن يحوز نوعاً من الشرعية، فأجريت انتخابات فلسطينية - برضا إسرائيلي - (٢٠٠٦م) غير أنها جاءت بمفاجأة صاعقة: لقد فازت حركة حماس في الانتخابات. وساعتها حدث

مشهد جديد لم يكن يتوقعه أي مراقب في العالم: الغرب الذي يعتنق دين الديمقراطية رفض الاعتراف بالانتخابات النزيهة، وقرر مقاطعة الحكومة المنتخبة وفرض حصاراً على فلسطين.

✽ حاول المهزومون في الانتخابات اغتيال الفائزين بها، نفذت السلطة حركة انفلات أمني واسعة، ولكن حركة حماس -القوية في غزة- استطاعت صد الأجهزة الأمنية في غزة عن محاولاتها، فقرر محمود عباس الانقلاب على الانتخابات فحلّ الحكومة المنتخبة وانفرد بحكم الضفة الغربية.

ومنذ ذلك الوقت (٢٠٠٧م) وحتى (٢٠٢٣م) عاشت غزة تحت حكم حماس حصاراً هائلاً أدى لكثير من الوفيات فضلاً عن الحياة التي لا تطاق، لقد كانت أكبر سجن في العالم.



✍️ وفوق ذلك، حكومة نتنياهو التي يعاد انتخابها دائماً، تخطط لكثير من الإجراءات التي تهود المسجد الأقصى وتقرر اقتراب البدء بهدمه، وتسمح للمستوطنين والجماعات الدينية المتطرفة بتنفيذ طقوس شعائرية تشي بقرب تحطيمه!

إن كنت أنت مكان الفلسطيني، بالذات لو كنت في غزة، أخبرني إذن.. ماذا كنت ستفعل؟!

ماذا ستفعل، وقد فشلت محاولات السلام، فشلت المفاوضات، انسحبت الدول العربية الداعمة من

المعركة، يقترب هدم المسجد الأقصى، تعيش في حصار لا نهاية له!!

إن كان لديك جواب غير السابع من أكتوبر.. تفضل أخبرنا به!

مؤلفات

أ. محمد إلهامي



لتحميل المؤلفات اضغط هنا



الشيخ محمد بن محمد الأسطل

من علماء غزة



في غمرات الطوفان

أهل غزة..

هل استعملهم الله أم استبدلهم؟!

وبعد الإجابة عن سؤال البلاء وسؤال السنن الذي تكلمنا عنه في السابق، بقي أن نجيب عن سؤال: هل نحن مستعملون أم مستبدلون؟

والجواب عن هذا، كالآتي: بعد الذي أثبتناه في المقالات الماضية، فإن الذي يُرجى أن يكون أهل البلد في أحسن ما يكون من الاستعمال بإذن الله تعالى ورحمته وفضله، وأنهم ليسوا من سنة الاستبدال في شيء، ولكن شدة المحنة أضعفت صورة المنحة، ولهذا عبّرت عن هذا المعنى في عنوان هذه الرسالة إذ سميتها: «في غمرات الطوفان آمالٌ تُندثر بالآلام».



* تنشر مجلة «الطوفان» على حلقات متتالية، كتاب: في غمرات الطوفان: آمالٌ تُندثر بالآلام للشيخ الغزي الفقيه محمد بن محمد الأسطل -حفظه الله- وهو الكتاب الذي سطره صاحبه تحت القصف والموت والدمار في غزة، ونشره على قناته على التليجرام. وهو مادة نفيسة نرجو أن يهتم بقراءتها كل من كان يهيمه أمر المسلمين.

وقد كان الشيخ محمد بن محمد الأسطل من الكتاب الدائمين لمجلتنا، مجلة «الطوفان» حتى حال الطوفان بينه وبين الاستمرار في ذلك، نسأل الله تعالى أن يمتعنا بالشيخ وعودته القريبة إلى أحبابه، وأن يمتعنا جميعاً بنصر قريب في غزة وسائر بلاد المسلمين.

وأضرب مثلاً في اتجاهٍ مختلف من شأنه أن يُقَرِّب الصورة:

قال لي أحد الإخوة يوماً: إني أصبت بوسواسٍ قهري في الوضوء والصلاة، وتمدد الداء حتى وصل إلى الأفكار العقدية، وانقلبت حياتي جحيمًا، وصرت أشعر كأني خرجت من الإيمان إلى الكفر، وشرح قصته وتفاصيل ذلك مما هو معروفٌ في بابه.

قلت له: هل أحدثت عملاً صالحاً في المدة

التي سبقت الوسواس القهري؟

قال: نعم، نشطت في حفظ القرآن، وقال

آخر عرض له ذلك نفسه وسألته نفس السؤال:

صرت أقوم الليل بعد أن لم أكن أقومه من قبل.

قلت له: هذا هو السر.

قال: كيف؟!

قلت: لقد تخففت من أشكال الغفلة، وربما كنت على ذنبٍ وجاهدت نفسك في تركه، واستكثرت

من الأعمال الصالحة بما يشي بزيادة الخشية والديانة عندك.

ومن كانت هذه حاله لم يأتِه الشيطان من بوابة الشهوات المعتادة؛ لأنه سيفشل كما هو ظاهر، ولكن

يأتيه من بوابةٍ أخرى تناسب حاله الجديد، وهذه البوابة هي بوابة الحرص على العبادة، والاحتياط فيها،

فيصير من الأفكار التي تراوده:





أنه لا بد أن تقع الطهارة عنده على الوجه التام.

وأن تؤدي الصلاة وتكون على ما يرام.

مع الصلاة في المسجد وإدراك تكبيرة الإحرام.

ثم إن الحالة الإيمانية التي يكون عليها لا بد أن تكون على خير حال، بحيث إن ما يعرض له من خواطر لا بد أن تجتمع فيه معاني تعظيم الله ومحبته والتقرب إليه وما إلى ذلك.

فهنا يدخل الشيطان، ويبدأ يرمي أمام ذهنه جملةً من الأسئلة العقدية:

❁ هل يمكن أن يكون الله راضياً عنك أم تحتاج إلى مزيدٍ من الاحتياط؟ وربما ما عملته لم يكن مقبولاً؟ ولماذا يحصل لك كذا وكذا ما دمت تحسن العلاقة مع الله؟ وينتهي به الأمر إلى التفكير إلى أن الله لو كان موجوداً لفعل لك كذا وكذا.

والمقصود: أنَّ الأفكار تبدأ في رحلة تدهور حتى يدخل صاحبها في موجة شكٍّ مرعبة، تعود على عبادته ومشاعره بالتهتك والفتك والغش.

✍ لكن الحقيقة أن ما عرض له مما توهمه أنه من ضعف الإيمان هو في التصور الشرعي من قوة الإيمان، وما يراه من الأفكار مما قد يوقعه في الكفر نظراً لما يتردد في صدره هو في الواقع من قوة الإيمان واليقين بالله تعالى، بدليل أنه لا يستطيع أن ينطق بلسانه بما يجول في صدره.

وهنا تستطيع أن تدرك عمق جواب النبي لما جاءه ناسٌ من أصحابه يسألونه: «إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به»؟! قال: «وقد وجدتموه»؟! قالوا: نعم، قال: «ذاك صريحُ الإيمان»!.



ولهذا يقوم العلاج الفقهي وكذا الإيماني والتربوي على كلمةٍ واحدة وهي التهميش حتى ينقطع الشيطان ويأس، ويتأسس هذا القول على أن ما يعرض له إنما هو من الوهم، والوهم لا يُتفاعل معه، فهو كالسراب الذي يظنه الناظر ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

وبسط الكلام عن مسألة الوسواس محله المقام الفقهي وكذا التربوي، وعسى أن تيسر فرصة لإفراد الكلام عليه بما يزيل ما ينتج عنه من آثار عند المبتلى به.

والمقصود: أنَّ الوسواسَ التي تصيب عدداً كبيراً من صالحِي هذا البلد، وخشيتهم من أن يكون طول المعركة وما حصل لنا من مشاهد الإبادة مردهً إلى غضب الله ومقته على أهل هذا البلد، بسبب ما يحصل من تجاوزات من بعض الناس الفسقة الذين لا ينقطع منهم زمانٌ أو مكان.. تشبه الوسواس التي تعرض للمبتلى بالوسواس القهري، فهو قد يكون على أحسن ما يكون من الالتزام والإيمان ولكن يظن نفسه أنه واقعٌ في غضب الله ومقته.

✍️ وحضور مثل هذه الشبهات في أوقات الحروب والفتن أمرٌ متوقع، ولهذا فإني أحسب أن أكثر السور عنايةً بالجواب عن الشبهات هي سورة آل عمران، خاصة في الصفحات الثماني التي عقت على غزوة أحد، لكثرة ما دار فيها وحولها من أسئلة تتعلق بقدر الله في الأجل والنصر وغير ذلك.

والوصية لي وللقارئ ولمن بلغه هذا الخطاب بالتوبة والاستغفار والتواصي بالحق والصبر والمرحمة، وأن نزيد من الإقبال على الله تعالى ونتوب إليه من كل ذنب، ونستغفره من كل خطيئة، ومع هذا الحال نحمده سبحانه ونشكره على ما قدره لنا من الاستعمال، ومن إعزاز دينه وهداية كثير من عباده وإذلال أعدائه. فنحن أعقل من أن نرد فضل الله علينا في هذه المعركة وغيرها من كل ما يعرض لنا في هذا الثغر الإسلامي الكريم.

❁ ولئن بقي عندك شيءٌ من الشك فإني أذكرك بما تقدم من الثمرات المتكاثرة على الصعيد الشخصي والمحلي والإقليمي والدولي والعالمي، مما يشعر بمجموعه أن الله استعمل رجال هذا البلد على أحسن ما يكون من الاستعمال، وكلها بقي الصلاح فينا وبقي الجهاد والصبر والنصح والمدافعة التي لا ينقطع منها مجتمع كما أبعد ما نكون عن الاستبدال بإذن الله تعالى.

وشرط هذا الفضل: الثبات

وعدم التبديل حتى نلقى الله كما

قال سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَنَهُم

مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا

بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَنَهُم

٦ ما الذي يمكن أن يحصل في نهاية المعركة؟ وكيف يمكن أن تنتهي؟



يقول السائل: بعد أن مضى على المعركة قرابة السنتين؛ ما الذي يمكن أن يحصل في المستقبل القريب؟ وكيف يمكن أن تنتهي المعركة؟

والجواب: الحمد لله، وبعد: فإنَّ المعركة من الأيام الأولى ظهر أنها لا تمشي على قاعدة أو منطقٍ عقليٍّ سوي، ولهذا لم يستطع محلٌّ سياسي على مدار المعركة -فيمن سمعت لهم- أن يرسم مساراً واضحاً للمعركة من حيث المدة، وذلك يعود لأمرين:



الأول: أن قيادة الكيان كانوا

يتحركون بدافع الانتقام وليس انطلاقاً من الحسابات المتخذة عادة في تقدير المواقف الاستراتيجية، وهذا يعني غلبة النفوس على العقول، وهذا أمرٌ لا يسهل قياسه.

الثاني: اختلاف العقليات واختلاف الأهداف لدى الأطراف المؤثرة، وهم ثلاثة في أول المعركة:

نتنياهو وابن غفير وحزبه وبايدن، وشيئاً فشيئاً صارت الأمور تجتمع عند نتنياهو بعد أن ازداد تشرباً وتقوياً بعقيلة ابن غفير وحزبه وإن كان هو الثعلب، واستفاد عدداً من الملاح من العقيلة الأمريكية، وبيان ذلك بشواهد خارجة عن موضوع الكلام.

❁ وهذه المعطيات تُنتج حالةً من الغطرسة التي تُكسرُ كسرًا، ولهذا كنت أقول لمن يسألني عقب التهذئة التي حصلت بعد ٨٤ يومًا من بدء الحرب عما يمكن أن تصير إليه الأمور: إن الأهداف التي يرفعها العدو، والعقلية التي تُدار بها المعركة لو تمكنوا معها من سحق البلد سحقًا تامًا، وهدم كل شيءٍ فإنه في مقابل ما رفعوا من أهدافٍ لا يعني شيئًا.

ولقد انتهوا من هدم البلد، واكتشفوا أنهم ما فعلوا شيئًا، وهذا كلها امتد الزمان وتوالت الأيام ضاعف عليهم من حجم العقدة النفسية التي صنعتها عملية السابع من أكتوبر، حتى إن قرار إيقاف المعركة يعني الإعدام النفسي والمعنوي لدولة الاحتلال.



✍️ ولهذا حين أقفل المشهد في غزة راحوا يتحشون بجبهة الشمال، ويفعلون من الأفعال ما يُجبرُ حزبَ الله على الدخول في مواجهةٍ شاملةٍ رغم أنَّ العدوَّ يترنح في الداخل على أكثر من صعيد، ويخسر اقتصاديًا وغير مستعد اجتماعيًا، ولكن القتال في الشمال هدفه إطالة مدة الحرب في الجنوب في غزة.

أما نهاية المعركة فما أحسبه يكون بأمرٍ خارق، ولكن دوام الضغط الذي يتزايد على قادة العدو، مع اليأس من تحقيق أي إنجاز سيأخذ بهم إلى نهاية الحرب عبر صفقةٍ متدرجةٍ وهم صاغرون.



والذي يزيد الأمر تعقيداً أنّ إنهاء المعركة بصفقةٍ لازمه فشل الأهداف كلها، ومشهد خروج الأسرى هو مشهد إذلال للعدو وانتصار للبلد لا يستطيع العدو أن يتحمّله، وفي نفس الوقت لا يعرف كيف يفعل، فليس أمامه من خيارٍ إلا الهروب إلى الإمام لعله يظهر له من الفرص ما يراه مناسباً يُخرجه مما فيه.

ولهذا فالمعركة مجهولة المدة معلومة النتيجة.

❁ قد تطول، وعسى ألا تطول، وقد جعل الله لكلّ شيءٍ قدراً؛ فالشدة لها قدر، والرخاء له قدر، وليس هناك ذرة من شكٍّ أنّ العاقبة في هذه المعركة للمتقين، وأن الله ينصر هذا البلد، وسيعود النازحون إلى ديارهم، وسيبتهج المسلمون بفضل ربهم الكبير، والله هو ربنا الكريم الذي عودنا فضله في كل مرة، ولن يخذنا هذه المرة.

فاثبتوا وتضرعوا واصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



عبد القادر مهدي أبو سنيح

باحث شرعي

الأرض المقدسة محور الصراع ٥

﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾

✍ إن هذا دليل آخر على أن نهاية القتال يكون في الأرض المباركة
أرض المسجد الأقصى، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَضْرِبَ الرِّقَابَ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا
فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [سورة محمد: ١٣].





قال الواحدي: قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين.

وقال الحسن: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾

قال: لا يُشْرِك بالله ولا يُعبد غيره.

وقال مجاهد: حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام^١.



وقال سعيد بن جبير، ومجاهد: في هذه الآية خروج عيسى بن مريم عليه السلام، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويلقى الذئب الشاة فلا يعرض لها، ولا تكون عداوة بين اثنين^٢.

❁ ومعنى الآية: حتى تضع حربكم، وقتالكم أوزار المشركين، وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، فلا يبقى دين غير الإسلام، ولا يُعبد وثن، وهذا كما قال النبي ﷺ: «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن تقاتل آخر أمتي الدجال»^٣.

وقال البغوي رحمه الله: «معنى الآية: أئخذوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام»^٤.

١ أحكام القرآن لبكر بن العلاء - ط جائزة دبي، (٢/ ٤٠١).

٢ عزاه عن سعيد السيوطي في الدر (٧/ ٤٦٠)، لعبد بن حميد، ورواه عن مجاهد ابن جرير في تفسيره (١١/ ٣٠٨).

٣ التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٢٠).

٤ معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٤/ ٢١٠.



قال النسفي: «أثقالها وآلاتها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع، وقيل: أوزارها آثامها، يعني حتى يترك أهل الحرب -وهم المشركون- شركهم بأن يسلموا، وحتى لا يخلو من أن يتعلق بالضرب والشدة أو بالمنّ والفداء، فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى ألا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبقَ لهم شوكة»^٥.

هلاك الدجال وظهور الإسلام

بُوب العلامة عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت: ٢٣٨هـ) في أشرافه: «باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج الدجال لعنه الله».

ثم ساق بسنده فقال: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قَالَ: مُتَوَفِّيكَ، أَي: أَخْذُكَ وَقَابِضُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ، الْكَلِمَةُ فِي ذَلِكَ وَاحِدَةٌ وَإِنَّمَا رَفَعَهُ اللَّهُ وَلَمْ يَمِتْهُ حَتَّى يَقْتُلَ الدَّجَالُ لَعْنَهُ اللَّهُ ثُمَّ يَمُوتُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ غَيْرُ هَذَا عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالسَّنةِ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَمُوتُ بَعْدُ، وَإِنَّمَا رَفَعَهُ اللَّهُ حَيًّا ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَالِ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَتَكُونُ الْمِلَّةُ فِي زَمَانِهِ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

^٥ تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (٣/ ٢٢٣).



قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ قَالَ ذَلِكَ حِينَ يَنْزِلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَيُسَلِّمُ عِنْدَ نَزُولِهِ كُلَّ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَصَاحِبِ مِلَّةٍ فَيَكُونُ الدِّينُ وَاحِدًا، وَيَقَعُ الْأَمَانُ فِي الْأَرْضِ وَيَكُونُ السَّلَامُ وَتَأْتِسُ الْوُحُوشُ بِالنَّاسِ وَيَأْمَنُ النَّاسُ السِّبَاعَ وَالْهَوَامَّ، حَتَّى إِنْ الصَّبِيِّ يَلْقَى الْأَسَدَ فَيَعْرِكُ أُذُنَيْهِ وَلَا يَهْبِجُهُ عَلَيْهِ، وَيَلْقَى الرَّجُلُ الْحَيَّةَ فِي كَفِّهِ وَلَا تَضُرُّهُ، وَتَلْقَى الشَّاةُ الذِّئْبَ فَلَا يَضُرُّهَا؛ فَذَلِكَ حِينَ تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَيُظْهِرُ الْإِسْلَامُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (وَبُتِّتْ كِتَابَتَاهَا) وَعَلَى عَهْدِ آدَمَ فَيَكُونُ النَّاسُ مَعَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ وَخَيْرِ زَمَانٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَقْبِضُ اللَّهُ رُوحَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَذُوقُ الْمَوْتَ فَيُدْفَنُ وَيَمُوتُ النَّاسُ فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَخْيَارِ إِلَّا الْأَشْرَارَ (فِي قَلْبِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).



﴿ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى رِوَايَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْتُلُ الدَّجَالَ وَيَمُوتُ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قَالَ: يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَهُوَ صَبِيٌّ، ثُمَّ رَفَعَهُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كَهْلًا ثُمَّ يَنْزِلُهُ فَيُكَلِّمُ النَّاسَ بَعْدَ نَزُولِهِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِلْسَّاعَةِ﴾ فَيَقُولُ: نَزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ هُوَ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴿فَلَا تَمُوتُ بِهَا﴾^٦.

٦ أَسْرَاطُ السَّاعَةِ وَذَهَابُ الْأَخْيَارِ وَبَقَاءُ الْأَشْرَارِ، لَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ، (٤/ ١٣٤).

آخر عصابة من أمة محمد ﷺ تقاتل الدجال



عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من أصلِ الإيمانِ: الكفُّ عَمَّنْ قال: لا إلهَ إلاَّ الله، لا تُكفِّرُهُ بذنبٍ، ولا تُخرِجُهُ من الإسلامِ بعملٍ، والجهادُ ماضٍ مُدٌّ بعثني الله إلى أن يُقاتَلَ آخرُ أُمّتي الدَّجَالُ، لا يُبطلُهُ جورٌ جائِرٌ، ولا عدْلٌ عادلٌ، والإيمانُ بالأقْدارِ»^٧.

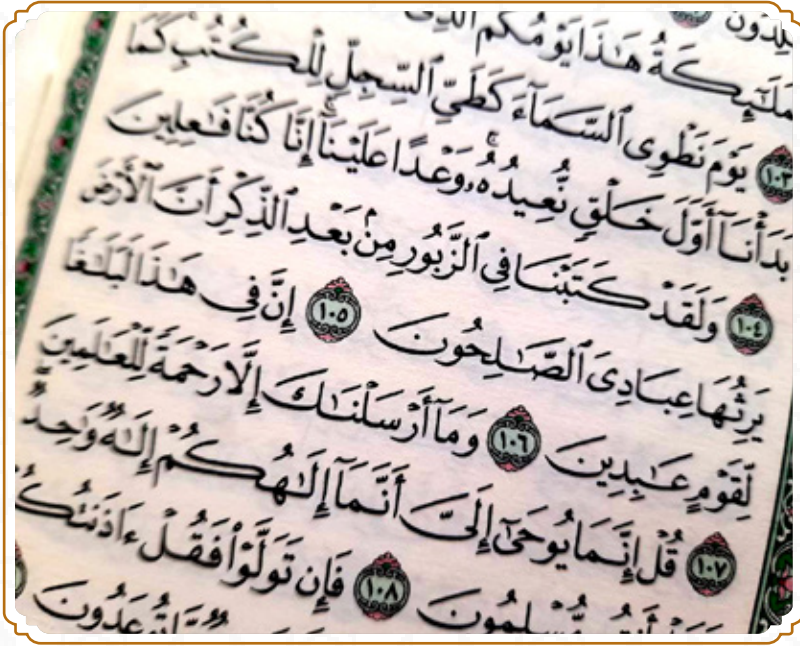
وفي الحديث ذكر «الخصلة الثالثة اعتقاد كَوْنِ الجِهَادِ ماضياً أي: نَافِذاً، وبقائاً حكمه «مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ» تَعَالَى يَعْني أَمْرَنِي بِالْقِتَالِ وَذَلِكَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ «إِلَى أَنْ يُقَاتَلَ آخِرُ أُمِّي الدَّجَالِ» فَيَنْتَهِي حِينَئِذٍ الْجِهَادُ.

❁ والتقدير في قوله: «مُدٌّ بعثني الله»: مَدَّ فَرَضَ الجِهَادِ وَأَمْرَتُ بِالْجِهَادِ إِلَى خُرُوجِ الدَّجَالِ يَكُونُ الْجِهَادُ بَاقِياً، وَبَعْدَ قَتْلِ الدَّجَالِ لَا يَكُونُ الْجِهَادُ بَاقِياً، لِأَنَّ بَعْدَ الدَّجَالِ يَكُونُ خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقَاتِلَهُمْ، وَبَعْدَ هَلَاكِهِمْ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا كَافِرٌ مَا دَامَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ حَيًّا، فَإِذَا مَاتَ يَكْفُرُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ، وَحِينَئِذٍ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى الْقِتَالِ، بَلْ يَمُوتُ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ عَنْ قَرِيبٍ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَبَقِيَ الْكُفَّارُ»^٨.

٨ المفاتيح شرح المصابيح (١٥٠/١)، شرح المصابيح (٨٠/١) التيسير شرح الجامع الصغير (٤٦٤/١).



وبعد قتال الدجال وانهاء حقيقة التدافع تقع الأمانة على الأرض: «يضع عيسى ابن مريم الحرب»^٩، كما في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل...



فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الممل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمانة في الأرض في زمانه حتى ترتع الأسود مع الإبل والتمور مع البقر والذئب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم»^{١٠}.

ولعلنا نلاحظ من الأمثلة الواردة في الحديث أنها تعني انتهاء العداء الطبيعي الموجود بين جميع الخلائق، والله غالب على أمره.

٩ عن أبي هريرة مرفوعاً: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها». البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).
١٠ مسند أحمد (٤٠٦/٢) وصحيح ابن حبان (٢٣٣/١٥) بتفاوت في الكل، وجامع البيان للطبري (٣٠/٦). وأصل الحديث متفق عليه.



الشيخ حسن الخطيب

عضو رابطة علماء فلسطين

آيات النصر بعضيم الصبر (٢/٢)

فضل الله الذي سبق

كيف يتحرك هذا الرجل أو ذاك بين رتل الدبابات وآلياته، وأمام سمع العدو وبصره وطائراته وعيونه التجسسية بقوة لا تكافئ قوة عدوهم ولا حتى تدانيه؟ ولا يملكون أيّاً من عتاد قواته ووسائل قتالهم؛ سوى من قوة الله ومعيته التي تدرّعوا وتحصّنوا بها، فأحاطتهم رعاية الله يحفظهم بحفظه؛ ويكلّؤهم برعايته؛ ويحرسهم بعينه التي لا تنام.



❁ لتكون عناية الله هي العنوان، والتأييد الإلهي هو السند الحقيقي لأهل الإيمان واليقين؛ ليتحقق لديهم ما تصبو إليه النفوس الطاهرة وبما تتوق إليه الأرواح إلى الشهادة أو النصر المبين.

✍ إيمان بالله أتبعوه بالإرادة والعزيمة وذكر الله والجلد والصبر والثبات والإصرار؛ دون أي هوان أو ضعف أو ملل أو شك أو تردد؛ ليتحقق على أيديهم عجب نصر الله بإذن الله وفضله الذي سبق..

فضل الله الذي سبق بصلاة الله على المؤمنين؛ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فالتزمتم الطمأنينة والسكينة..

فضل الله الذي سبق بإنزال السكينة في قلوب المؤمنين؛ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]؛ فالتزموا الذكر والدعاء..



فضل الله الذي سبق بتوبته توبة عباده؛ فهداهم إلى التوبة والاستغفار ويهديهم إلى سواء السبيل، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، فالتزموا الاستغفار..

فضل الله الذي سبق بحبته محبة عباده؛ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فالتزموا تلاوة كتابه..

فضل الله الذي سبق بوعده الذي سبق؛ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧١-١٧٣]؛ فرغبوا وعملوا للنصر بطوفان الأقصى؛ وما كان الطوفان إلا -بفضل الله تعالى الذي سبق- رجال صنعهم على عينه في بيوت الله وعلى موائد القرآن؛ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]؛ ففضل الله سبق حينما تمكن رجال الله من الوصول إلى كثير من مفردات قوة عدوهم، من مُسَيِّراتٍ عديدة، ومعلومات سيرانية غاية في الأهمية، فكَّ الرجال أسرارَ رموزها؛ وصواريخ لم تنفجر خبئت لهم عشرات السنين في أعماق البحار ليخرجوها ويعيدوا تدويرها وتفعيلها؛ وعشرات الصواريخ التي أُلقيت على غزة ولم تنفجر؛ ليعيدوا استخدامها من جديد ضد العدو وآلياته وجنوده؛ وتؤتي أكلها وثمارها بفضل الله تعالى.

نجاح يتبعه نجاح



يقول أحد ضباط العدو:

«ليس من المعقول الذي يحدث في

غزة؟ هناك قوة خفية تقاتل ضدنا!»

ويقول آخر: «يبدو أن الرب

يقاتل معهم!»

❁ حقاً.. إن الله يقاتل معنا بقوته الخفية الموجودة في غزة وما غابت عن رجالنا لحظة؛ لأنهم رجال استحضروا عظمة هذه القوة بحسن ظنهم بالله وإيمانهم، ودوام ذكرهم ودعائهم؛ واستعدوا وتجهزوا بقوة الله ومعيته وعلمه وقدرته.

❁ ثم يجب أن نتوقف أمام الله حياء، وألا يخفى عن فكرنا وسمعنا وذهننا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]، كما أنه لا يجوز أن يخفى علينا مثل هذا الأمر الإلهي في غزاة! هذه القوة الخفية التي لا يدركها أعداؤنا؛ واستحضرها جنودنا بما أمر الله ودوام ذكره جل في علاه؛ ومعيته التي استصحبهم واستحضروها قولاً وعملاً؛ ورأيها في ساحة المعركة؛ عند كل رمية بدعائهم وذكرهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

بسم الله، الله أكبر.. اللهم مكن لنا في الأرض..

اللهم وفق.. اللهم سدد سدد..

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر

اللهم في سبيلك وابتغاء مرضاتك..

اللهم استخدمنا ولا تستبدلنا..

اللهم ما خرجنا إلا في سبيلك..

اللهم انتقاماً لدينك وأوليائك..

اللهم نصره للإسلام والمسلمين..



❁ ونحن نسمع هذه الأدعية نستشعر عظيم فضل الله؛ وخاصة ونحن نسمع قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].



لندرك أن هذه الآية نزلت في أهل بدر، وأمثالهم من الرجال في غزوة؛ ليتحقق قول الله تعالى فيهم؛ أنهم هم الثابتون الصادقون الصابرون؛ أنهم ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤].

ندرك بهذا الذكر وهذا الدعاء أن معية الله حاضرة؛ عندما وفق وعندما سدد واستجاب..

❁ كيف وفق الله رجالنا باقتحام الخطوط الدفاعية السبعة بكل سهولة ويسر؛ ثم كيف أسروا جنود العدو وكيف اقتادوهم؟ ثم واجهوا أظنى قوة في التاريخ وثبتوا؛ لنقف بكل الثناء لله والحمد والشكر له تعالى أن يتحقق فينا دعاء رسول الله ﷺ كما تحقق في أهل بدر؛ قال ﷺ: «وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلَنَّا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قَيْنَا، وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا»^١.

فقد ثبت الله أهل غزوة كل هذا الثبات؛ ورزقهم عزة النفس المؤمنة؛ التي تجعلهم يرفضون بكل إباء وشموخ كل دواعي الاستسلام والهوان؛ مهما كانت التضحيات؛ أو كانت المغريات ومهما كانت الفتن..

١ صحيح البخاري، عن البراء بن عازب.

إن هذه الآية وهذا الحديث؛ بل وكل آيات الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ، يتحرك بها رجال الله ليحققوا موعود الله وعجيب نصره ومراده؛ وكأنه ولأول مرة في التاريخ من بعد عصر النبوة؛ وبنفس المقاييس النبوية والمعايير الإيمانية؛ يتحرك أهل الله وخاصته أهل القرآن يبتغون رضوان الله ونصره.

يتحرك رجال الله بكل القوة الإيمانية والشجاعة والإقدام التي قل نظيرها ومثيلها.



ذكر الله السلاح الذي لا يقهر

❁ لا يزال أهل غزة بالله يقاتلون
وحدهم أشد أعداء الله عداوة للذين
آمنوا، «لا يضرُّهم مَنْ خذلهم، ولا
مَنْ خالفهم، حتى يأتي أمرُ الله، وهم
ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^٢.

متسلحين بالأسنة تلهج بذكر الله؛ يتضرعون خوفاً وطمعاً بالدعاء؛ متحصنين بمنهج رسول الله ﷺ.

فما يحدث من مواجهات على أرض غزة يفوق الوصف والخيال؛ فكيف لأهل غزة يصبرون كل هذا الصبر على اللاأواء، والناس يتناوشونهم من كل مكان؛ بين محاصر وضارب وقاتل وطاعن وآكل في لحومهم؛ كالإناء بين الأكلة؛ كما وصف النبي ﷺ بأدق ما يكون الوصف صورة أهل غزة الموجودين الآن؛ يقتلون ويُشردون ويُحاصرون، وَيَسْتَقْبِلُونَ قَتْلَهُمْ وجراحهم وهم يتضورون جوعاً؛ ورغم هذه الصورة القاتمة والمؤلمة: ظاهرين بدينهم! قاهرين لعدوهم! لا يضرهم لؤم المخالفة، ولا شدة اللاأواء حتى يأتي أمر الله: نصر الله وفرجه.

^٢ صحيح الجامع، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.



يقول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ لعدوِّهم قاهرين لا يضرُّهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء؛ فهم كالإناء بين الأكلة، حتى يأتيهم أمرُ الله وهم كذلك». قالوا: يا رسولَ الله وأين هم؟ قال: «بيت المقدسِ وأكاف بيت المقدس»^٣.

مما يعني أن سلاح الطائفة المنصورة بإذن الله، هو ذكر الله تعالى؛ يقول ﷺ: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم غداً فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسولَ الله! قال: «ذكرُ الله عزَّ وجلَّ»^٤.



لقد تحصن أهل غزة بالرضا والصبر والثبات والدعاء؛ رغم شدة الأواء وقسوة الابتلاءات؛ وقلة الإمكانيات وانعدام الموارد؛ والقصف الصهيوني المستمر الغادر، والمدعوم من كل قوى الظلم والطغيان في العالم؛ وسط خذلان إسلامي وعربي مخزي؛ إلا ما كان من سهم يطلقه أخ صدوق خارج

الديار أو عابد زاهد قائم في جوف الليل؛ ودعوة صادقة في ظهر الغيب: أن ينصر الله أهل غزة ويثبتهم، أن يمدّهم الله بمدده وجنده؛ فتكون هذه الدعوات الخفية من أهم أسباب النصر المفاجئ والعجيب.

❁ إن ما يحدث على أرض غزة ليس سهلاً ولا هيناً؛ فكل هذه النفوس البريئة التي قُتلت وشُردت وأنُهكت، وجُوعت، لا يمكن أن تمر دون نصر مبين يعجب منه أهل السماء والأرض، ويتحقق فيه غضب الله وانتقامه من أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا ومن خذل غزة وأهلها؛ وما ذلك على الله بعزيز.



د. حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

ﷺ
وسلام

ميلاد محمد

إيذاناً برفع الظلم عن الأرض

✽ شهر ربيع الأول من أهم الشهور أحداثاً بين شهور العام الهجري، ففيه وُلِدَ المصطفى ﷺ، وفيه استقر ﷺ في المدينة بعد الهجرة، وفيه قُبِضَ إلى الرفيق الأعلى بعد رحلة شاقة ومضنية، بعد أن أدّى وبلغ رسالة ربه على خير ما يكون الأداء، فصلَّى الله وسلَّم عليك سيدي يا رسول الله.

وقد كان ميلاده ﷺ بداية وعلامة على رفع الظلم والظلمات من الأرض، وعلى نشر العدل والحق أمام الظلم الشديد الذي تسبب في مقت الله تعالى لأهل الأرض..



فَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَيَّ يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ لَحَلَّتْهُ عِبَادًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَقَتَلَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِابْتِلَاكِ وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَان. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحْرِقَ قُرَيْشًا. فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ. قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ، وَاغْزِهِمْ نُغْرَكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعُ خُمْسَةَ مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ».



قَالَ: «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ».

قَالَ: «وَأَهْلُ النَّارِ خُمْسَةُ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا

يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ». وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ، وَالسَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ^١.

❁ قَالَ الْإِمَامُ النُّووي رحمه الله: «الْمَقْتُ: أَشَدُّ الْبُغْضِ وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْمَقْتُ وَالنَّظَرُ مَا قَبْلَ بَعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَالْمُرَادُ بِبَقَايَا أَهْلِ الْكِتَابِ: الْبَاقُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِهِمْ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ»^٢.

٢ شرح النووي على مسلم، ج ١٧ ص ١٩٧، ١٩٨.

١ صحيح مسلم، رقم ٢٨٦٥.



❁ وبهذا تتضح الحالة التي كانت عليها الأرض قبل بعثة النبي ﷺ، وهذا الحديث يبين مهمة النبي ﷺ في رفع الظلم عن البشرية، ومحاربة الظالم وإن كانت قريشاً، بل ويبين في ذكره لأهل الجنة والنار عاقبة من يقومون على رفع الظلم، وهي الجنة، وعاقبة الظالمين المعتدين سواء بالقول أو الفعل، وهم في جهنم، عياذاً بك اللهم.

المولد وهلاك أبرهة الأشرم

ولد النبي ﷺ فيما يُعرف بعام الفيل، وهو العام الذي هلك فيه أبرهة الأشرم حاكم اليمن من قبل نجاشي الحبشة آنذاك، وكان رجلاً ظالماً طاغياً، فقد قتل أرياط الحاكم قبله، وقام مُلكه على الظلم والطغيان، وفي نهاية مُلكه عزم على هدم الكعبة -بيت الله تعالى- ظلماً منه وعدواناً.

فلما اقترب منها أهلكه الله تعالى بأن أرسل عليه وعلى جنده طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل حتى هلكوا، وجعلها الله تعالى آية للناس إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل ١-٥]. وفي هذا العام وُلد الحبيب المصطفى ﷺ، فكان الله تعالى يريد إظهار أن هذا المولود يكون على يديه نهاية الظلم.

هزيمة قريش عام المولد



يظن البعض أن الله تعالى نصر قريشاً على أبرهة الأشرم وجيشه، والحق أن الله تعالى نصر بيته الكريم، أما قريش فقد هُزمت أمام جيش أبرهة، وهُزمت أمام ربها بتخليها عن نصرته البيت، فقريش كانت العرب تهابها، وكانت تدخل حروباً لأقل الأسباب انتصاراً لمجدها وكبريائها، فلما جاءت لحظة نصرته البيت الذي كان سبباً في كل خير لها تخلت عنه ونكصت على عقبها، وما ذاك إلا لأنها كانت ظالمة لنفسها، وكانت تعبد الأصنام، وهذا أشد الظلم منها، ولذلك هزمها الله تعالى في عام ميلاد رسول العدل والحق.. محمد ﷺ.

إرهاصات المولد



إيوان كسرى

قال الشيخ صفى الرحمن

المباركفوري: «وقد رُوي أن إرهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، ونحمت النار التي يعبدها المجوس، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت»^٣.

❁ وهذه العلامات كلها -مع خلاف البعض في صحتها- ليست لها دلالة إلا الإيذان بنهاية الظلم في الأرض، لأن الظلم كان قد فشى وعمَّ الأرض كل الأرض، فبميلاد الحبيب محمد ﷺ بدأت علامات زوال الظلم من الأرض، وبدأت بهذه الإرهاصات الربانية في الكون البئس.

٣ الرحيق المختوم، ص ٤٥.

موقف عبد المطلب وقريش



❁ تذكر الكتب أن عبد المطلب جد النبي ﷺ تخلى عن نصرة البيت، ولما التقى أبرهة طلب عيراً كانت له ولم يذكر البيت، حتى أن أبرهة نظر إليه نظرة احتقار بسبب تخليه عن البيت، فكان رده على أبرهة: «إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَمِينَهُ».

قال ابن هشام -رحمه الله-: «وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَوْسَمَ النَّاسِ وَأَجْمَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى أَبْرَهَةَ أَجَلَهُ وَأَعْظَمَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ أَنْ يُجْلِسَهُ تَحْتَهُ، وَكَرِهَ أَنْ تَرَاهُ الْحَبَشَةُ يُجْلِسُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرٍ مُلْكِيٍّ، فَنَزَلَ أَبْرَهَةُ عَنْ سَرِيرِهِ، فَجَلَسَ عَلَى بَسَاطِهِ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَيْهِ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَجْمَانِهِ: قُلْ لَهُ: حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ التُّرْجَمَانُ، فَقَالَ: حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مَائَتِي بِعِيرٍ أَصَابَهَا لِي، فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ، قَالَ أَبْرَهَةُ لِرَجْمَانِهِ: قُلْ لَهُ: قَدْ كُنْتُ أُعْجِبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، ثُمَّ قَدْ زَهَدْتُ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتُكَلِّمُنِي فِي مَائَتِي بِعِيرٍ أَصَبْتُهَا لَكَ، وَتَتْرَكُ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لَهْدَمِهِ، لَا تُكَلِّمُنِي فِيهِ! قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَمِينَهُ».

وذهب عبد المطلب وأمر قريشاً أن تترك البيت وتصعد الجبال، وطاف هو بالبيت ثم بكى وأنشد قائلاً:

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ .. رَحْلَهُ فَا مَنَعَ حِلَالَكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيهِمْ .. وَمَحَالُهُمْ غَدَاً مَحَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْلَتَنَا .. فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ^٦

٤ سيرة ابن هشام، ج ١ ص ٥٠.

٥ سيرة ابن هشام، ج ١ ص ٤٩، ٥٠.

٦ ابن هشام، ج ١ ص ٥١.



وبالطبع هذا كلام العجزة، ولا يليق

بالسادة من قريش، فعبد المطلب وحده كان

يملك عشرة من الولد، أعدهم للحروب، فإن

لم يجعلهم حماة البيت ففي أي شيء يجعلهم؟

لكنه فساد الدين والعقيدة، وظلمهم

وبغيهم في الأرض جعلهم يخافون أبرهة دون

الله تعالى، ومن هنا كانت هزيمتهم.

اليهود ومحاولتهم قتل محمد صغيراً

❁ ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في حديثه عن قصة بحيرا حين رد محمداً وهو غلام، خوفاً عليه من اليهود أن يقتلوه إذا رأوه؛ فقال حاكياً عن بحيرا: «فَإِنَّمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ يُنَادِيهِمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ فَإِنَّ الرُّومَ إِن رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَإِذَا سَبَعَهُ مِنَ الرُّومِ قَدْ أَقْبَلُوا فَاسْتَقْبَلَهُمْ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَّغْنَا أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أَخْبَرْنَا خَبْرَهُ فِي طَرِيقِكَ هَذَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ فَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَنَعُهُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقِيمُوا مَعَهُ»^٧.

فها هم اليهود قتلة الأنبياء ما أن اشموا رائحته حتى أخذوا في البحث عنه لقتله، وهذا نوع من أنواع

الظلم الذي كان سائداً آنذاك، وهذا الظلم هو الذي جاء محمد ﷺ للقضاء عليه.

^٧ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٤٠٧.

المدينة تستقبل محمداً ﷺ في ربيع الأول

وفي مثل هذا الشهر أيضاً وطئت قدم رسول الله ﷺ بعد رحلة الهجرة المضنية والتي بدأت يوم السادس والعشرين من شهر صفر، وما أن نزل ﷺ المدينة حتى بدأ في تكوين دولة العدل، والتي كانت مهمتها رفع الظلم لا عن المسلمين فقط، بل رفع الظلم



عن البشرية كلها، واستمرت تقوم بذلك عشر سنوات والنبي ﷺ بين أظهرهم يرشدهم ويوجههم، سواء كان ذلك بالدعوة إلى الله تعالى، أم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أم بالجهاد في سبيل الله تعالى.

محمد ﷺ يودع الدنيا في ربيع الأول

وفي نفس الشهر شهر ربيع الأول عام أحد عشر من الهجرة، انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكانت آخر أعماله أن عقد اللواء لأسامة بن زيد رضي الله عنه ليخرج لقتال الروم، وهذا بمثابة الوصية لأئمة من بعده أن تستمر في رفع الظلم عن الخلق، وأن تكون دائماً ناشرة للعدل بين الناس، وأن تجاهد الظالمين والمعتدين أيّاً كان جنسهم، أو لونهم، أو دينهم.



عماد إبراهيم

مدير مشروع بصيرة الدعوي

المسلمون الجدد.. سفراء للإسلام

إنما الإسلام دينٌ .. فيه نِهَا رُحَمَاءُ
يُنْصَفُ الإنسانُ مَهِمَا .. كان فيه الانتماء
فيه تسمو كل نفسٍ .. وهو للروح شِفَاءُ
إنَّه أمرُ الإلهِ .. وهو إرثُ الأنبياءِ

✍️ الأصلُ في الإسلام: أننا جميعاً كمسلمين مأمورون بالدعوة إلى الله تعالى،
كلُّ بحسبه، ولسنا مجرد أتباعٍ لدينٍ عظيم، بل نحن حملةُ رسالة، وسفراءُ نور،
ومفاتيحُ هداية، وهذا تشریف من الله لعباده قبل أن يكون تكليفاً لهم.



ولا يُشترط في ذلك أن تكون عالماً أو خطيباً، يكفيك صدقُ الكلمة، وصفاءُ النية، وحُسْنُ الخلق.

يُخطئ من يتصور أن الدعوة حرفة خاصة بطائفة أو مجموعة من المتخصصين أو مؤسسة ما، أو أنها خطاب نخبوي لا يليق إلا بمن اعتلى المنابر. الأصل الذي يقره القرآن ويؤكد هدي النبوة أن كلَّ مسلمٍ داعيةٌ إلى الله تعالى، على قدر علمه واستطاعته ومجاليه. يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ويقول سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].



❁ ومن سُنَّةِ المصطفى ﷺ قوله:

«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً!». وإذا كان هذا

هو الحكم العام، فإن «المسلم الجديد» بل

قل «العائد إلى الإسلام» فهي الكلمة

الأدق، فوفقاً للقرآن الكريم نولد جميعاً

مسلمين بالفطرة، يتقدم الصف في هذا

الباب؛ لأن دخوله في الإسلام حدثٌ

فريد ومشهود في حياته، وهو إنسان تربى في بيئة غير مسلمة أو ضعيفة الارتباط بالدين، ثم اهتدى إلى فطرته الإسلامية؛ فهو أقدر الناس على ترجمة الإسلام إلى لغة قومه، وأقربهم إلى قلوب من عرفوه قبل إسلامه.

✍ إن المسلم الجديد ليس رقماً يُضاف إلى إحصاءات، ولا صورة تُنشر في مناسبة، بل هو مشروع سفير للإسلام؛ سفيرٌ يُجيد «الترجمة المزدوجة»: يترجم الإسلام لقومه بحالِه ومقالِه، ويترجم للمسلمين واقعَ قومه وما يدور في أذهانهم من تساؤلات. ومن ثمّ فالمسلم الجديد -إذا تعلّم أصول دينه وأحسن معرفة ما لا يسعه جهله- فإن من أبلغ وسائل تثبيته وترسيخ الإيمان في قلبه أن يباشر هو نفسه حملَ رسالة الإسلام إلى غيره، داعياً بالحكمة والقدوة الحسنة. غير أن هذا الباب يظلّ مرتبطاً بقدرات الأفراد، وظروف البيئات، وتفاوت الأزمنة والأمكنة، فلا يُكلّف المرءُ فوق طاقته، بل يُراعى فيه اختلاف الأحوال والفروق الفردية.

في السيرة النبوية معالمٌ لا تُنحى



إذ لم يكن المهتدون الجدد إلى الإسلام يتركون في عزلةٍ أو فراغ، بل يهَيَّوْنَ لأن يكونوا حملةً للرسالة وسفراء للإسلام، فلها أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعل لي آية. فقال ﷺ: «اللهم اجعل له آية». فأذن له بالدعوة وأيّده بالدعاء.

❁ ومن الشواهد أيضاً، عندما أسلم عُمر بن وهب رضي الله عنه ثم قال: يا رسول الله، كنت جاهداً على إطفاء نور الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله. فأذن له ﷺ فلحق بمكة، فأسلم على يديه الكثير. وكذلك وفدت الوفود من قبائل شتى، فأقاموا عند النبي ﷺ ثم قال لهم رقةً ورحمة:

«ارجعوا إلى أهليكم فعلوهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي...»^٢. وهكذا يتجلى أن أقوى دعامةٍ تُحافظ على إيمان المسلم الجديد أن يُعطى نصيباً من البلاغ، فيغدو سفيراً للإسلام بين قومه، ولساناً ناطقاً ببيانه، وكل هذه الشواهد تُقرّر أصلاً تربوياً: السير إلى الله يثبت بالقيام بحظّ من البلاغ.

ومن هنا يتضح لنا جلياً أن المسلم الجديد لا يقتصر أثره على نفسه، بل يمتدّ إلى مجتمعه، فهو بين خيارين: إما أن يعتزل بيئته القديمة وينقطع عنها، وإما أن يبقى على صلاتٍ واسعة بأهله وأصدقائه وزملائه، والغالب أنه يظل على صلةٍ وثيقةٍ بمن حوله. وقد أثبتت دراسات ميدانية -أُجريت على عيّنة من المسلمين الجدد- أن نحو ٩٤% منهم بقوا على تواصلٍ مع أصدقائهم من غير المسلمين، وهو ما يكشف عن باب عظيم للدعوة بالقُدوة الحسنة والكلمة الطيبة، شريطة أن نُحسن البناء والتوجيه.

لذلك فإن إعداد المسلم الجديد ليكون داعيةً في بيئته وسفيراً لدينه ليس من الرفاهية، بل هو ضرورة لصون إيمانه وتعزيز هويته. وإن لم يحمل رسالةً -بلسانه أو بسلوكه- خشي أن يذوب في مجتمعه أو يُستدرج إلى الانسلاخ عن الدين، بينما الإسلام يأمره أن يعتز بدينه، ويظهره باعتدالٍ ووقار، فهو الحق الذي لا ريب فيه. وليس مطلوباً



من المسلم الجديد أن يتحوّل في ليلةٍ واحدةٍ إلى خطيب مفوه أو مفتي؛ بل المطلوب أن يكون مؤمناً يصدّق مع ربه ويصدّق مع الناس، وأن يحمل من الدين ما يُقيم به نفسه ويُحسن به إلى غيره، وأن يتعلم فقه الأولويات، وأن يدعو بالحكمة، وأن يصدّق مصداق قول الله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، مع تذكّر قاعدة الإسلام العظمى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٢ حديث مالك بن الحويرث، رواه البخاري، ٦٣١.

✍ وإذا تأملنا آثار الدعوة في حياة المسلم الجديد وجدناها أعظم معينٍ له على الثبات؛ فكما أن العلم يُثبّت، والصحة تُعين، فكذلك الدعوة تُحيي القلب وتمنح الإيمان طراوةً متجددة، وإن أقوى دعامةٍ تُثبّت المسلم الجديد على طريقه أن يُشرك قلبه ووقته في همّ البلاغ؛ فالدعوة ليست عبئاً إضافياً فوق الدين، بل هي روح الدين وقد صحّ في الحديث قوله ﷺ لعليّ رضي الله عنه يوم خيبر: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم»^٣. وفي الحديث أيضاً: «من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله»^٤. هذان الأصلان يُنشئان حافزاً داخلياً قوياً للمسلم الجديد؛ إذ يشعر أن الله قد استخدمه في مشروعٍ هدايةٍ مباركٍ ممتد يواصل به مسيرة الأنبياء، وأن حياته قبل الإسلام -بجبراتها وعلاقاتها- لم تذهب سدى، بل تحوّلت إلى جسور نحو الحق.



❁ ولهذا كان من أهم الواجبات على الأمة أن تُحسن استقبال هؤلاء المهتمين الجدد إلى رحاب الإسلام، وألا تتركهم فريسةً للوحدة أو العزلة أو الضعف، بل تُمدّهم بالعلم الصحيح، وتُحيطهم برعاية روحية واجتماعية تُثبّتهم على الطريق، وتُهيئهم للقيام برسالتهم الدعوية. إذ إن دوافع الشكر لله على النعمة تكون آتئذٍ في ذروتها. هنا يصبح «الاشتباك الإيجابي» مع مجتمعه هو طريق التثبيت؛ فبقدر ما يعطي بقدر ما يثبت، وبقدر ما يخدم بقدر ما ينمو إيمانه.

٤ رواه مسلم، ١٨٩٣.

٣ متفق عليه.



ولنا أن نذكره دائماً بكلام النبوة الجامع: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^٥. وقال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^٦، وقال أيضاً: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^٧.

كيف نفعل المسلم الجديد في مجتمعه؟

سؤال عمليٌّ بامتياز، وإجابته تحتاج إلى خطة متعددة المستويات: فردية وأُسرية ومؤسسية وإعلامية.

✿ **خطة شخصية واضحة:** نضع مع المسلم الجديد برنامجاً يسيراً لثلاثة أشهر ثم ستة ثم سنة، يشتمل على:

● أولاً: ورد يومي من القرآن مع فهم معاني الفاتحة وقصار السور.

● ثانياً: حضور درس أسبوعي في العقيدة والعبادات.

● ثالثاً: صحبة مُنتقاة لرفاقٍ يُعينونه على الصلاة والذكر.

● رابعاً: مشاركة شهرية في عملٍ خيري أو دعوي بسيط.

هذا البناء المتدرج يحوّل الإسلام إلى عادةٍ يومية لا

إلى انفعالٍ موسمي.



٧ رواه مسلم، ٢٥٨٦.

٦ متفق عليه.

٥ رواه البخاري، ٥٠٢٧.

● **اللغة جسرٌ لا حاجز:** كثيرٌ من المسلمين الجدد يحتاجون دعماً لغوياً: ترجماتٍ أمينة، ومعجماً مبسطاً للمصطلحات، ودوراتٍ قصيرة في تلاوة الفاتحة والأذكار. توفير تطبيقات ومذكرات صوتية بلغتهم الأم يُضاعف ارتباطهم بالقرآن.

● **الرفيقُ المربي:** تُعين كلُّ مؤسسةٍ أو مشروعٍ دعوي أو مسجد «رفيقاً» للمسلم الجديد؛ يزوره، يُصادقه، يجيب على أسئلته، ويرافقه إلى المسجد ومجالس العلم، ويعرفه بالمجتمع المسلم. هذا الرفيق ليس «مراقباً» ولا «محققاً»، بل أخاً رحيماً يسمع أكثر مما يتكلم، ويُعلم بالقُدوة قبل العبارة.



● **التخصُّصُ في الدعوة:** ليس كلُّ مسلمٍ جديدٍ سيُجيد المنبر أو المناظرة؛ منا من يبرع في الكتابة، ومن يُحسن إدارة النوادي والجمعيات، ومن يُتقن الإعلام الرقي، ومن يلعب في خدمة الفقراء، ومن يبدع في التربية الرياضية أو الفنية بضوابطها. المطلوب أن نكتشف «موهبة الطبيعة» ونُطعمها بنور الإيمان. الدعوة عندئذٍ تصبح امتداداً لمهاراته لا قيداً عليها.

● **القصصُ يجذب القلوب:** ليحكِ المسلمُ الجديد قصته ورحلته إلى الإسلام بصدقٍ دون تهويل ولا تجريح لأحد؛ قصةً انتقله من الحيرة إلى اليقين، من الضيق إلى السعة. القصة الصادقة أكبر تأثيراً من ألف خطابٍ جاف. لكن ننبه: ليس كلُّ أحدٍ مؤهلاً للتصدّر الإعلامي؛ نحفظ للناس خصوصياتهم، ونوازن بين الفائدة والمفسدة.

● **العملُ الخيري بوابةٌ واسعة:** المشاركة المنتظمة -ولو لساعات- في أعمال خيرية، أو دروس تقوية للطلاب.. إلخ، تُعرّف المجتمع على جمال الإسلام العملي، وتمنح المسلم الجديد شبكة علاقاتٍ حقيقية يتنفس فيها الأخوة.

● **المسجد بيتٌ لا صالةٌ مرور:** تدريب القائمين على المساجد على آداب الاستقبال، توفير «ركنٍ تعريفِي» بلغات متعددة، وضع جدول لقاءاتٍ أسبوعي للمسلمين الجدد مع إمامٍ مُحسنٍ ولجنةٍ من الإخوة والأخوات تُعنى بالجانب الاجتماعي والأسري، مع غرفةٍ صديقةٍ للأطفال؛ كل ذلك يحوّل المسجد إلى حضنٍ تربوي.

● **التعاملُ مع الأسرة القديمة:** نُعلّم المسلم الجديد فقهَ البرِّ بأهله ولو كانوا غير مسلمين، وأن يختار أساليبه بحكمةٍ ولطفٍ دون صدامٍ، ويُظهر لذويه صدق المعاملة وطيب الأخلاق.

● **حصانةٌ فكريةٌ رقيّة:** نعرّفه على

مصادر العلم الموثوقة، ونحذّره من فوضى المنصات، ونُدربه على التثبت من الأخبار والفتاوى، وأن يسألَ أهل الذكر: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].



● **مكاسب صغيرة متراكمة:** نُشعره بالإنجاز خطوةً خطوة: تعلّم الفاتحة وقصار السور، الحفاظ على الصلوات الخمس، صدقة خفية، إصلاح علاقة، دعوة صديقٍ واحد. هذه الانتصارات الصغيرة تُراكم الثقة وتُذيب الوحشة.

ما الواجب علينا - نحن المسلمين - تجاه المهتدين الجدد؟



● **أولاً:** التهئة الصادقة والاستقبال اللائق؛ استقبال يليق بعظيم النعمة، بلا مبالغة مسرحية ولا برود. نُعرفه بأننا أسرته الجديدة، وأننا له عونٌ في العلم والرزق والعلاقات.

● **ثانياً:** التكفل العلمي المنهجي؛ إعداد مسارٍ تعليميٍّ منضبط، يبدأ بالفرز العين والعقيدة، ثم أصول المعاملات، مع كتبٍ مختصرةٍ موثوقة، وحلقاتٍ منتظمة، واختبارٍ دوري لطيف.

● **ثالثاً:** التكافل الاجتماعي؛ بعض المسلمين الجدد يفقد دعم أسرته أو عمله، أو يواجه ضغوطاً قانونية ونفسية. هنا يجيء قول النبي ﷺ: «المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلبه... ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته...»^٨.

● **رابعاً:** الإدماج في الجماعة؛ لا نُبقي المسلم الجديد «ضيفاً أدياً» على هوامش المجتمع. نُسند إليه أدواراً حقيقية: تنظيم، ترجمة، تعليم مبتدئين، إدارة نشاطٍ خيري، الإسهام في محتوى رقمي. التكليف المدرّس يسبق التصدر، ويمنعه في الوقت نفسه من الانعزال والذوبان.

● **خامساً:** حراسة القلوب من الإفراط والتفريط؛ نحمله من الغلو الذي يُشوّه الدين، ومن التفلت الذي يُضيّع معاملة. نُعلّمه أن العبودية ميزان: محكّاتٌ قبل الجزئيات، ثوابتٌ قبل المتغيرات، حقٌّ قبل أشخاص.

● **سادساً:** فقهُ الخلاف والرحمة بالخلق؛ لا نُدخل المسلم الجديد في معاركنا الجانبية، ولا نُعلِّه ازدراء الناس. نُرِيه على أن الدعوة نفاذٌ إلى القلوب لا كسرٌ للناس.

● **سابعاً:** الأمان النفسي للأسئلة؛ كثير من المهتمين الجدد يحلون أسئلةً حسّاسة عن قضايا المرأة، الحرية، القَدَر، العلاقة بالآخر.. يجب أن نوفر لهم «مساحة سؤال آمنة» بلا تخويف، وأن نُحسن الإجابة بعلمٍ ورفق.

● **ثامناً:** الدعاء سلاحُ المؤمن؛ نذكره ونذكر أنفسنا أن الهداية من الله وحده، وأن التثبيت عطية ربانية: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. أن الدعاء سهم لا يخيب في جعبة المسلم الحق.

استراتيجية صناعة السفراء!



❁ إن تهيئة المسلم الجديد كي يصبح سفيراً للإسلام في بيئته ومجتمعه تتطلب مناخاً من الحكمة والرحمة والعدل. السفير الحقّ ليس من يحفظ عباراتٍ بل من يصدّق في أخلاقه، وتظهر في سلوكه آثارُ الإسلام. كيف نُدرِّبه على ذلك؟

● **ميثاق الهوية اليومية:** صلاةٌ في وقتها، وردٌ دائمٌ من القرآن ولو قليل، صدقةٌ أسبوعية، خلقٌ مُلزم: الصدق. هذه الأربع عمُدٌ لا يُساوم عليها.

● **خريطة العلاقات:** يُحافظ على جسورٍ حسنةٍ مع أهله غير المسلمين ما لم تمسّ دينه، ويتخير من المسلمين أصحابَ الهمم والقلوب الرحيمة.

- **البلاغ العملي:** أن يدعو بالعمل قبل القول: إتقان عمله، أمانته في وظيفته، لطفه في الجوار، رفقه بالحيوان والبيئة. هذا بلاغ صامت يسبق المقال.
- **البلاغ القوي المبسط:** يحفظ المسلم الجديد عشرات الأجوبة القصيرة على الأسئلة الشائعة حول الإسلام، مع مراجع موثوقة بلغته، دون خوض في ما لا يحسن.
- **مشاريع صغيرة متدرجة:** نادي قراءة لكتاب تعريفي، حلقة قرآن للمبتدئين، لقاء دوري لشرب القهوة والحوار، منصة صغيرة على الشبكات ينشر فيها خواطره بإذن مشرف تربوي.
- **التعلم المستمر:** يُجدّد نيته دائماً، ويستحضر الحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**». ولا ينسى قاعدة: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"^٩. فالسكوت عن ما لا يعلم عبادة.
- **ميزان الحكمة:** كلما احتار قلب الدعوة، رجع إلى أصليين: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، و«**يسروا ولا تعسروا...**»^{١٠}.

وعلى مستوى الأمة:



✽ نحتاج إلى خارطة طريق مؤسسية تُحوّل الآمال والنوايا الحسنة إلى صناعة مستدامة من خلال:

- **مراكز تعريف بالإسلام متعددة اللغات، قوتها في جودة المحتوى ودفء الاستقبال.**



١٠ صحيح البخاري، ٦٩.

٩ متفق عليه.



● **برامج كفالة تعليمية للمسلمين الجدد:** منحة كتاب، دورة فقه أساسي، مصحفٌ مُترجم، استشارات أسرية ونفسية... وأخرى.

● **شبكاتُ صداقةٍ عالميةٍ** تربط المسلمين الجدد بعضهم ببعض، يتبادلون الخبرة والتشجيع.

● **منصاتٌ رقمية تقدم محتوى موثوقاً:** دروساً قصيرة، أسئلةٌ وأجوبة، قصصٌ هدايةٍ رصينة، ومساحاتٍ نقاشٍ تحت إشرافٍ علمي.

● **أدلةٌ عمليةٌ للمساجد:** كيف نستقبل الداخلين الجدد؟ ما المواد الأولى التي نعطيهم؟ كيف تُتابعهم بعد أسبوعٍ وشهرٍ وسنة؟

● **إشراكُ المرأة المسلمة الجديدة في برامج خاصة تحفظ خصوصيتها وتُطلق طاقتها؛** فهي سفيرةٌ في بيتها ومحيطها وفضائها المهني.

● **تقييمٌ دوريٌ بمعايير واضحة:** (الاستمرار في العبادة، جودة الفهم، دائرة التأثير، درجة الاندماج، الاستقرار النفسي والاقتصادي).

وفي خاتمة المطاف



تبقى الصحبة الصالحة والذكر والدعاء هي الأعمدة التي لا غناء عنها؛ فالهداية والتثبيت بيد الله وحده. نحن نأخذ بالأسباب ونحسن السعي ونجود العمل، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٠١]، وقلوبنا معلقة بقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. وليكن شعارنا في التعامل مع المسلم الجديد: رفق يفتح القلوب، وعلم يضيء العقول، وعمل يترجم الإيمان في الأسواق والبيوت والطرق.

إن المسلم الجديد ليس صفحة تطوى بعد الشهادة، بل قصة رسالة تبدأ من يوم النطق وتستمر إلى لقاء الله. وإذا أحسنًا رعايته وتفعله، صار - بإذن الله - لسان صدق في قومه، يهدي ويبين، ويشهد على الناس أن هذا الدين رحمة وعدل ونور. وإن قصرنا في حقّه، فقد خذلنا أنفسنا وديننا قبل أن نخذله.

✽ فلنجدد العهد مع قول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر]؛ ف«التواصي بالحق والصبر» هو عنوان هذه الرسالة. ولنستمسك بوعد النبي ﷺ: «من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله». وعندها فقط تتحوّل عبارة «المسلمون الجدد مشاريع سفراء للإسلام» من شعارٍ برّاق وهدف مأمول إلى واقع ملموس؛ رجالاً ونساءً يحملون نور الإسلام بأخلاقهم قبل أقوالهم، ويقيمون الحجة للعالمين بأن المستقبل لهذا الدين الذي يصلح الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.



﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

أدباء العالم يثنون على النبي ﷺ (٣/١)

د. إياد محمود

أستاذ مساعد في فيزياء البصريات الكمومية - كاتب وقاص

تعددت مظاهر رفعة ذكر النبي محمد ﷺ بتعدد المشاعر الإنسانية، وبقدر تشعب الأفكار البشرية، وبعدد من وصله خبر بعثته عليه السلام. وما ذلك إلا مظهر من مظاهر إعجاز بعثته، ودليل ساطع على صدق نبوته. فما كان لبشر من قبله ولن يكون لأحد من بعده مثل هذا الصيت الذي سارت به الركبان مألثة الأسماع والأفئدة بشمائله العطرة. ووضع اليد على بعض من هذه المظاهر هو مما يعجز عن الإحاطة به من كان له في ميدان النظر صولات وجولات، فكيف يكون الحال إذن في ما لا حصر له، ولا قدرة على الإحاطة به؟! 



وليس الأمر تشدقاً أو تفيقهاً أو شقشقة لسانٍ أو ادعاءً فارغاً؛ بل يقوم على صدق هذه الدعوى ما لا قدرة للمرء على إيراده ذكرًا، فضلاً عن سبر أغواره شرحاً أو الإحاطة به علماً. فأينما يمت الوجه تجد عالماً متبحراً أو بحاثاً متديراً أو مؤرخاً متمكناً إلا وقد كانت سيرته ﷺ جزءاً مما تبحر فيه أو تدبره أو أرخ له، سواء أكان دافعه لذلك حسن نية أم سوء طوية. فالأول أبهرته الشمائل الحمديدية فانطلق يسبح بحمدها، ناشراً عبيرها العبق في كل ميدان، وبائناً إعجابه الذي لا حد له فيما يكتبه من كتب ومقالات يستودعها دقائق مشاعره المرفهة تجاه هذا الذي غيرت بعثته الكون إلى غير ذي رجعة. أما الثاني فما رجع من محاولاته البلهاء لتسقط ما كان يتوهمه من نقائص تشوب الثوب الطاهر إلا بخفي حنين والكثير من هذه الطائفة سحرته السيرة النبوية العطرة: فلأت قلبه حباً بعد بغض.

❁ وإن العجز عن الإحاطة لا يمنع من تلمس طريقنا في الدروب الوارفة الظلال في الخمائل الندية لسيرة خير البرية، لنقف على بعض مظاهر تلك العظمة السامقة، والرفعة الشاهقة، لعلنا في هذا السعي نجد ما ينقع الغلة، ويبل الصدى؛ فإن تعذر الجرعُ ما فاتنا الرشفُ^١.



لم يكن مدح الرسول ﷺ حكرًا على من شاهده أو وقفًا على من صاحبه. صحيحٌ أن هؤلاء كانوا الأقدر على الوصف، والأبلغ في البيان لأنهم عايشوه عن قرب: ففتحهم منه النسمات العطرة، وتفيؤوا منه الظلال الندية، فغمرتهم الأنوار البهية، وأشرقت في نفوسهم الهبات النبوية السنية. لكن الشوق الجامح، والحنين الجارف يفعلان في النفس البشرية فعل من شاهد، وعاش.

١ في المثل: (الجرعُ أروى والرشفُ أنقع)؛ أي جرع الماء يروي ولكن إذا تعذر ذلك فالرشفُ (المص بالشفتين) يسكن العطش.



فكان هناك في كل زمانٍ من امتلأت نفسه بحب خير البشر، فتفتق عن هذا الحب عبقريةً شعريةً ما بلغت كمالها، ولا أينعت ثمارها إلا في مدح خير الرسل. فكانت البردة ومعارضاتها على مر العصور ترجمان حبٍّ جارٍ، وعنوان شوقٍ غامر. ووقتنا الحالي لم يخل من هذه المنحة الربانية التي جادت على كل أهل عصر ومصر فيها هي مسابقة «**نكارا لشاعر الرسول ﷺ**» تروم ما رامته قرائح الشعراء على مدى الأعصر الدارسة من أن تُجَلَّ شعرها بخير البشر^٢. ويا ليت شعري! ما أشد فرح من أحرز قَصَبَ السَّبْقِ في هذا المضمار: لا الدنيا تسعه، ولا الإطراء المعهود يُرضيه، وأنى لشيءٍ من تقريظ الناس له أن يبهجه إلا قولٌ واحدٌ يبلغ منه أبلغ أثرٍ وهو أن يُدعى على رؤوس الخلائق بشاعر الرسول.



❁ ومن أسعده القدر فتدثر ببردته الشريفة^٣ في هذه المسابقة الشاعرة «**بدرية البدري**» والتي فازت بهذه الجائزة في نسختها الخامسة عن فئة الشعر الفصيح^٤. هتف قلبها قبل أن ينطق لسانها قائلاً: «**لا يمكن لأيّ كلمةٍ أن تصف ما أشعر به من نخرٍ واعتزازٍ ورضا**». كيف لا؟! وقد نالت من الشرف غايته، وظفرت من العزِّ أعظمه.

٢ موقع جائزة نكارا لشاعر الرسول ﷺ: katarapoet.com.

٣ هنا لطيفةٌ أدبية: فالرسول ﷺ خلع بردته الشريفة وألبسها كعب بن زهير بن أبي سلمى بعد أن ألقى في حضرته البهية قصيدته المشهورة. ويا ليت شعري! فكما اتخذت أكثاف كعب من بردته ﷺ دثاراً، اتخذت قصيدته لها من هذه البردة الطاهرة اسماً خلّده الدهر ما بقي من عمر الزمان من باقية! وكأن كل شاعرٍ يتسّم ذروة مدحه ﷺ لا يكتمل في حقه ثناءً أو إطراءً إلا إذا كان لقصيدته التي مدح فيها خير الأنام مع بردته ﷺ نسبٌ ومصاهرة. فكانت هناك بعد بردة كعبٍ بردة البوصيري، ثم نهج نهجها أمير الشعراء أحمد شوقي.

٤ «قصيدة (قنديل من الغار) الفائزة بجائزة نكارا لشاعر الرسول عليه السلام».

٥ المصدر السابق.

وها هي تُعبر عن خلجات نفسها بقولها: «الكتابة للنبي محمد ﷺ شرفٌ عظيمٌ بحد ذاته، فما بالك بفوز القصيدة بجائزة لها قيمتها في الساحة العربية والعالمية بجائزة كتارا لشاعر الرسول؟! وأن أحمل لقب شاعرة الرسول كأول (شاعرة) ولن أقول امرأة؛ فما انتصر هنا هو الشعر وحده، وحب النبي محمد ﷺ».

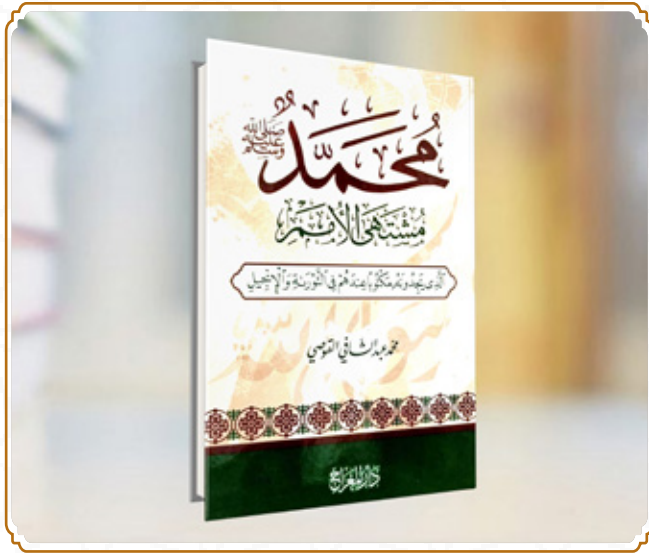
وقصيدتها الفائزة «قنديلٌ من الغار» تقول^٧:

اخْلَعْ جَرَا حَكَ بِالسَطْرِ الْمُقَدَّسِ، لَا	..	يَصَدِّكَ الذَّنْبُ عَنْ وَحْيٍ بِكَ ارْتَحَلَا
وَاصْعِدْ إِلَى السَّدْرِ الْعُلْيَا بِلَا حَذَرٍ	..	مَنْ دَافَقِ الْعَشْقَ، إِنَّ نَادَاكَ وَانْهَمَلَا
هَنَّاكَ تَمُو عَلَى الْأَشْوَاكِ نَرْجِسَةً	..	تَوْرَحُ الْعَطَرَ فِي أَوْرَاقِهَا أَمَلَا
وَتَسْتَكِينُ إِلَى الْأَقْلَامِ قَافِيَةً	..	لَوْلَا «مُحَمَّدٌ» مَا أَهْدَتْ لَهَا الْجُمَلَا
نَادَانِي الصَّوْتُ، لَكِنْ لَمْ أَجِدْ بَشَرًا	..	آنَسْتُ نُورًا تَرَاءَى ظِلُّهُ جَبَلَا
أَصْغَيْتُ، كَانَ هَدِيلُ الْوُرْقِ مِثْدَنَةً	..	ارْكُضْ بِقَلْبِكَ تَلَقَّ الْأَرْضَ مُغْتَسَلَا
وَكَانَ وَجْهُكَ مَا أَلْفَيْتُ فِي قَلْقِي	..	فَاخْضَرَّ حَرْفٌ عَلَى غُصْنِ الْجَوَى ذَبَلَا
يَقُودُنِي الْحُبُّ كَالْأَعْمَى؛ فَيَا بَصْرِي	..	خَارَتْ عَصَايَ وَجِئْتُ الْخَوْفَ مُنْتَعَلَا
يَعْدُو بِي الدَّرْبُ وَالْأَشْوَاقُ رَا حِلَّتِي	..	وَالْغَارُ أَيْقَظُ جَفْنَ اللَّيْلِ وَابْتَهَلَا
خَلْفِي تَلَقَّتْ بَعْضِي إِذْ رَأَيْتُ فَتًى	..	سَاقِيهِ أَطْلَقَ وَالرَّيْحُ اسْتَوَتْ سُبُلَا
أَتَى تَسِيلُ ذُنُوبُ الْأَرْضِ مِنْ دَمِهِ	..	مَا ضَلَّ مَسْرَاهُ، لَكِنْ بِالرَّوْىِ شُغْلَا

٧ المصدر السابق.

- تكونُ قَدِيلَهُ في ليلِ وحدته ..
أَرْضًا يحطُّ عليها كُلُّها وَهنا ..
تخنو على ضعفِهِ إنْ جاءَ يَحْمِلُهُ ..
نصفانِ إِنِّي، ولا نصفٌ يُؤازِرُنِي ..
عارٍ من الرفقِ هذا الكونُ ينقصُهُ ..
كفُّ تحطُّ على الأرواحِ حانيةً ..
لا نورَ يوقِظُ هذا العصرَ من خدرٍ ..
بعضُ اليقينِ الذي في «اللهِ ثالثاً» ..
وطافَ بالبيدِ غيمٌ يستريحُ ضُحًى ..
عُدَّ بي إليك رسولَ اللهِ أتعيني ..
وكُلُّها قلتُ لي فيما ملكْتُ يدُ ..
عُدَّ بي من الحزنِ، في عيني عاصفةً ..
تعبتُ من مَصْعَدِ الأرواحِ أَبْصَرُها ..
من دَمعةِ الجوعِ والأطفالِ حِصَّتْها ..
يا رحمةً أُرسلتُ للعالمينَ ويا ..
أتيتُ من هامشِ المعنى أحثُّ فَي ..
لا أملكُ الحرفَ لكنِّي أراكِ بِهِ ..
وفاضَ نهراً على شُطآنِ قافيتي ..
خلعتُ كُلَّ جِراحِي وانتبذتُ بها ..
يرجوكِ، أو قِبلةً تهدي النُهى مُقْلا ..
هوى جناحاهُ، أو عن هَدْيِهِ عَدَلا ..
قد انحنى ظهرُهُ من هَوْلِ ما حَمَلا ..
والخوفُ جفنٌ على بعضِ الرجا اُنْسدَلا ..
حينُ جذعِ رأى نَجْمًا لَهُ أَفْلا ..
لتهدأُ الحربُ والثأرُ الذي اشتعلا ..
والكهفُ لما أوى، أحصاهُم مِلَلا ..
لو زارنا أوركَّتْ أرواحنا رُسُلا ..
من لفحةِ الشمسِ، لما أُسْرِفَتْ قُبْلا ..
قلبٌ تُقَلِّبُهُ الأهواءُ ما وَصَلا ..
ألفيتُ كَفِّي صِفْراً، تحرُّثُ المِلَلا ..
تذرُّ رملَ الأسي والسَّهْدِ مُكْتَحَلا ..
تنسلُّ من خَنْدَقٍ من طُهرِها أَكْلا ..
والأمهاتُ حُداءُ يوقِدُ الشُّعْلا ..
وحياً من اللهِ بالإحسانِ قد نَزَلا ..
عليَّ أراني، أنا من كُلِّهِ جَهْلا ..
فأبصرُ النورَ طيفاً مرَّ بي وَعَلا ..
أحيا رميمَ حروفٍ أُقْبِرْتُ أَزْلا ..
سطراً عليّاً، كمن في نقصِهِ اكتملا ..

❁ وليس بمستغرب أن الشاعرات زاحمن بالمناكب الشعراء في درب مديحه ﷺ، فبه سطعت أنواره على كل الأفئدة، وما فؤاد الرجل بأشد شوقاً إليه ﷺ من قلب المرأة، وفي هذا فليتنافس المتنافسون. وكل له من حبه ﷺ أوفر نصيب بقدر صدق إقباله على شرعه، وأخذه بناصية نفسه إلى رحاب الأنوار العلية في حضرة خير البرية.



✍ ولكن المستغرب أن تجد شعراء نصارى في حقبة زمنية متطاولة قد تغنوا بمدحه ﷺ؛ بل وبالغوا في إظهار الوله بشخصه الكريم. وقد رصد الفصل الأخير المعنون بـ «في عالم الجمال» من كتاب «محمد مشتهى الأمم» للكاتب محمد القوصي (صادر في ٢٠١٠) أكثر من ١٤ شاعراً نصرانياً مدحوا رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام^٨.

فها هو الشاعر ذاع الصيت «إلياس فرحات» يقول في مدحه ﷺ:

يا رسول الله

غَمَرَ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِ النُّبُوَّةِ .. كَوَكَبٌ لَمْ تُدْرِكِ الشَّمْسُ عُلُوَّهُ
لَمْ يَكُنْ يَلْمَعُ حَتَّى أَصْبَحَتْ .. تَرَقَّبُ الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا دُنُوَّهُ

^٨ «شعراء مسيحيون يتغنون بمدح النبي عليه السلام».

<https://www.alsh3r.com/poems/view/1368>

يَنَّمَا الْكَوْنُ ظَلَامٌ دَامِسٌ .. فَتَحَتْ فِي مَكَّةَ لِلنُّورِ كُوَّةَ
 وَطَمَى الْإِسْلَامَ بَحْرًا زَاخِرًا .. بِأَوَاذِي الْمَعَالِي وَالْفُتُوَّةَ
 مَنْ رَأَى الْأَعْرَابَ فِي وَثَبَتِهِمْ .. عَرَفَ الْبَحْرَ وَلَمْ يَجْهَلْ طُمُوهُ
 إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ لِلْعُرْبِ عَلَاءً .. إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ لِلنَّاسِ أُخُوَّةَ
 فَادْرُسِ الْإِسْلَامَ يَا جَاهِلُهُ .. تَلَقَّ بَطْشَ اللَّهِ فِيهِ وَحْنُوهُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا أُمَّةٌ .. زَجَّهَا التَّضْيِيلُ فِي أَعْمَقِ هُوَّةَ
 ذَلِكَ الْجَهْلُ الَّذِي حَارَبَتْهُ .. لَمْ يَزَلْ يُظْهِرُ لِلشَّرْقِ عُتُوهُ
 قُلْ لِاتَّبَاعِكَ صَلُّوا وَادْرُسُوا .. إِنَّمَا الدِّينُ هُدًى وَالْعِلْمُ قُوَّةَ



وليس الشعراء هم وحدهم من
 جذبهم الأنوار المحمدية أو أثارت
 فضولهم الشمائل الكريمة؛ بل كان
 للأدباء والمحققين نصيبٌ وافٍ من
 الجهود المبذولة لسبر أغوار شخصيته ﷺ
 سعيًا للوقوف على سرِّ العظمة التي كانها
 ابن عبد الله بن عبد المطلب.

❁ ومما يلفت إليه النظر، ويثير في النفس العَجَب أن يكون من تصدى للكتابة عنه ﷺ من الأدباء
 والمحققين هم من تبوؤوا الذرى السامقة كلَّ في مجاله. وكأنَّه يحرم على سيرته ﷺ أن تكون نهبا للأوباش
 ممن هم عالة على الأدب والأدباء أو ممن ليس لهم في التحقيق قدمٌ راسخة أو باعٌ طويل.



فهذا هو أعظم أدباء روسيا^{١٠}، ومن خالدي الفن الروائي العالمي، وصاحب الملاحم القصصية العالمية: «الحرب والسلام» و«أنا كارينين» قد أخذت بلبه كلمات المصطفى الخالدة والتي عدّها الكاتب المرموق حكماً يجدر أن تُجمع بين دفتي كتاب له مع الناس حكايات لا تعدوا عليها يد الزمان فتُبّهت أو تُنسى فضائلها.

فكان له كتاب: «حكم النبي محمد» والتي حاول فيها تولستوي أن يقدم لقرائه الروس ولبقية الناس بعضاً من منتخبات أحاديثه ﷺ مما اعتبرها الكاتب من الحكمة الصافية التي تهدي إلى الأخلاق الحسنة، وتزكي في النفس البشرية معاني المروءة الخالية عن كل درن. «هذه تعاليمُ صاحب الشريعة الإسلامية، وهي عبارة عن حكمٍ عاليةٍ ومواعظٍ ساميةٍ تقود الإنسان إلى سواء السبيل...» "مقولةٌ تنبئُ عما كان يجول في خاطر هذا الأديب الأريب حينما نظر في أقواله ﷺ: فالمرء يكتب بمداد روحه، وعصارة فكره.

✽ وليس الأمر حكرًا على أديب روسيا الأعظم، فهذا شاعر فرنسا الأكبر على مر العصور: فيكتور هوغو، يضع الإسلام ضمن منظورٍ عالمي^{١٢}. وهنا يقرر أن محمداً ﷺ هو إضافةٌ لمن سبقه من الأنبياء وعلى الأخص نبي الله عيسى عليه السلام؛ إذ تجده يقول في قصيدته «الأرز»:

«هذا عمرٌ شيخ الإسلام والقانون الجديد * الذي أضافه محمد إلى ما جاء به عيسى...»^{١٣}

في حين أن قصيدته المعنونة: «السنة التاسعة من الهجرة» كان موضوعها وفاته ﷺ^{١٤}.

وللحديث بقية إن شاء الله

١٠ «تولستوي أعظم أدباء روسيا.. كيف رأى الإسلام وحكمة النبي محمد ﷺ؟»

١١ المصدر السابق.

١٢ «شجرة الأرز من التاريخ إلى الأسطورة: قصيدة غير معروفة لفكتور هوغو مناهضة للإسلاموفوبيا».

١٣ المصدر السابق.

١٤ «عظماء العالم يشهدون للنبي محمد ﷺ». تأليف: محمد عبد الجواد، صفحة: ٦٢، دار أكتب للنشر والتوزيع (٢٠٢٢).



القدوة الحسنة

المعظمة النبوية في التواصل والإقناع

محمود عبد الغفار

ماجستير في الإعلام

نواصل في هذا المقال الثالث والأخير حديثنا عن المهارات النبوية في التواصل والإقناع.

هـ. الإقناع باستخدام القياس

فقد جاء الإقناع هنا باستخدام القياس عبر الاشتراك في علة واحدة، مثلها حدث عندما جاء أعرابي يسأله عن مولود له لونه أسود غير لونه، وهو سؤال المتشكك المستنكر، وهو ما يحتاج فطنة عالية في الرد واستخدام دقيق لاستراتيجيات الإقناع، ومن لذلك غير خاتم الأنبياء وأفصح العرب رسول الله ﷺ؟



فلقد ضرب له الرسول ﷺ مثلاً مما يملكه هذا الأعرابي ليكون أقرب إلى فهمه، إذ سأله عن إبله وهل يأتي منها ما هو مخالف لأبويه في الشكل والصفة، فقال: نعم. عندئذ أخبره النبي ﷺ أن ذلك حاصل في البشر أيضاً.

ومع نص الحديث بصحيح مسلم: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: «فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَتَى هُوَ؟» قَالَ: لَعَلَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَكُونُ نَزْعُهُ عِرْقٌ لَهُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَذَا لَعَلَّهُ يَكُونُ نَزْعُهُ عِرْقٌ لَهُ».

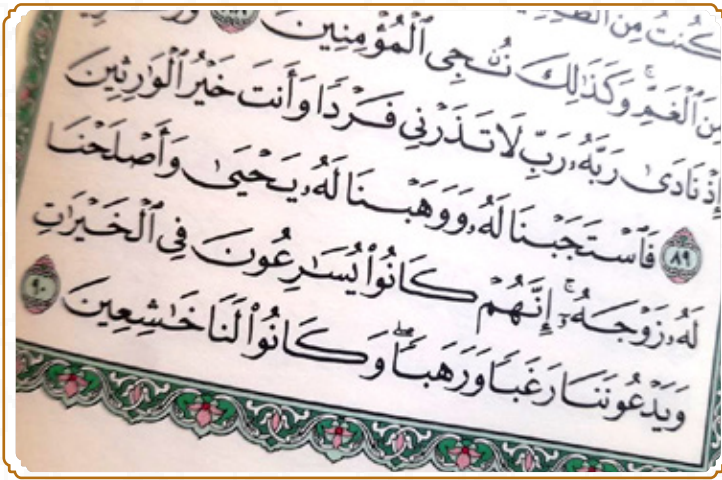
كما استخدم ﷺ أيضاً القياس والاستفهام التقريري؛ إذ روى البخاري عن ابن عباس أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحْجَّ فَلَمْ تَحْجَّ حَتَّى مَاتَتْ؛ أَفَأُحْجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا؛ أَرَأَيْتِ لو كَانَ عَلَى أُمِّكِ دِينَ أَكُنْتَ قَاضِيَةً؟ افْضُوا لِلَّهِ؛ فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ».



❁ ولقد اتبع رسولنا الكريم كذلك أرقى أساليب الإقناع بما يستميل به النفوس البشرية متعددة المشارب، عبر إنصاف المستمعين وذكر ما لهم من فضل ومآثر، والتواضع في الحوار خاصة أثناء عرض القضايا الجديدة عليهم، مع السعي لإرساء خلفية مرجعية لحسم مواطن الخلاف، وتوظيف الأقوال والمواقف للشخصيات المؤثرة بينهم في الماضي والحاضر، واستحضار مواقف الأمم المتحدة للقياس عليها.

ج. استمالات التخويف

✽ يعتبر استخدام استمالات التخويف (أو الترهيب) مكماً منطقياً لا بد منه مع الاستمالات العاطفية الدافعة إلى عمل ما (أو الترغيب)، لأن الله عز وجل جبل النفس البشرية على الاختيار بين الخير والشر؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، قال ابن عباس: أي بين لها الخير والشر. ورأى العلامة الشيخ محمد أبو زهرة - في كتابه: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - «أن الغاية من الترهيب في العقوبات: حماية الفضيلة وحماية المجتمع من أن تتحكم الرذيلة فيه، والمنفعة العامة أو المصلحة، لأنه ما من حكم في الإسلام إلا كان فيه مصلحة للناس».



ووازن الإسلام بدقة بالغة بين الترغيب والترهيب، وما ينتج عنهما من رجاء وخوف حتى يقع الإنسان في إفراط أو تفريط، فلا يتماهى في المعاصي مغترّاً بعظم رحمة الله، ولا يقنط من رحمته مخافة الترهيب من عذابه للمصرين على الذنوب والمعاصي.

✽ وقد استخدم الرسول الكريم ﷺ استمالات التخويف عبر عرض النتائج غير المرغوبة التي تترتب على المخالفة لأوامره عليه الصلاة والسلام.

جاء ذلك عندما كان النبي ﷺ وصحبه في طريقهم إلى محاربة الكفار في حنين، وعندما مروا بشجرة (تسمى ذات أنواط) يتبرك المشركون بها ويلقون عليها أسلحتهم، فطلب بعض الصحابة أن

يجعل لهم الرسول ﷺ مثل هذه الشجرة، فنهاهم عن ذلك مستخدماً استمالات التخويف بالنهي عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما هو من خصائصهم وعباداتهم.

فقد روى الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي واقد الليثي، رضي الله عنه «أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قال وكان للكفار سدرية يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرية خضراء عظيمة، قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «قلتم، والذي نفسي بيده، كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، إنها لسنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة».

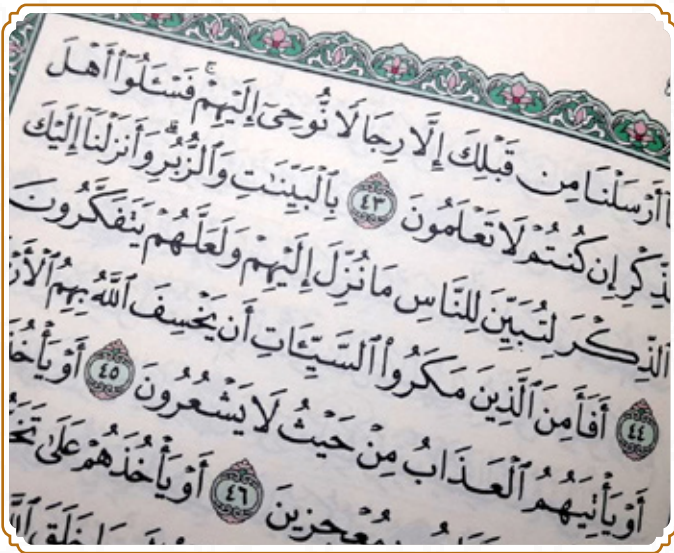
كما حذر رسول الله ﷺ بشدة من لعن المسلم لأخيه أو اتهامه بالكفر واعتبر من ينطق بذلك كمن قتل أخاه، وقال: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله»^١.

● ثانياً: أساليب الإقناع المستخدمة في الرسالة

١. وضوح الرسالة أمام المتلقي وعدم تركها

للاستنتاج الضمني

كان الهدف الأسمى للرسول الكريم ﷺ هو تبليغ دعوة الله لقومه وللعالمين معاً، وتجلي ذلك بوضوح في رسالته منذ البعثة حتى لقي ربه.



١ صحيح الجامع الصغير.

❁ فقد مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة، وفي المواسم بمنى، يقول: من يؤويني، من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟

وفي السيرة النبوية لابن هشام أن الرسول ﷺ «ظل عشر سنوات يقابل وفود القبائل والحجيج، فلما أراد الله تعالى إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ؛ خرج رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل كعادته فالتقى برهط من الخزرج أراد الله بهم خيراً. فقال لهم النبي ﷺ «من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالى يهود؟» قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون أكلهم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله تعالى، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

✍ وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله تعالى بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا، وهم ستة نفر جميعهم من الخزرج القادمين من يثرب».

وكان ذلك بداية الغيث والفتح الكبير لنصرة الإسلام والهجرة للنبي ﷺ وصحبه حتى إقامة الدولة الإسلامية في يثرب، والتي سُميت بالمدينة المنورة بعد هجرة خاتم الأنبياء إليها وتشرفها به.

٢. تقديم الرسالة لأدلة وشواهد



ورد في عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة الكثير من الشواهد والأدلة التي سبقت توصل العلم الحديث لها بمئات السنين.

فمثلاً جاء في صحيح الجامع من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «الناس معادن كعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

إضافة إلى أحاديث أخرى تشير إلى الفروق الفطرية الوراثية، كالألوان والصفات الخلقية وغير ذلك.

وهو ما توصلت الدراسات الحديثة إليه، خاصة قوانين الوراثة التي توصل إليها العالم الشهير (مندل).

٣. التكرار

يعتبر كثيرون من علماء الاتصال أن تكرار الرسالة من العوامل التي تسهم في الإقناع.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ استخدام التكرار في أحاديثه، ففي صحيح الترمذي عن أنس (يحكي عن الرسول الكريم ﷺ) «أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ

عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا». وقد سبق النبي ﷺ بذلك علماء الاتصال والتدريب في التأكيد على أهمية التكرار (خاصة ثلاثاً) في طرح المفاهيم الأساسية لتنبية المستمع إلى الأمر.

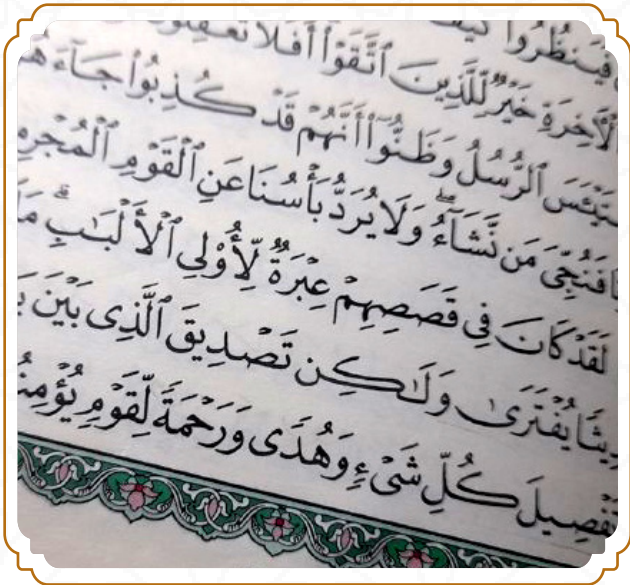
٤. سرد القصص

يعد استخدام القصص عند ضرب الأمثال من أهم الوسائل التي تؤثر في المتلقين وتسهم في تعديل أو تنشيط العوامل الإدراكية؛ إذ تشبع فيهم حاجات بعينها؛ مما يسهم في تغيير الاتجاهات والسلوك نحو الأفعال الإيجابية المطلوبة من قبل المرسل، وهو ما أراده عندما سرد القصص.

وحفلت السنة النبوية بالكثير من القصص

الشاملة للعديد من الحكم والعبر، خاصة عبر سرد قصص الصالحين وما بها من قدوة وموعظة.

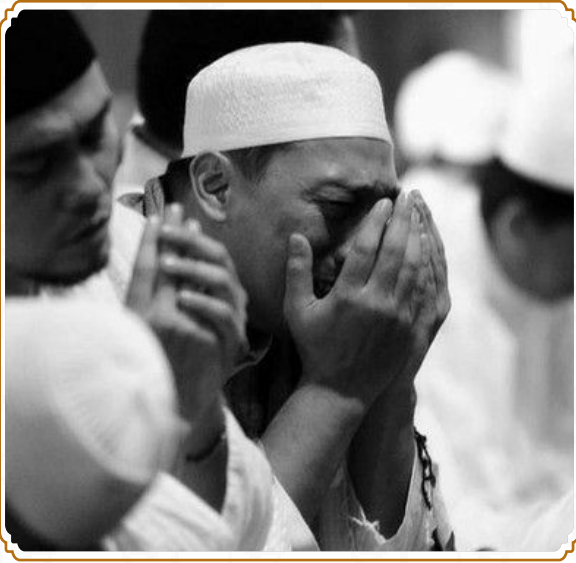
ومن أبرز الأحاديث النبوية التي وردت عن قصص السابقين من الصالحين، حديث الثلاثة الذين لجأوا إلى الغار، وفيه عبرة عظيمة عن الإخلاص، والبر بالوالدين، والوفاء بالأمانة، والعفة.



ونص الحديث كما ورد في رواية البخاري: «خَرَجَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصَّيِّئَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً،

فَجِئْتُ إِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ رَجُلٍ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَائِبُهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِّجَ عَنْهُمْ.



وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِئَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفُرِّجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثِينَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بَفَرَقٍ مِنْ ذُرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَلَسْتَ هَازِلِي بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢ وهو حديث متفق عليه (رواه البخاري ومسلم).



أ.د. قيس عبدالعزيز الدوري

أستاذ التاريخ الإسلامي

الأدب مع النبي ﷺ منهاج حياة

❁ في حياة الإنسان المسلم محطات عظيمة ترشده إلى معالم الكمال والسلوك الراقي، ولعل من أعظم هذه المحطات هي محطة الأدب مع النبي محمد ﷺ؛ فالأدب مع النبي ﷺ ليس مجرد خلق حسن، بل هو منهاج حياة ومظهر من مظاهر الإيمان العميق والحب الصادق لنبي أرسله الله رحمة للعالمين.





حين يتأمل المرء في سيرة النبي ﷺ، يجد أن شخصيته الكريمة قد اجتمعت فيها صفات النبوة والقيادة والتواضع والرحمة والحكمة، وكلها تدفع المؤمن إلى توقيره وإجلاله والتأدب في كل ما يتعلق به؛ في اسمه وذكره، في سنته وشريعته، في حديثنا عنه، بل وفي تعاملنا مع دينه الذي جاء به.

أولاً: مفهوم الأدب مع النبي ﷺ

✿ الأدب مع النبي ﷺ هو التعامل الواعي الممزوج بالخشية والمحبة والتعظيم، الذي يظهر في سلوك المسلم تجاه النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته، ويشمل هذا الأدب أقوالنا وأفعالنا ومواقفنا. إنه يعكس إدراكنا لعظمة الرسالة وفضل الرسول، فهو الذي بلغ، وأدى، ونصح، وجاهد، وربى الأمة، وكان أحرص الناس علينا.

قال الحافظ ابن

القيم: «الأدب مع النبي

ﷺ هو عنوان السعادة

والفلاح، ومفتاح القبول

والنجاح، فكلمها كان

العبد به مؤدباً كان عند

الله أرفع مقاماً».



ثانياً: توقيره وإجلاله ﷺ

❁ القرآن الكريم حافل بالآيات التي تؤكد على ضرورة توقير النبي، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ﴾ [الفتح: ٨-٩].

ف«تَعَزَّوهُ» تعني: تنصروه وتوقروه وتحفظوا مقامه الشريف.

ولم يكن الصحابة يعاملونه ﷺ كما يُعامل سائر البشر، بل بعظمة وهيبة، فهذا هو عمرو بن العاص يقول: «ما كنت أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئِلْتُ أن أصفه ما استطعت».

كانوا يخفضون أصواتهم بحضرته، ويجلسون بأدب ووقار، بل إن أحدهم ليكي إذا تذكر هيئته ﷺ.

ثالثاً: أدب الخطاب والحديث معه



من أرق صور الأدب القرآني ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

وقد نزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حين ارتفعت أصواتهم عنده، فكان أثر الآية عظيماً، حتى أن عمر بعد نزولها ما عاد يُسمع صوته في حضرته ﷺ.

ومن الآداب أيضاً أن لا يُنادى النبي ﷺ باسمه المجرد، بل يُقال: «يا رسول الله»، أو «يا نبي الله»، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

رابعاً: الأدب في الدخول على النبي ﷺ

❁ الله عز وجل وضع قواعد للزيارة والدخول عليه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: ٥٣]. لأن الإطالة دون حاجة تُسبب له الحرج، وكان النبي ﷺ يستحي من أن يطلب من ضيفه المغادرة، فجاء الوحي يضبط هذه المسألة. هذا درس في الخصوصية والأدب الاجتماعي.

خامساً: عدم مخالفة أمره أو ردّ سنته

طاعة النبي ليست تفضلاً، بل فرضاً إيمانياً، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. فلا يجوز التردد في أمره، ولا رفض حديثه، ولا معارضته بالعقل أو الرأي. من الأدب ألا تُجادل في أمر جاء به، أو تؤخر تنفيذه، أو نقدم عليه غيره، فقد قال الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ [النساء: ٦٥].

سادساً: تعظيم سنته والتأدب مع أحاديثه

سنة النبي ﷺ هي المصدر

الثاني للتشريع، والأدب معها يعني:

- عدم الاستخفاف بها.
- العمل بها ما استطعنا.
- الدفاع عنها ونشرها.



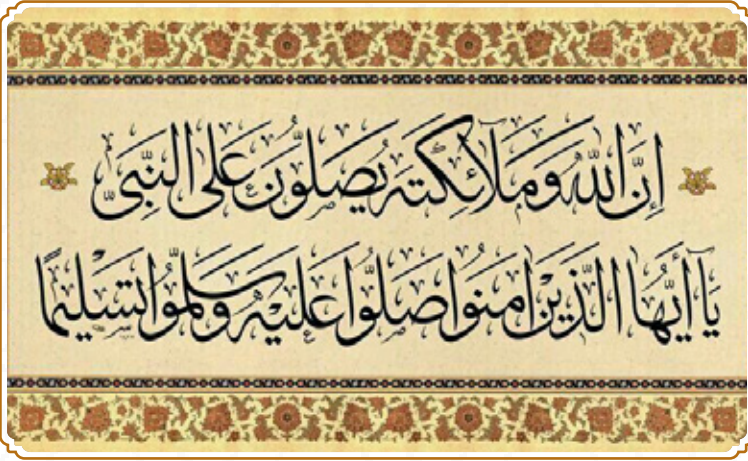


إن أي تقليل من سنته هو مساس بمقامه، لذا كان الإمام مالك بن أنس لا يركب دابته في المدينة المنورة، احتراماً للموضع الذي يضم جسده الشريف.

سابعاً: الصلاة والسلام عليه

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الصلاة عليه ﷺ هي باب من أبواب القرب منه، وهي صورة من صور الأدب والحب. من صلى عليه مرة، صلى الله عليه بها عشراً، وغفرت ذنوبه، وزكت أعماله. وقد قال النبي ﷺ: «إِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ»^١.



ثامناً: الأدب في عرض سيرته

✻ حين نكتب أو نعلم سيرة النبي، ينبغي أن تكون كلماتنا موزونة، ونبرة صوتنا مشحونة بالحب والتوقير. لا يجوز أن يُقدّم ذكره عرضاً كأننا نتحدث عن شخصية تاريخية عادية. بل هو خير من وطئت قدمه الثرى، بل هو الرحمة المهداة.

تاسعاً: الأدب عند زيارة قبره

زيارة قبره الشريف في المدينة المنورة من أعظم الأعمال، ومن أدب الزيارة:

١ أخرجه أبو داود.



- الوقوف بخشوع وسكينة.
- السلام عليه بأدب: «السلام عليك يا رسول الله».
- عدم رفع الصوت أو التقاط الصور أو الازدحام.
- عدم دعائه، بل التوجه بالدعاء إلى الله تعالى.

عاشراً: الأدب في الذب عنه والدفاع عنه

في زمن كثرت فيه الإساءات، يصبح من واجبنا أن نحمل سيف الأدب ونرد بالحكمة. الدفاع عن النبي يكون:

- بنشر سنته.
- تعليمها.
- الالتزام بأخلاقه.
- كشف زيف الشبهات بحكمة وعلم.

إن الأدب مع النبي ﷺ هو مفتاح لكل خير، وهو معيار الإيمان، ودليل على سلامة القلب، وعنوان لمحبة خالصة لا تشوبها الدنيا ولا الرياء.

لقد فهم الصحابة هذا المعنى العظيم، ففازوا بحب الله ورضاه. ونحن اليوم، إن أردنا أن نكون على أثرهم، فلتكن سيرتنا على خطاهم: توقير، محبة، طاعة، واتباع.

✽ فالأدب مع الحبيب المصطفى ﷺ ليس مجرد كلام يُقال، بل سلوك يُعاش، ونهج يُتبع، وخلق يُجسّد. وهو واجب لا ينقطع بموته ﷺ، بل يستمر فينا إلى أن نلقاه على الحوض.

نسأل الله أن يرزقنا كمال الأدب معه، وأن يجعلنا من الذين يحبونه حباً صادقاً، ويصلون عليه في الليل والنهار، وأن يحشرنا في زمرة، تحت لوائه، يوم لا ظل إلا ظله.

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع البصرة

لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام

أطلقت الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ مشروع البصرة للتعريف بالإسلام ونبيه ﷺ ودعوة غير المسلمين من غير الناطقين بالعربية للدخول في الإسلام، ومن يدخل منهم في دين الله يُلَقَّ ببرامج تعليمية تحتوي على عدة مسارات تعليمية وثقافية، لتعليم المهتدين الجدد مبادئ الإسلام، وتثقيفهم بما لا يسمع المسلم جهله، ومتابعتهم حتى ترسخ أقدامهم، ويكونوا حملة للدعوة في بيئتهم ومحيطهم. وينشط المشروع في الدعوة باللغات: الفرنسية والبرتغالية والإنجليزية. وستُوسَّع الدعوة بمزيد من اللغات إن شاء الله.

ندعو الجميع للإسهام كما نرحب بأصحاب الخبرة والتجربة، وكل من يرى في نفسه الهمة والكفاءة للتطوع والانضمام لفريق عمل البصرة في أحد هذه الأقسام:

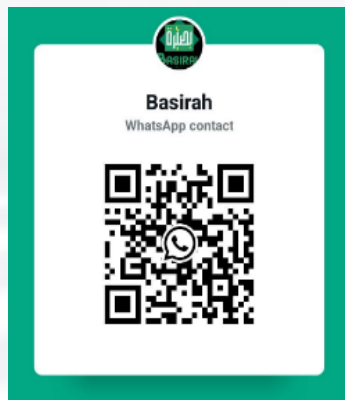
- قسم الحوار أو التعليم باللغة الفرنسية.
- قسم الحوار أو التعليم باللغة الإنجليزية.
- قسم النشر وإدارة صفحات السوشيال ميديا والمواقع الإلكترونية.
- قسم الحوار أو التعليم باللغة البرتغالية.
- قسم التصميم والمونتاج.

متطلبات التطوع لقسمي الحوار والتعليم:

- إتقان لغة القسم الذي سينضم له بدرجة ممتاز.
- قدر جيد من العلم الشرعي الذي يؤهل المحاور أو المعلم للقيام بمهمته.
- خبرة عملية في دعوة غير المسلمين غير الناطقين بالعربية.
- (في حال عدم وجود خبرة سابقة في المجال، يرجى ذكر ذلك).
- تخصيص وقت محدد (عدد ساعات) يلتزم بها المتطوع معنا في المشروع.

للتواصل معنا...

للتطوع معنا



﴿هَدَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

كَيْفَ أَسْلَمْنَا

لِلْإِسْلَامِ

٩٠

سؤال قادي للإسلام!
رومان ديني

٩٥

من الغناء في الكنيسة إلى الإسلام!
لورين دوتشي

١٠٠

ركام أزال غشاوة قلبي
أليو لو انغا



أغسطس 2025



مشروع البشارة الدعوي

عدد المسلمين الجدد حسب اللغات



62



اللغة الانجليزية



48



اللغة البرتغالية



53



اللغة الفرنسية

163

مجموع عدد المسلمين الجديد / أغسطس 2025

105

عدد المنخرطين في البرامج التعليمية

2005

إجمالي عدد المسلمين ضمن المشروع

1528

إجمالي عدد المنتسبين / الخريجين في قسم التعليم



رومان ديني

مدغشقر

السؤال الذي قادني إلى الإسلام!

أنا: رومان ديني، من مدينة «توليوارا» الواقعة على الساحل الجنوبي الغربي من جزيرة مدغشقر.

وُلدتُ في أسرة تعمل في صيد الأسماك منذ أجيال. تربينا على تقديس البحر، لا لشيء إلا لأنه مصدر رزقنا الوحيد. كما نعلم أبناءنا منذ الصغر أن البحر يسمعنا إذا تحدثنا إليه، وأن الأرواح تحرسنا إن قدّمنا لها القرابين في أول مواسم الصيد!





لم نكن نعتنق ديانة واضحة، بل مزيجاً من العادات الوثنية والموروثات المحلية، وشيء قليل من المسيحية التي أدخلها إلينا بعض المبشرين الفرنسيين. لكنني -رغم كل شيء- لم أشعر يوماً أنني أفهم لماذا أوجدت في هذا العالم. لماذا يموت أبي وأخي، وأنا لا أزال شاباً؟ لماذا يُولد بعضنا في فقرٍ مدقع، والبعض في قصور؟ لماذا نصلي لبحرٍ أخرس؟!

كنتُ أعمل في إصلاح شباك الصيد عند الشاطئ، وأسجل في أوقات الفراغ بعض الفيديوهات للسيّاح عن الحياة البحرية، وأنشرها على الإنترنت مقابل مبالغ بسيطة من منصات المحتوى. كنت أحب الكاميرا، والحديث إلى الناس، والبحث عن ثقافات أخرى.

وذات يوم، كنت أبحث عن مقاطع فيديو باللغة الفرنسية حول «الهدف من الحياة». كانت تلك ليلة عاصفة، لا يمكن الخروج فيها للصيد. كنت أشعر بخوف داخلي، ولا أدري لم، فكتبت في محرك البحث: «لماذا خلقت؟! وماذا بعد الموت؟!»

ظهر لي مقطع بعنوان: «لماذا خلقنا الله؟»، من

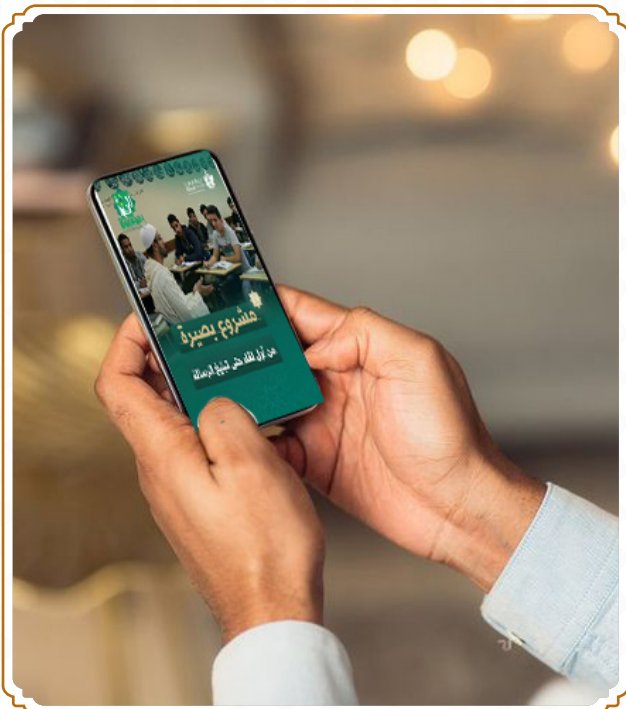
إنتاج مشروع دعوي اسمه: بصيرة.

❁ بدأت المشاهدة.. كان الصوت هادئاً، والكلمات عميقة، والمفاهيم التي تُقال كأنها المرة الأولى التي أسمعها رغم أنني بلغت السابعة والعشرين.

ختم الفيديو بدعوة بسيطة: «إذا كنت تبحث

عن الحقيقة، فنحن هنا لنحاورك، لا لنقنعك، بل

لنجيبك بكل صدق واحترام».



في البداية ترددت.. ثم مضيت وفتحت المحادثة مع أحد الدعاة عبر المشروع. لم يطلب مني تغيير شيء، فقط سألتني: «ما الذي يشغل عقلك وقلبك؟ ولماذا تبحث وعمّا تبحث؟»

بدأنا المحادثة، وكنت كل ليلة أطرح عليه سؤالاً جديداً: 



- لماذا نعبد إلهاً واحداً؟
- من هو محمد؟
- ما الفرق بين الإسلام والمسيحية؟
- ماذا يقول القرآن عن غير المسلمين؟
- ما موقف الإسلام من الفقراء مثلي؟

وكان يجيب بهدوء وبلا تعالٍ، ويرسل لي فيديوهات مترجمة، ونصوصاً قصيرة، واقتباسات من القرآن. كنت أدون ملاحظاتي.. وأحياناً أبكي وأنا وحدي!

مرت ثلاثة أسابيع.. وفي صباح أحد الأيام مات جاري، رجل كبير كنت أزوره أحياناً. لا شيء غير متوقع فقد كان مريضاً. لكن تلك الليلة، شعرت أنني لا أستطيع تجاهل سؤالي القديم: ماذا بعد الموت؟

❁ وعدتُ لأحد المقاطع التي أرسلها لي الداعية، كان يتحدث عن الموت في الإسلام، لا نكثمة، بل كبدية للحياة الحقيقية الخالدة.

حينها فقط فهمت.. أن الحياة التي نعيشها ليست عبثاً. أن الله عادل. أن كل مظلوم سينال حقه، أن الظالم سينال عقابه. وأن مَنْ خلقنا لم يتركنا تائهين.. بل خلقنا لحكمة أكبر مما كنت أظن.



في مساء ذلك اليوم، كتبت
للداعية في مشروع بصيرة:

«أنا لا أعرف كل شيء بعد،
لكنني أعرف أن قلبي لم يطمئن
يوماً كما اطمأن بما عرفته منك عن
الإسلام.. أنا أريد أن أكون مسلماً».

فرح الداعية وأظهر لي سعادته الكبيرة، و علمني كيف أنطق الشهادتين.

كنت أبكي وأنا أقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

❁ بعد إسلامي، شعرت أن كل شيء من حولي بدأ تغير، حتى البحر.. لم يعد المكان الذي أرعيني في
صغري، بل أصبح يذكرني بعظمة خالقي، الذي سخره لي.

بدأت تعلم الصلاة، وكنت أستيقظ فجراً لأتوضأ، وأصلي على شاطئ البحر.

كنت أعيد مشاهدة المقاطع، وأقرأ القرآن من ترجمة فرنسية أرسلها لي الداعية.

كنت أدون كل ما لا أفهمه وأرسله له، فيرد عليّ بلطف وصبر.

وفي الأسبوع الثالث، بدأت ألاحظ نظرات أخي الأصغر إليّ، واهتمامه بما أفعل. فسألني: «هل

أصبحت مسلماً؟» فأجبته: «نعم، أصبحت عبداً لله وحده.. لا أخاف البحر، ولا أرواح الأجداد، ولا بشراً».

فقال: «هل أستطيع أن أتعلم مثلك؟» فأرسلت له رابط مشروع بصيرة، وعلمته ما تعلمته مع المشروع. كان أخي دائماً يراقب سلوكي وسكينة وجهي وأنا أقرأ القرآن.



وبعد مرور شهرين، وجد أخي ضالته، ونطق الشهادتين بفضل الله.

اليوم، نحن اثنان من عائلة لا تعرف الإسلام، نحاول أن نكون منارة صغيرة في مدينة نائمة.

✿ نصلي، ونتعلم، ونقرأ. وأدعو كل يوم لأمي وإخوتي بالهداية. فأنا على يقين.. أن من قادني لهذا النور، لن يضيع دعائي.

✍️ وأختم قصتي هذه برسالة لمن يقرأ هذه الكلمات:

قد تكون بعيداً عن الإسلام جغرافياً، أو ثقافياً، أو حتى نفسياً.. لكن اعلم أن الحق لا يعرف مكاناً، وأن الله إذا أراد بك خيراً، قادك إليه، ولو كنت في طرف العالم.

فشكراً لمشروع بصيرة.. كنتم النور الأول الذي أنار قلبي، بعد ظلمة طويلة وسبباً في إسلامي وتعليمي. فجزاكم الله عني كل خير.



من الغناء في الكنيسة إلى الإسلام!

لورين دوتشي

دولة بنين

أنا: لورين دوتشي، من مدينة باراكوا في شمال شرق بنين.

كنتُ أعزف على آلة الأرغن في كنيسة الحي منذ أن كنت في الخامسة عشرة. 

كنت فخورة بذلك، الجميع كان يناديني بلقب «مغنية الكنيسة الصغيرة»، وصوتي كان

يلامس القلوب، كما يقولون!



عائلي كنت بروتستانتية متدينة، وكان والدي
يحرص على اصطحابي كل أحد إلى جلسات الوعظ،
حيث يُقال لنا إننا أبناء الله، وإننا نغفر بالخلاص، وإن
المحبة وحدها تكفي! لكنني لم أكن أطمئن لهذا أبداً!

كنت أستيقظ أحياناً بعد منتصف الليل، وأتساءل:
إذا كنا أبناء الله، فلماذا نعاني هكذا؟ ولماذا نولد على أديان
مختلفة؟ ومن هو الله أصلاً؟ وكيف نعرفه حقاً؟

كنت أبحث عن إجابات لا أجدها في عظات القسّ، ولا في كلمات الأغاني، ولا حتى في صلوات
أمي.. أخفيت شكوكي عن الجميع، لكن داخلي كان يمتلئ بالأسئلة.

في يوم من الأيام، كنت أتابع على الإنترنت بثاً مباشراً على صفحة مهتمة بالمناظرات بين الأديان.. أثار
فضولي مقطع مترجم لداعية مسلم يتحدث عن الله بأنه «واحد، لا يشبه أحداً، لم يُولد ولم يلد».

أدهشني هذا الكلام، لم أسمعه من قبل بهذه الصيغة.

في تلك اللحظة، قادني الفضول إلى البحث أكثر عن الإسلام.. قدراً وجدت إعلاناً لمشروع اسمه
«بصيرة» للدعوة إلى الإسلام. كان مكتوباً في صفحتهم:

«إن كنت تبحث عن الحقيقة.. فنحن هنا لنستمع لك، ونحاورك ونجيبك ونمد لك يد العون».

ترددت قليلاً، ثم قلت لنفسي: «لن أخسر شيئاً إن سألت».

بدأت المحادثة مع أحد الدعاة من المشروع.. وكتبت: «أنا لا أكره ديني.. لكن قلبي لا يشعر باليقين».

هل حقاً أنتم تؤمنون بإله واحد فقط؟ دون وسيط؟» وهنا بدأ الحوار بيننا.

الداعية لم يسألني عن اسمي، ولا عن ديني، فقط سألتني: «هل تؤمنين أن الكون له خالق؟»



قلت: «نعم، لكن لا أعرف من هو هذا الخالق حقاً». قال: «نحن المسلمون نؤمن أن الله واحد، لا

يشبه خلقه، ولا يحتاج إلى أحد، وأنه أرسل رسلاً، خاتمهم محمد ﷺ، ليبلغوا رسالته للناس».

ثم أرسل لي ترجمة سورة الإخلاص.. قرأتها مراراً، ثم بكيت.. كلمات بسيطة، لكنها كأنها مفتاح كان

ينتظر قفل قلبي. ثم أرسل لي مقطع فيديو قصير عن التوحيد، ثم سألته سؤالاً كنت أخاف حتى التفكير فيه:

«لماذا لا يؤمن المسلمون بأن عيسى ابن الله؟»

فأجابني بأدب جم: «لأن الله لا يلد، وليس بحاجة إلى

ولد. ولأن عيسى عليه السلام نبي كريم، أرسله الله بمعجزات،

كما أرسل غيره من الأنبياء، لكنه بشر مخلوق، وليس إلهاً».

وفي نهاية الحوار، قال لي الداعية: «يا لورين.. الله لا يريد



منك أن تحفظي القرآن الآن، ولا أن تفهمي كل شيء، فقط

يريد منك خطوة صادقة نحوه.. والباقي عليه».



في تلك اللحظة.. شعرت أنني وجدت ما كنت أفقده طوال حياتي: وهو «اليقين».

قلت له: «وهل يمكنني أن أصبح مسلمة الآن؟»



قال لي بحماسة هادئة: «نعم، الآن.. في هذه الليلة، وفي هذه اللحظة، قولي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله».

نطقتها وأنا أرتجف.. لا من خوف، بل من رهبة القرار وسعادة في القلب. شعرت أنني أخرج من سجن فكري، وأدخل في نورٍ جديد.

انتهى الحوار، لكن قلبي بدأ من هناك. مسحت أغاني الكنيسة من هاتفي، وبدأت أستمع للقرآن. كنت لا أفهم اللغة العربية، لكن فقط سماعه كان يكفي، كأن كل خلية في جسدي تفهمه.



في الأيام التالية، عرفت كيف أتوضأ، كيف أصلي، كيف أقول «الحمد لله» بدلاً من كل أنيني القديم.

❁ بدأت أرتب يومي حول مواقيت الصلاة، وأقرأ من كتاب «سيرة النبي» الذي أرسله لي نفس الداعية. لم أكن أعلم شيئاً عن محمد ﷺ من قبل، لكن سيرته كانت نقية، إنسانية، عميقة.. جعلتني أوقن أن من أدبه وعلمه هو الله.

كنت وحدي في إسلامي.. لكنني لم أكن أبداً أشعر بالوحدة.. كل مرة أقرأ فيها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أشعر أنها دعوة من قلبي، نطقها لساني أخيراً.

بعد أسبوع من إسلامي، لاحظتُ أمي أنني لم أعد أذهب إلى الكنيسة. سألتني: «هل أنتِ بخير؟» قلت: «أنا بخير لأول مرة..» لم أشرح أكثر، فقط دعوت لها في كل صلاة أن يُنير الله قلبها كما أنار قلبي.



اليوم، أنا لورين، مسلمة جديدة من بنين، أقول بثقة:

✽ لم أعد أبحث عن الله.. فقد وجدت الطريق إليه، ليلةً واحدة كانت كافية لأن أبدأ حياةً مختلفة، بفضل الله، ثم مشروع بصيرة الذي أخذ بيدي إلى النور والهداية.. وفتح لي باباً لتعلم تعاليم الإسلام معهم دون مقابل.. لهم مني كل الحب والدعاء.

ادعوا لي بالثبات وأن أحفظ القرآن الكريم.. والحمد لله!



أليو لوانغا

الكونغو

ركام أزال غشاوة قلبي

أنا: أليو لوانغا من جمهورية الكونغو - برازافيل

أعمل في مجال المقاولات والبناء، وأملك ورشة صغيرة لتصنيع الطوب الإسمنتي. كل يوم يبدأ عند الخامسة صباحاً، وينتهي مع غروب الشمس.. كأن الحياة عندي أصبحت مجرد سلسلة من الأصوات: آلة الخلط، والمطارق، والسيارات، والديون، والصراخ.





كبرت في بيت فقير، لا مكان فيه للرفاهية، ولا مساحة للسؤال عن معنى الحياة. والدي كان يشرب الخمر كثيراً، ووالدي كانت تعمل خادمة في البيوت. لم يكن لنا دين واضح، كنا نحتفل ببعض أعياد الكنيسة، ونضع بعض التماث حول رقابنا، ونخشى الأرواح واللعنات أكثر مما نخاف الله! ومع الوقت، فقدت القدرة على الإيمان بأي شيء.

قبل شهر من الليلة التي غيرت حياتي، تعرضت لحادث في أحد مواقع البناء. سقطت كتلة خرسانية على رجلي، وأجبرني الأطباء على البقاء في البيت لمدة أسبوعين. كنت أناام بصعوبة، وأتقل بعكاز خشبي، وأشعر أنني فقدت السيطرة على حياتي.

لكن الشيء الذي لم أكن أتوقعه.. هو أن هذه العزلة القسرية هي التي ستفتح لي باباً لم أطرقه يوماً: باب الأسئلة الكبرى: **من أكون؟ لماذا خلقت؟ لماذا أموت؟ ماذا بعد الموت؟ ومن هو الله؟ هل نسمنا أصلاً؟ وهل يهتم بنا ونحن نكاف في الطين والغبار؟**



❁ بدأت أبحث على الإنترنت عن فيديوهات دينية، وكنت أتقل بين قنوات مختلفة. لم أكن أبحث عن دين جديد، فقط أردت أن أجد فكرة تُقنني أن الحياة ليست عبثاً.

وفي يوم من الأيام، ظهر لي إعلان على الإنترنت لمقطع بعنوان: «ماذا يريد الله منك؟» على منصة

مشروع اسمه: «مشروع بصيرة».

ضغطت على الفيديو، وإذا بشخص يتحدث بالفرنسية بلغة بسيطة، يشرح أن الله خلق الإنسان ليعبده، لا ليعذّبه، وأن كل إنسان في داخله بذرة فطرة، تبحث عن خالقها.

كان الكلام مختلفاً.. ليس مثل خطب الواعظين المتعجرفين، ولا مثل الأغاني الدينية التي تُشعرك بالذنب فقط.. كان حديثاً للعقل وللروح.

وفي نهاية الفيديو، وضعوا رابطاً لمن يرغب في الحوار المباشر.. ترددت للحظة، ثم كتبت رسالة قصيرة: «مرحباً، أنا أليو من الكونغو.. هل يمكنني أن أسأل بعض الأسئلة عن الإسلام؟»

جاءني الرد في الحال، من داعية من مشروع بصيرة، رحّب بي دون أن يسألني عن ديني أو مذهبي، فقط قال: «بالطبع.. كل سؤال في قلبك له مكان في هذا الحوار».

قلت له بصراحة: «أنا لا أوّمن بشيء حالياً.. لكنني أبحث عن الله».

فقال لي: «هذا أجمل ما يمكن أن يقوله إنسان.. لأن الله يحبّ من يبحث عنه بصدق».



بدأ يشرح لي عن التوحيد.. عن أن الله واحد، لا يُشبه أحداً، لا أب له ولا ابن، لا يحتاج وسطاء ولا كهنة.

قال لي: «في الإسلام، لا تحتاج أن تدخل معبداً لتتحدث إلى الله، فقط توضعاً، وقل: يا الله.. فيراك ويسمعك».

أرسل لي ترجمة سورة الفاتحة، وشرحها لي جملة جملة.. كانت كأنها دعاء قلبي، بلغة لم أكن أعرف أنني أعرفها!

سألته: «لكنني لا أعرف شيئاً عن الصلاة، ولا القرآن، ولا حتى عن محمد، وكيف أصبح مسلماً؟»

فقال لي بهدوء: «أليو، الإسلام لا يشترط أن تكون عالماً لكي تدخل إليه.. بل أن تدخل إليه لكي تبدأ بالتعلم. يكفيك أن توقن وتشهد أن لا أحد يستحق العبادة إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله».



وبلا مقدمات.. وجدتني أقول له: «أنا

مقتنع.. أريد أن أنطق الشهادتين الآن».

فرح كثيراً، وقال لي: «ردد معي: أشهد أن

لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

قلتها بصوت مرتجف، وأنا في زاوية

غرفتي، في نفس الليلة، بعد أول حوار

صادق في حياتي.

بكيت.. لم أعرف لماذا!

ربما لأنني شعرت أنني أخيراً وصلت، بعد أعوام من التيه! ربما لأنني وجدت من يسمعني، بعد عمر

من الضجيج! منذ تلك الليلة، وأنا أتعلم الإسلام بالتدريج.

أرسل لي الداعية رابط المجموعة التعليمية لأبدأ تعلّم الصلاة والطهارة، وسيرة النبي محمد ﷺ، والقرآن الكريم واللغة العربية.. كنت أستمع، وأشعر أن داخلي يعاد بناؤه.. حجراً حجراً، كأني أُشيد نفسي من جديد، لا بالطوب هذه المرة، بل باليقين.



رجلي ما زالت تتعافى، لكن قلبي الآن أقوى من أي وقت مضى.. أنا أليو.. لم أكن يوماً أتصور أنني سأصبح مسلماً، في غرفة صغيرة، في ضاحية من ضواحي برازافيل، بعد حوار واحد فقط.

لكني اليوم مسلم، ولا شيء أعزّ عليّ من هذه الكلمة.

شكراً لمشروع بصيرة.. منكم بدأت الحكاية، وإليكم يعود الفضل بعد الله.

يارب أسالك الثبات والسعادة عند اللقاء بك! عبدك الفقير المؤمن: أليو لو انغا.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾

سفراء النبي ﷺ

مقالات سفراء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

١٥٦

حوار مع النائب يوسف عجيسة الجزائري
م. خالد بن سليمان الأحمر الأنصاري

١٣٦

سيد قطب في ظلال القرآن (٢)
أ.د. خير الدين خوجة الكوسوفي

١٤٢

أديان باطلة (٢)
فرج كُندي



حوار مع

النائب يوسف عجيسة الجزائري

حاوره: م. خالد بن سليمان الأحمر الأنصاري

- شعارنا الخالد والدائم: «نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة»
- لاقيتُ معارضة من المطبّعين لأتنازل عن مشروع قانون تجريم التطبيع
- قبل طوفان الأقصى كادت القضية الفلسطينية أن تُنسى
- الجيش الصهيوني يدعمه حلفاؤه وعلى رأسهم أمريكا والاتحاد الأوروبي
- قصف الصهاينة سفينتنا بصاروخين فلم تعد صالحة للإبحار لفك الحصار



بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد، نرحب بكم في فضاءات الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ وفي مجلتها «مجلة الظنبي».

❁ وأتشرف في هذه الجلسة المباركة باستضافة شخصية ثرية في تعدد مجالاتها بين الهندسة الميكانيكية، والدعوة، والخطابة، والتمثيل السياسي الدبلوماسي. شخصية رصينة في تحصيلها الشرعي والعلمي، نافذة في فاعليتها، لا يحدها مصر، ولا قطر، بل تجاوز نشاطها الحدود والأقطار والأمصار. ودون إطالة عليكم، حوارنا اليوم مع الشيخ الداعية سعادة النائب الجزائري يوسف عجيسة.

س: حياكم الله أستاذ يوسف، أهلاً وسهلاً بكم.

ج: أهلاً وسهلاً ومرحباً أشكركم على الدعوة لمجلة الظنبي ولكل

متابعيها وقارئها.



س: سعادة النائب، لا أخفي عليك سرّاً؛ إنني تعقبت

الكثير من القنوات والإذاعات العربية وغير العربية، من

بلدان إسلامية وغيرها، بهدف التعرف على شخصكم الكريم،

فوجدت ما شاء الله من التنوع والحركة! ومما تأكد عندي

أن أفضل من يُعرّف بالأستاذ يوسف عجيسة هو أنتم؟

ج: بارك الله فيك أستاذ خالد. أنا سعيد جداً كوني معكم في هذه المناسبة، وأن أكون ضيفاً



لهذه المجلة الرائدة وأصحابها. المتحدث يوسف عجيسة، من الجزائر، متزوج، وأب لخمس بنات وولد،

من مواليد ١٩٦٩م في مدينة العلم والعلماء قسنطينة العريقة، وبالضبط من بلدية الحامة بوزيان. كانت دراستي في قسنطينة، وتخرجت في جامعة قسنطينة مهندس دولة في الميكانيك الطاقوية. بعدها مباشرة كانت لي بعض الأعمال الحرة، ثم وُظفت في مؤسسة عمومية في قسنطينة، ومنها عملت في إطار مراقبة النوعية والجودة في مديرية التجارة بقسنطينة لمدة عشر سنوات كاملة. في تلك السنوات دخلت العمل الإعلامي والصحافي بعدة برامج، وعدة حصص في إذاعة قسنطينة الجهوية.

❁ وكان على رأس تلك البرامج برنامج «دليل المستهلك»، ثم فاقه انتشاراً وحضوراً وتأثيراً برنامج آخر لي هو «حديث الصباح». وقبل هذا كان لي برنامج «حكمة وعبرة».

وبعده كان برنامج «مساجدنا» الذي استمر سنة كاملة تقريباً، وتحدثنا فيه عن كثير من المساجد الموجودة في أصقاع الدنيا، وختمناها بالحديث عن «المسجد الأقصى». وأتذكر أننا قدمنا حلقات كثيرة وطويلة في التعريف بالمسجد الأقصى المبارك.

وقدمت برنامج «اقتصادنا في الميزان»

الذي كان برنامجاً تحاورياً مع المواطنين ومع أصحاب الخبرة.

✍ قبل كل هذه البرامج كان لي عمل دعوي وتربوي كبير؛ فنذ نعومة أظفاري ونحن نمارس الدعوة إلى الله عز وجل، وبقينا نمارس العمل الدعوي حتى سنة ٢٠١٧م.



❁ ومارست أثناءها الخطابة؛ إذ اعتليت المنبر وأنا ابن ١٧ سنة، بفضل الله عز وجل، ثم تنوع عملي في مساجد قسنطينة والولايات الأخرى، ضمن إطار مؤسسات وجمعيات، أو ضمن إطار مديرية الشؤون الدينية في قسنطينة. وبهذه المناسبة أذكر أنه كانت هناك مسابقة لأحسن خطيب في ولاية قسنطينة، وبفضل الله عز وجل كنت على رأس قائمة الفائزين. وهذا ربما سر أبوح به اليوم، فله الفضل والمنة!



ثم دخلنا العمل السياسي والدبلوماسي من خلال ترشحي للمجلس الشعبي الوطني [وهو المجلس التشريعي]، وبتوفيق الله عز وجل نجحنا في هذه المهمة التي دامت خمس سنوات كاملة من ٢٠١٧ إلى ٢٠٢١م.

بعدها حل البرلمان، وأعيدت انتخابات أخرى، خفضنا غمارها مرة أخرى، وانتخبت للعهدة الثانية في البرلمان. وهذا بفضل الله عز وجل. وباقي التفاصيل نتحدث عنها لاحقاً.

س: لعل سؤالاً يتبادر إلى الذهن بعد هذا التعريف؛ من منبر الجمعة إلى منصة البرلمان،

أيهما الأصعب؟

ج: حقيقة كلاهما صعب، لكن تختلف نوعية هذه الصعوبات؛ إذ حينما نتحدث عن منبر الجمعة نتحدث عن الحضور، وعن الإلقاء. نتحدث عن المواضيع، وعن الرسالة. نتحدث عن رمزية الإمام، وعن وجوده في حيه، وفي بلدياته، وفي ولايته. نتحدث عن مسؤوليات المسجد. فهذه كلها كان لها دور! وكنت أحس



بمسؤولية كبيرة جداً؛ إذ لما أذهب إلى مستوى آخر، أجد أنه ربما كان يسمعي قليل من الناس في المسجد.

❁ وحينما نتحدث عن البرلمان؛ نتحدث عن مسؤولية أخرى، وعن أعمال أخرى. نتحدث مثلاً عن مسؤوليتي تجاه من انتخبني وأوصلني إلى هذه المكانة، وعمما ينتظره مني من أداء!

وحينما نتحدث عن النائب في البرلمان؛ نتحدث عن دوره الأساس وهو رفع انشغالات الناس، والأمر الثاني مراقبة أداء الحكومة.

وهذا يفتح أبواباً كثيرة جداً، كمنصب له رمزيته وله حصانته، من خلال الوجود مع السلطات المحلية، مع الإدارات، مع الوزارات، مع المديریات على المستوى الوطني. فهذا كله يزيد أعباء المسؤولية أكثر.

ولم يعد دوري منحصراً في الجانب الوعظي والخطابي وفي المسؤوليات الضيقة، ولكن أصبح الآن يراني ويتابعني ملايين الجزائريين.

❁ وحينما نتحدث عن النيابة -يا أستاذ خالد- نتحدث عن عهدة وطنية؛ يعني أنك ككاتب لست مطالباً فقط أن تتابع وترفع انشغالات سكان الولاية فقط، ولاية قسنطينة، مثلاً ولكن قد تأتيك انشغالات من كل مكان في الجزائر، من ولايات في الجنوب، من ولايات في الشمال، في الغرب، فأنت تصبح بذلك مشغولاً.

حينما دخلنا البرلمان أصبح الوجه معروفاً، وأصبح الاسم متداولاً، وزادت المسؤوليات. وكثاب
تعرض لكثير من النقد سواءً إيجاباً أو سلباً.

❁ لذلك، حينما نتحدث عن المنبر وعن أداء الدعاة والتربية؛ نتحدث عن أداء الأنبياء «العلماء ورثة
الأنبياء». وحينما نتحدث عن العمل البرلماني نتحدث عن الشخصية السياسية التي يتابعها العام والخاص.
فلذلك كلاهما فيه مسؤولية وكلاهما واجب!

**س: ننتقل من الخطابة والدعوة إلى القضية الفلسطينية، وأنتم من أهم الفاعلين والناشطين
في هذه القضية، سواءً على مستوى الجزائر أم على المستوى العالمي. ومع الأسف، سعادة النائب،
صار الكثير يهرول بل يركض بأقصى سرعة نحو التطبيع. وقد قدمتم مشروعاً يجرم التطبيع مع
الكيان الصهيوني. حبذا لو حدثتنا عن المشروع، وآفاقه، وهل هو في ساحة الممكن أم المستحيل؟**



ج: والله، أنت فتحت الموضوع من
نهايته! أنت تعلم وتدرك أن انشغالنا بالقضية
الفلسطينية كان منذ زمن طويل. و«نحن
مع فلسطين ظالمة أو مظلومة». ونحن جزء
من الشعب الجزائري كما تعلم. والشعب
الجزائري كله يعدّ القضية الفلسطينية قضية

مركزية، قضية أولى. شعارنا الخالد والدائم «نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة». الجزائر، بكل
مراحلها، لم تتخلف، ولم يتغير موقفها الدائم المناصر للقضية الفلسطينية. ويكفي أن دولة فلسطين
تأسست هنا في الجزائر حينما رفضها ورفضتها كل الدول العربية! وهذا ما يجعلنا مسؤولية أكبر!



❁ وإخواننا في فلسطين، وحتى في غزة الآن، يستلهمون من الجزائر، يستلهمون من تاريخنا، من جهادنا، من شهدائنا، من نضالنا. وأنا دائماً أقول إن بين الجزائر وفلسطين قضية عشق لا تنتهي، وقضية حب لم يفهمه كثيرون.

لذلك إذا سُئل الجزائري: لو لم تكن جزائرياً فماذا تكون؟ فالإجابة تكون مباشرة: «أكون فلسطينياً». ويُسأل الفلسطيني: لو لم تكن فلسطينياً فماذا تكون؟ يجب مباشرة: «أكون جزائرياً»!

نحن، حقيقة، تعاملنا مع القضية ونحن شباب عن طريق المعارض، والمداخلات، والمحاضرات، والمنتديات، والملتقيات، ثم ارتقينا في هذا العمل من خلال وجودنا في مؤسسات دولية؛ مثلاً كنت من المؤسسين لـ«الائتلاف العالمي لنصرة فلسطين والقدس». وكنت أيضاً من المؤسسين لـ«هيئة الإعمار»، والآن أنا عضو في «رابطة برلمانيين من أجل القدس»، وهي رابطة تجمع كل البرلمانيين الحاليين والسابقين، في إطار العمل الدبلوماسي البرلماني، نصره للقضية الفلسطينية.

❁ وكنت أيضاً مؤسساً لبعض الهيئات والمؤسسات، بعد معركة طوفان الأقصى، مثل «أمناء الأقصى» وهي تضم علماء الأمة، ودعاتها، وخطباءها. وشاركت بوفد جزائري مهم. وقد أسسنا هذه المؤسسة التي ننتظر منها أن تعي وأن تحرك الجماهير العربية والإسلامية، ومنها «مؤسسة نساء الأقصى».



❁ وقد شاركت «جمعية الأيادي البيضاء»

الجزائرية، التي رأسها، بوفد نسائي. ولهذا العمل دور مهم على المستوى العالمي، وفي قطاعنا الحبيب، خلال هذه الحرب الكبيرة.

نعود إلى سؤالك -يا أستاذ خالد-

وهو مسألة التطبيع. وحقيقة، من خلال وجودي، في العهدة الأولى من البرلمان،

كان معنا عضو مجلس فلسطين الدائم في برلمانات دول التعاون الإسلامي، وهي ٥٧ دولة، وهو ثاني أكبر تجمع في الأمم المتحدة. ٥٧ دولة إسلامية، منها الدول العربية، والأفريقية، والآسيوية، وتركيا، وغيرها.

✍ حينما كنت عضواً في هذه اللجنة، كانت لنا لقاءاتنا الدورية تقريباً. وكان أهم لقاء حينما حوّل (ترمب)، هذا الأرعن، في عهده الأولى عاصمة الكيان الصهيوني من تل أبيب إلى القدس. وكان أول لقاء لي بهذه اللجنة، التي فيها كثير من الدول الأعضاء، عام ٢٠١٨م. ولاحظت فيها أن هناك مساراً آخر نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني. وكانت لي مداخلات كثيرة جداً، وهي محملة على اليوتيوب، تتحدث عن مواجهتي، كفردٍ ممثلٍ للجزائر، لهؤلاء الذين أرادوا أن يجعلوا التطبيع أمراً واقعاً. وكنا دائماً في البيان الختامي لبرلمانات التعاون الإسلامي نجرّم التطبيع مع الكيان الصهيوني، ونجعل هذا بنداً مهماً وقاراً، ونحاول إبقاءه في كل بيان حتى نحصّن دول التعاون الإسلامي والجزائر من دوامة التطبيع و«حمى التطبيع».

كنت ألاقى عنّاً ومعارضة. وكثير من الدول، التي طبّعت فيما بعد، كانت تمارس ضدي بعض السياسات؛ من أجل أن أغفل عن هذا البند، وهو بند تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني؛

كالإمارات مثلاً، ومنهم ممثلو مصر، والبحرين، وغيرها. ومع الأسف، كانوا يقولون: «اتركوا التطبيع لكل دولة تتصرف وتتخذ القرار الذي يناسبها». أما أنا فكنت مُصرّاً أن يكون القرار قرار البرلمان كله، وأن يكون بنداً في البيانات لا يتزحزح، ولا يتغير، ولا يتبدل.

❁ وفي آخر تجمع لنا في الرباط بالمغرب استطاعوا أن يُبعدوا البيان الختامي ويُخرجوا ما يسمى بـ«إعلان الرباط». ولم يُذكر في «إعلان الرباط» بند تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني! ومن هناك بدأت كل دولة في محاولة التطبيع! وكما رأيت خرجت خمس دول عربية إلى مستنقع التطبيع!



وهنا فقط، أحسست بخطور التطبيع على الجزائر الرسمية والشعبية. وأصدرت هذا المقترح: «قانون تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني»، وهو موجود في وسائل الإعلام، وقد تداولته بقوة. ووضعتُه على مستوى البرلمان الجزائري، لكن، مع الأسف، بعد أن وضعته مباشرة على مستوى البرلمان؛ حُلَّ البرلمان بسبب الظروف التي مرت بها الجزائر آنذاك، والحراك المبارك، وغير ذلك.

بعدها، أي حالياً، في العهدة الثانية، وفي السنة الأولى مباشرة، أعدت كتابة وصياغة هذا المقترح مرة ثانية. وهو الآن على مستوى البرلمان. وكما تدرك -يا أستاذ خالد- هذا المقترح يتخطى الحدود الجزائرية حينما نتكلم عن تجريم التطبيع، يعني تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني في السياسات الخارجية. والدستور يؤكد أن كل أمر له علاقة بخارج الجزائر هو من صلاحيات رئيس الجمهورية. لذلك طلبت أكثر من مرة أن يُحال

هذا القانون أو هذا المقترح على السيد رئيس الجمهورية، ثم هو من يتخذ القرار في ذلك، من أجل مناقشته والمصادقة عليه داخل البرلمان. وهو في حدود الممكن، إجابة على سؤالك؛ لأن الجزائر - كما تعلم - لا تطع مع هذا الكيان لا فوق الأرض ولا تحت الأرض.



✽ الجزائر صارمة في معاملتها مع هذا الكيان؛ تجرّم كل المعاملات الاقتصادية، والفنية، وحتى الرياضية. وبهذه المناسبة أحيي أبناءنا الرياضيين الذين يرفضون مواجهة الخصم إذا كان صهيونياً، الذين يضحون بمستقبلهم الرياضي، وحتى بالجوائز الكبرى في هذه الرياضات، لإدراكهم أن التطبيع خيانة وجريمة، وهو طعن في ظهر المقاومة، وفي شعبنا الصامد في قطاع غزة الذي يعطي حمام دماء، وهو متمسك بأرضه، وترابها، وهوائها، وبحرها، وسماها.

س: شكراً على هذا التوضيح، ونسأل الله أن يرى هذا المقترح النور قريباً. وبما أنك تكلمت عن الحرب الشعواء الحادثة حالياً في قطاع غزة بل الإبادة الجماعية ضد المدنيين في غزة، وفي ظل التحركات الدولية الرسمية والشعبية، لمن تكون الغلبة؛ أَلِلْمُطْبَعِينَ أم الثائرين المقاطعين؟

ج: والله أنت أثرت نقطة مهمة، وهي قضية ما يحدث الآن في قطاع غزة. وتحدثت عن طوفان الأقصى. هذه المعركة الخالدة التي جاءت في سياق لا بد من ذكره، وإعادة التذكير به. قبل طوفان الأقصى كادت القضية المركزية أن تُنسى، وهذا ما أخبرنا به الشهيد القائد إسماعيل هنية رحمه الله

تعالى عليه حينما أخبره أحد نواب البرلمان الأوروبي وقال له حرفياً: «نحن كما نعتقد قبل السابع من أكتوبر أن القضية الفلسطينية مُسحت ونُسيت ولم يُعد في الشرق الأوسط إلا إسرائيل فقط، ثم طوفان الأقصى أعاد القضية إلى مرتبتها الأولى، وعاد الحديث عن القضية، وعن حق الشعب الفلسطيني، وحق العودة، وما يعانيه إخواننا في مخيمات اللاجئين في لبنان وفي سوريا وفي العراق وفي الأردن، وفي الشتات، وفي كل أصقاع الدنيا!». ويجب أن نعلم جميعاً أن هناك أكثر من سبعة ملايين فلسطيني مشتتين في العالم بعدما هُجروا من ديارهم.



والسياق الذي جاء فيه طوفان الأقصى هو حمى التطبيع في هذه الدول التي طبعت الإمارات والبحرين والسودان والمغرب.

والسياق الذي قامت فيه هذه المعركة هو ما كان يتعرض له المسجد الأقصى من اقتحامات وتدنيس يقوم به قطاعان اليهود يومياً، وما حرب سيف القدس إلا دليل على ذلك. تدخلت المقاومة واستجابت لنداء المقدسيين الذين كانوا يرابطون في شهر رمضان في صلاة التراويح. كانت الاعتداءات، وسحل المrabطات، ومنع الناس من دخول المسجد الأقصى.

وقضية الأسرى أيضاً.. إذ نسي الجميع الحديث عن الأسرى. نحن نتكلم هنا عن أكثر من عشرة آلاف أسير في ذاك الوقت.

❁ لذلك كان لزاماً أن يكون هناك أمر وعمل يرد الأمة إلى السياق الطبيعي والمكانة الحقيقة، فكانت معركة «طوفان الأقصى» الخالدة التي غيرت المجرى والمشهد الدولي ككل. ولاحظنا ما الذي حدث أثناء المعركة، وما الذي حدث بعدها، وما الذي يحدث الآن.

وبعد سنتين من ذلك، لم يستطع الكيان إخضاع غزة أو إخضاع المقاومة، ولا إخضاع هذه الحاضنة الشعبية التي نرى ثباتها وصمودها وصبرها إلى اليوم.

لذلك فالنصر هو نصر المقاومة، أردنا ذلك أم كرهنا. فهذا الجيش الصهيوني يدعمه شركاؤه وحلفاؤه في دول العالم وعلى رأسها أمريكا المجرمة، والاتحاد الأوروبي، وغيرهما من الأعراب المتصينين، أعني الدول العربية التي تمنع كل وسائل الحياة لشعبنا المحاصر في قطاع غزة، وتدعم الكيان الصهيوني بكل ما يحتاجه تجارياً، كوقود السفن والمعاير.



هؤلاء جميعاً ما استطاعوا أن يخضعوا حركة المقاومة في قطاع غزة، وهي «حركة المقاومة الإسلامية حماس»، و«كتائب القسام»، والفصائل الأخرى التي تشارك في المعركة إلى الآن طيلة سنتين.

وأنت تدرك، والكل يدرك أن الكيان استطاع أن يخضع ست دول عربية، وستة جيوش عربية، في ستة أيام. أخضعها واستولى على الأرض، واحتل غزة، وسيناء، والجولان، وجنوب لبنان.

❁ نحن ندرك أن المقاومة ترد على هذا الكيان، وترد على هذه الحرب الكونية ضدها. الكل الآن يفاوض من أجل استرجاع الأسرى، أسرى الحرب، ووضع خطة لانسحاب هذا الجيش. وأنا متيقن أن النصر إن شاء الله سيكون حليف هذه المقاومة وهذا الشعب الصامد في قطاع غزة.

س: وهو كذلك ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. أستاذ يوسف، فيما يخص الداخل الغزاوي، تؤكد أنكم تتواصلون مع شعب غزة الصامد، ومع الجمعيات والمؤسسات الإنسانية والإغاثية. الآن تبدو الأزمة فوق الوصف، خاصة في ظل المجاعة الحالية، وقد وصلت إلى المستوى الخامس والأخير من المجاعة. بماذا تعلقون؟



ج: أصدقك القول -يا أستاذ خالد- وأنا الذي 
زرت غزة قرابة عشر مرات من خلال القوافل التي كانت تنقل المساعدات إلى قطاع غزة. وكنا ننقل الناس إلى غزة. وكانت بيننا جملة مفيدة نكررها دائماً: «ننقل العالم إلى غزة، وننقل غزة إلى العالم».

كانت معنا في الوفود التي كانت تترى إلى قطاع غزة وفود متخصصة ووفود عامة. كانت هناك وفود من الأطباء، من النواب في البرلمان، وفود من الدعاة والعلماء، وفود من الشباب من أبناء الكشافة الإسلامية، وفود من النساء، بل حتى وفود من الرياضيين والفنانين، ومن القيادات الدولية للأحزاب والجمعيات والمؤسسات. فكانت هناك قوافل تترى. وكنا حقيقة ندخل ونسهم في إدخال المساعدات. لماذا؟ لأن القطاع كما تعلم كان يحاصره الكيان، ولم يكن هناك إلا معبر رفح، الذي كان مصرياً-فلسطينياً بحتاً، ندخل من خلاله وندخل المساعدات.

❁ حين تدخل إلى قطاع غزة تدرك أن هذا القطاع ومَن فيه كأنه مجتمع آخر، ليس كباقي المجتمعات العربية. وطوفان الأقصى أكد ذلك. وكنت أقول عنهم «تجد ربما بقايا الصحابة من خلال معاملاتهم، وتربيتهم، وارتباطهم بكل ما هو روحاني ودعوي وتربوي، ارتباطهم بالمساجد مثلاً كالمسجد العمري الكبير الذي أسسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وارتباطهم بالعلم وبالجامعة الإسلامية». نتحدث عن حبهم للحياة؛ أهل غزة شعب يعشق العلم والقراءة والحياة كما يعشق الشهادة والدفاع عن أرضه. نحن تعرفنا على كثير من العائلات الغزاوية. تعرفنا على كثير من القيادات في قطاع غزة، ومن كل الفصائل، وما كنا ندخل إلى فصيل معين بل نلتقي مع الجميع، والدعم يصل إلى الجميع، مع التواصل بالحق والتواصي بالصبر. كنا مع الجميع. ونحن نعرف الكثير من أهل غزة.

✍ دخلنا في كل الحروب التي كانت بعد «حرب الفرقان»، بعد «حرب حجارة السجيل». وكان دخولاً عظيماً. وتعلم أن تلك الحرب كانت في ٢٠١٢ حينما كان الرئيس الشهيد (محمد مرسي) رئيساً لمصر،



ودخل آلاف المتضامنين والنشطاء والداعمين للقضية الفلسطينية. ودخل أيضاً وفد من قيادات حماس يرأسهم القائد (خالد مشعل) وغيره من أعضاء المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس. ودخلت آلاف من الجزائريين ومن غير الجزائريين.

قبل حرب طوفان الأقصى، كانت أطول حرب هي «حرب العصف المأكول» ذات ٥١ يوماً. وكان الدمار كبيراً جداً. وكان عدد شهداء كبيراً أيضاً.



ونحن الآن في تواصل مستمر مع أهلنا في قطاع غزة، إما مع المؤسسات التي تنشط وتنقل مساعدات وتدعم إخواننا المحاصرين، أو مع الأفراد والعائلات. وأصدقك القول إنني أقضي الساعات الطويلة ليلاً في التواصل مع العائلات، وكلهم يشكو، إذ يرسل لك كل واحد منهم الصور والفيديوهات، ويبيّن لك المعاناة، معاناة الناس في خيام النازحين. ليس لهم أي شيء يربطهم بالحياة، لا دار، ولا مدرسة، ولا مستشفى، ولا مسجد، ولا جامعة.



هذا الكيان دمر كل شيء، ويريد تهجير إخواننا من غزة لتحقيق مشروعه الكبير وهو إقامة دولة الكيان من النهر إلى النهر، من نهر النيل إلى نهر الفرات فيسيطر على كل الدول المجاورة كسوريا ولبنان والأردن والسعودية وغير ذلك. وهو يتكلم بهذا المشروع بصراحة ووضوح عن طريق وزرائه وحاخاماته، ومن خلال مداخلاته في وسائل الإعلام، لكن الله عز وجل قيّض لهذه الأمة من يرده.

✽ حينما نتحدث عن أهل غزة نتحدث عن قوم لا يحاربون فقط من أجل أرضهم ولكن يحاربون من أجل الأمة كلها؛ لأن الأقصى -يا أخي خالد- ليس فقط للفلسطينيين والغزيين، وليس للمقدسيين.. الأقصى هو سورة في القرآن الكريم، هو سورة الإسراء، الأقصى آية في القرآن الكريم، الأقصى في الأرض المباركة التي ذكرت في القرآن الكريم. الأقصى هو أولى القبلتين وثاني المسجدين الشريفين، فهو ليس للمقدسيين الفلسطينيين فقط بل هو لكل الأمة.



وهنا أنه بما حصل قريباً في المسجد الأقصى إذ دخل ٣٩٦٩ مستوطن في سابقة تاريخية لم تحدث من قبل، وأمام مرأى ومسمع من الناس، وأمام من يدعون أنهم ينصرون القدس وهم المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة المغربية. أين دوركم؟ أين حفاظكم على مقدساتنا وعلى أقدسانا؟

❁ إن ما يتعرض له إخواننا الآن لم يحدث في التاريخ. إنها إبادة ثم مجاعة! ولم يدركوا أن هذا الكيان يستعمل كل هذه الوسائل كوسائل الحرب، وعلى رأسها المجاعة، التي لم يفكر فيها أحد. ربما حتى المقاومة لم تفكر أن المعابر ستُغلق وأن الأمة العربية والإسلامية مجتمعة لن تستطيع أن تدخل إلى قطاع غزة قارورة ماء أو كيس طحين أو علبة أكل. فهذا حقاً هو الذي سيبقى وصمة عار في جبين الأمة، وقبل ذلك في جبين هذه الدول المطبوعة مع هذا الكيان الزائل، التي تعين الكيان في حصار قطاع غزة وغلق المعابر.

س: ذكرت يا أستاذ يوسف قوافل كسر الحصار والمساعدات الإنسانية التي أدخلتموها إلى قطاع غزة، وقد نقلها الإعلام. وبلغنا من مقربيك أنك دائم الحركة من أجل فلسطين؛ ركبت البحر مع أساطيل الحرية، وطرت بالطائرات، وقطعت الحدود براً بهدف كسر الحصار عن قطاع غزة، وستقلع إلى إندونيسيا لدراسة ملاحاة السفن للتحضير للأسطول العالمي القادم. حبذا لو تكلمنا عن قوافل كسر الحصار وأساطيل الحرية. هل من مأمولٍ قائمٍ أو مرغوب يتحقق، بعد تجربة (سرت) الليبية ومطار القاهرة؟



الشيخ يحيى صاري

ج: شكراً لك. وهذا السؤال مهم للغاية، يدفعنا دفعا للحديث عن مؤسسات أخرى في الجزائر، ونتكلم عن المبادرة الجزائرية لنصرة فلسطين وإغاثة غزة، ودورها الأساس. هذه المبادرة تأسست بمؤسسات جزائرية معروفة بعملها للقضية الفلسطينية من بينها «جمعية الأيادي البيضاء الجزائرية» التي رأسها الآن. وأنا نائب رئيس المبادرة الجزائرية لفلسطين وإغاثة غزة التي يرأسها (الشيخ يحيى صاري). فهذه المبادرة أسست بهدف

كسر الحصار عن قطاع غزة. وجاءت بعد عملية «طوفان الأقصى» بعدة شهور حينما لاحظنا أن الحصار قد أُطبق على كل المعابر، فتنادينا فيما بيننا نحن ممثلو المؤسسات والجمعيات الجزائرية من أجل إنشاء هذه المبادرة. وبعد تأسيسها كان لها دور مهم جداً في تسيير السفن البحرية والقوافل البرية إلى قطاع غزة.

✿ حينما نتحدث عن أساطيل الحرية البحرية لا بد أن نعود بالتاريخ إلى ٢٠١٠ مع الأسطول البحري الأكبر الذي كان تجربة رائدة، وارتقى فيه شهداء، فقد كانت فيه مواجهة مع الكيان الصهيوني، وقُتل تسعة من إخواننا الأتراك، ثم جاءت بعده القوافل أو الأساطيل تترى.

شارك في أسطول منهم الرئيس الأسبق لتونس (منصف المرزوقي). وكان هناك أيضاً أسطول نسوي انطلق على مراحل ثلاث، وفي المرحلة الأخيرة انطلق من إيطاليا من ميناء مدينة مسينة إلى قطاع غزة، وكانت على متنه ممثلة للجزائر هي النائبة في البرلمان السابقة الأستاذة (سميرة ضوايفية). وقد توقفت بعدها الأساطيل لأسباب كثيرة، ثم أعيد الحديث عن الأساطيل البحرية.

❁ وكان سنة ٢٠٢٤ أسطول كبير جداً، كان المفروض أن ينطلق من إسطنبول بثلاث سفن؛ سفينتين منه للركاب وسفينة كبيرة للشحن سعتها ٥٥٠٠ طن من المساعدات، وسفینتان كبيرتان من بينهما سفينة «الضمير». إن هذا الأسطول الذي كان من المفترض أن ينطلق من إسطنبول لم يكتب له النجاح بسبب أن هذا الكيان يده طولى وله تأثير على الدول وعلى المؤسسات الدولية، وبحسب أُوعد نفسه فوق القوانين، وفوق المؤسسات، وفوق مجلس الأمن، وفوق الأمم المتحدة، وفوق المحكمة الدولية، وفوق المحكمة الجنائية الدولية. وهو يمارس عملية التهريب لهذه الدول. وسبب إلغاء هذا الأسطول من إسطنبول وفشله أن الدولة صاحبة علم الأسطول كانت غينيا-بيساو إذ سحبت علمها وطالبت بالتحقيق في وجهة الأسطول.



بعده، في هذه السنة، استطعنا تحريك ٣ سفن؛ الأولى منها هي «سفينة الضمير» التي كان من المفترض أن تنطلق من مالطا، وكان من المفترض أن يركب في هذه السفينة نحو ٦٠ ناشطاً من ٢٢ دولة، من بينها الجزائر التي كنت ممثلها وممثلاً عن المبادرة و«اللجنة الدولية لكسر الحصار» في هذه السفينة «سفينة الضمير».

وكنا من خلالها نريد أن نخاطب ضمير العالم الذي سكت سنة ونصف تقريباً عما يحدث في قطاع غزة، وأصبح أمر الإبادة والمجاعة واقعاً. ولذلك انتفض أحرار العالم وأرادوا أن يحركوا هذه السفينة. والكيان الصهيوني كان يدرك أن هذه السفينة لو تحركت فسوف يكون لها أثر كبير جداً، لذلك استعمل أكبر جريمة

في التاريخ وهو أنه قصف هذه السفينة بصاروخين في المياه الإقليمية الدولية في فضاء شنغن، أي الاتحاد الأوروبي. وكأنه يقول إنه فوق الجميع. وحسبما ذكر ذلك وزير الدفاع المالطي، تحيل كيف انطلقت هذه الطائرة من تل أبيب، ووصلت إلى مالطا، واخترقت الأجواء المالطية والإيطالية، ثم ترقت السفينة أربع ساعات كاملة، ثم أرسلت مسيرتين وقصفت السفينة بصاروخين فدمرت مقدمة السفينة فأصاب المحرك والمولد وكل ما له علاقة بالاتصالات. ولم نستطع الانطلاق والإبحار على «سفينة الضمير» التي توجد الآن في مالطا من أجل صيانتها وتصليحها والإبحار بها إن شاء الله مرة أخرى.

❁ بعدها كانت «سفينة مادلين» حيث انطلقت من سواحل إيطاليا ووصلت إلى مسافة ١٠٠ ميل من أراضيها في قطاع غزة، فاعتدى عليها الكيان الصهيوني بعمل إرهابي مقيت، واعتقل كل النشطاء الذين كانوا على متنها، واحتجزهم أسبوعاً كاملاً تقريباً، وعذب بعضهم، ثم حاكم بعضهم، وأجبروا أن يوقعوا على أنهم إن دخلوا وعادوا في قوافل كسر حصار أخرى فسوف يُحاكَمون ويُحكم عليهم بالمؤبد ١٠٠ سنة.



❁ بعدها «سفينة حنظلة» التي كانت منذ ٢٠٢٣ تجوب البحار كالحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط. وهي تتحدث بالجانب الإعلامي والسياسي والدبلوماسي عن كسر الحصار على غزة، وأن هذا الحصار الظالم هو حصار غير قانوني، وما زال قائماً، وأن الآن توجد حرب أخرى وإبادة في القطاع. و«سفينة حنظلة» انطلقت في هذا الشهر بداية من شهر ٦، وتوجهت إلى قطاع غزة، ووصلت إلى

أقرب نقطة على بُعد ٤٠ ميلاً تقريباً من قطاع غزة. وكان على متنها نشطاء وبرلمانيون ودبلوماسيون وصحفيون. وبالطريقة نفسها وقع الاعتداء عليها وسط المياه الدولية، واعتُقل نشطاؤها لمدة أسبوع كامل، وهم في الحجز، ودخلوا في إضراب عن الطعام، ورفضوا أن يتناولوا أي شيء من هذا الكيان الذي يمارس حرب التجويع على إخواننا في غزة. وأراد الكيان أن يجعل صورته السيئة أمام العالم فقام بإعطاء الناشطين ماءً وطعاماً فرفضوا ذلك، ودخلوا في إضراب عن الطعام، فأطلق سراحهم مؤخراً، وعادوا إلى أوطانهم.



أثناء ذلك -يا أخى خالد- كانت هناك فكرة وهي «قافلة الصمود» التي انطلقت من الجزائر. ودائماً في إطار «المبادرة الجزائرية لنصرة فلسطين وإغاثة غزة» وصلت إلى تونس، ومن تونس انطلقت إلى ليبيا. وحينما خططنا وبرمجنا هذه القافلة كان الهدف أن نصل إلى حدود دولة مصر، أي أننا سنقطع ليبيا بغربها وشرقها.

وكنا نأمل أن تتوحد ليبيا حول القضية الفلسطينية، وهذا ما أخبرنا به. وكان من المفترض أن يكون أكبر تجمع في مدينة بنغازي الموجودة في شرق ليبيا تحت حكم (خليفة حفتر) لكن مع الأسف، كما تعلم وكما يعلم الجميع، ووجهت القافلة بالصد وبالاعتداء في (سرت)، واعتُقل بعض نشطاءها، وكانت هناك مساومة ومقايضة حتى تبتعد القافلة عن المكان. وابتعدنا عن حدود مدينة (سرت)، فأطلق سراح الجميع وعدنا بعد ذلك.

هذه القافلة حققت هدفاً معنوياً كبيراً جداً وهو كسر الحدود التي وضعها الاستعمار بين دول المغرب العربي وبين دول العالم. يعني لا بد أن نفهم أن القافلة استقبلت استقبال الأبطال، ووضعت في

خدمتها كل الأمور اللوجستية من أجل نصره إخواننا في قطاع غزة. وندرك جميعاً أن القافلة فيها جزائريون وتونسيون وليبيون. والليبيون أعطونا بعض المساعدات من أجل إيصالها إلى أهل غزة.



❁ وكان الهدف من هذه القافلة هو المسيرة الشعبية باتجاه غزة لتتقي بالقافلة التي جاءت جواً إلى مطار القاهرة. فكان الهدف أن تتقي هذه بتلك في القاهرة يوم ٦/١٣ ثم تنطلق إلى العريش. وكان من ضمن البرنامج أن نسير على الأقدام مسافة ٢٠ كلم، من العريش إلى رفح، ثم نعتصم أمام رفح حتى يفتح المعبر وتدخل المساعدات التي هي بالأطنان ومنع الاحتلال دخولها إلى قطاع غزة الذي يعاني المجاعة.

كان هذا هو الهدف لكن مع الأسف مُنعنا جواً في القاهرة من الدخول، وبين القاهرة والإسماعيلية، ومُنعنا براً في ليبيا عند حدود سرت، وأجبرنا على العودة أدرأجنا. وكانت النتيجة أكبر من ذلك.

والآن هناك فعاليات وتحرك دولي من أجل أن يكون هناك أسطول بحري أكبر وأوسع وأعظم وأضخم، وبأكبر مشاركة للنشطاء. والكل يعمل على إنجاح المشروع الذي سوف يرى النور قريباً بإذن الله.

س: هل من حركية رسمية أو شعبية خفية عن الإعلام تطلعنا عليها؟

ج: يا أخي خالد، الصراع بيننا وبين الصهاينة موجود في الصفحة الأولى من سورة الإسراء. والله عز وجل يقول في الوعد الآخر، في الوعد الثاني: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا﴾ [الإسراء: ٧].



الآن هناك حراك وزخم دولي كبير على الرغم من الصمت العربي المخزي، وعلى الرغم من التواطؤ الذي نراه من بعض الأنظمة العربية، وعلى الرغم من الخيانة والتطبيع، وعلى الرغم من الحرب الإعلامية التي تشنها كثير من القنوات المحسوبة على العرب وهي ضد العرب.



على الرغم من كل ذلك نرى أن هناك حراكاً دولياً كبير جداً. أنت ترى الطلبة في الجامعات الأوروبية والجامعات الأمريكية يتحركون ويعتصمون وينددون. وها هم ممثلو الكيان الصهيوني تُساء وجوهمهم في كل وسائل الإعلام. أنت ترى هذه المسيرات الضخمة في أوروبا، والبارحة فقط في أستراليا وقعت مسيرة ضخمة جداً فيها نحو ٣٠٠ ألف متظاهر. وها هو

العالم كله أصبح يرى أن هذا الكيان الصهيوني يمثل خطراً ليس فقط على منطقة الشرق الأوسط وفلسطين وغزة والأمة العربية والأقصى ولكن أصبح يمثل خطراً على كل الدنيا الآن، حتى أن بعض اليهود يقولون: «نحن ندمنا، ونحن ندرك أن ما فعله بنا (هتلر) فنحن نفعله الآن بهذه الأمة العربية والإسلامية وبفلسطين».

ويذكرون أنفسهم بأن من أقام المحرقة والهولوكوست ليس الفلسطينيون أو العرب إنما النازية الألمانية،

إن صدق ذلك!

✻ فالحراك الدولي الضخم بالتأكيد سيكون له ضغط على الكيان من أجل رفع الحصار وإدخال المساعدات. هناك مسيرات، ومداخلات في البرلمانات الأوروبية، وحراك للاعتراف بالدولة الفلسطينية

وإن كان اعترافاً مشروطاً بدولة فلسطينية منزوعة السلاح وليس فيها مقاومة. إن هذه الحكومات تتحرك بضغط شعبي من سكانها ومواطنيها ومؤسساتها التشريعية، وهو الذي جعل هذه الدول تأخذ هذا المنعرج.

ربما في بداية شهر (سبتمبر، أيلول) في جمعية الأمم المتحدة سيكون هناك اقتراح للاعتراف بالدولة الفلسطينية، على الرغم من أننا في الجزائر لا نؤمن بهذا التقسيم بل نعتقد أن فلسطين لا بد أن تعود لأهلها وأصحابها والمسلمين من البحر إلى النهر، كل فلسطين التاريخية. ومع ذلك نثمن ما يقوم به أحرار العالم. ونحن ندرك أن أحرار العالم يرفضون سياسة الكيان المحتل، ويرفضون حرب التجويع، ويرفضون احتلال غزة واحتلال الضفة.



هذا الكيان لا يريد فقط تحقيق أهدافه المتمثلة في القضاء على حماس واسترجاع الأسرى بل يريد أيضاً أن يسيطر على الضفة الغربية، وهي بُعد استراتيجي له، وهي أهم عنده من غزة، ويسمّيها يهودا والسامرة، ويذكر أنها في تاريخه ونبوءاته أنها ستكون أرضه.

❁ لذلك نحن نثمن كل هذا الحراك العالمي والدولي وندعو إلى حراك إسلامي وعربي. ولا بد أن نرفع السقف فوق هذه الموجة، وهي كبيرة جداً، وإخواننا ينادوننا، وأنتم تسمعون وترون. الجميع في فلسطين ينادوننا يومياً: أين أنتم يا عرب؟ أين أنتم يا مسلمون؟ أين أنتم؟ أين المسيرات والمساعدات والدعم وغير ذلك؟

س: في المجال الإنساني، لكم سهمٌ وافر من خلال «جمعية الأيادي البيضاء الجزائرية».

نرغب أن تعرّف بالأيادي البيضاء الجزائرية، وهل لها إنجازات في أرض غزة؟

ج: والله الحديث عن العمل الإنساني هنا يكشف جانباً آخر من شخصية يوسف، العمل الإنساني والإغاثي. نحن عملنا هذا العمل منذ سنوات، وربما أكثر.

عمل قننا به، وأحسست بأننا قدمنا شيئاً للإنسانية؛ وهو كسر الحصار عن إخواننا الروهينجيا في بنغلاديش، في المخيمات حينما تعرضوا لحرب قدرة وتطهير عرقي وحرق وإبادة على يد الحاكمين في دولة بورما. نتحدث عن (أراكا)، وقد كانت أول قافلة لنا من الجزائر، كنشطاء في العمل الإنساني والإغاثي، إلى دولة بنغلاديش، أو إلى حدود دولة بنغلاديش مع أراكا. ربما كنت أول نائب برلماني عربي مسلم أفريقي يدخل إلى تلك المناطق. ورأينا بأأم أعيننا أشياء فظيعة. رأينا إخواننا المسلمين ومعاناتهم، وسجلنا كثيراً من الشهادات الحية عن كيف كان الناس يُحرقون، وكيف كانوا يُقَطَّعون، كيف يُحرق الأطفال الصغار. ما قام به هؤلاء في (مياغار) أمر يفوق التصور. كانت لنا مساعدات بهذا الشأن، وسيرنا بعد ذلك قوافل من أجل دعم اللاجئين في هذه المناطق وهم أكثر من مليوني لاجئ. وإلى اليوم ما زالوا يعانون، وما زلنا في تواصل معهم. وقد حُفرت كثير من آبار سقي الماء، ونُقلت المساعدات.



❁ قننا بعمل إغاثي من خلال جمعيتنا «الأيادي البيضاء الجزائرية»، وهي جمعية وطنية معتمدة، تأسست منذ أكثر من خمس سنوات. دورها الأساس هو إغاثة إخواننا في قطاع غزة، وفي مخيمات اللاجئين، وفي الصحراء الغربية. وكان لجمعيتنا عمل كبير في مخيمات اللاجئين في الصحراء الغربية. وهذا كله موجود في قانونها الأساس ونظامها الداخلي.

❁ ناهيك عن العمل الإغاثي والإنساني هنا في الجزائر إذ كان لنا دور أساس أثناء جائحة كورونا أو وباء الكوفيد. وربما كانت أول جمعية دخلت إلى البويرة الأولى للوباء في ولاية البليدة هي «جمعية الأيادي البيضاء الجزائرية» من خلال إدخال المساعدات الطبية وغير ذلك.

وكانت لنا تجربة إغاثية مع إخواننا المغتربين في فرنسا أثناء جائحة الكوفيد إذ أدخلنا مساعدات كبيرة جداً من عند المغتربين ووزعناها على المستشفيات في الجزائر.



والعمل الأساس للجمعية هو العمل لفلسطين، والعمل لأجل غزة حيث كانت لنا مشاريع كثيرة على الأرض قبل «طوفان الأقصى»، وكانت لنا حملات منتظمة مثل «حملة الأضاحي»، و«حملة الدخول المدرسي»، و«حملة الإطعام في رمضان»، وحملات في الشتاء مثل «شتاء دافئ»، وسقيا الماء، وحفر الآبار حيث حفرت الجمعية أكثر من ٤٣ بئراً.

كل هذا كان قبل «طوفان الأقصى». وكنت أصر أنا شخصياً على أن تحفر هذه الآبار في المدارس والمساجد. ذكرني بهذا إخواننا الذين ينفذون ويطبقون أعمال الجمعية في غزة، بحرصي الشديد على أن تحفر الآبار في الثانويات والمدارس والمساجد التي أصبحت فيما بعد ملاجئ لإخواننا الفلسطينيين، وكانت ملاذاً لهم.

وبعد «طوفان الأقصى»، زاد عمل الجمعية من خلال الكثير من الأعمال الإغاثية بتوفير الأطعمة الساخنة، وتوزيع الطرود الغذائية، وإدخال الخيام. في وقت مضى حينما أخرجوا من ديارهم ودُمرت

بيوتهم، كان لزاماً علينا أن نوفر لهم شيئاً من الأمن والأمان بتلك الخيام الضعيفة. وكان علينا أن نوفر ذلك أيضاً بعد غلق كل المعابر وانعدام ما يقيم صلب إخواننا من أكل. فنحن نجتهد الآن، مع غلاء الأسعار والعمولة، في تحويل العملة. كل هذا يؤثر على أداء الجمعية لكن نحن صامدون ومستمرّون، مواصلون لأعمالنا وواجبنا ووجودنا في قطاعنا الحبيب، من خلال مكتبنا «الأبادي البيضاء الجزائرية» ومن يمثلوننا في غزة. ونحن دائماً في تواصل مع إخواننا. ونحن نجتهد من خلال الدعم الذي تتلقاه الجمعية من إخواننا في الجزائر الذين جعلوها وجهة لهم من أجل تقديم تبرعاتهم ودعمهم ومساعدتهم لإخواننا في قطاع غزة.

س: من موقعكم البرلمان كيف تقيم السياسة الجزائرية تجاه «طوفان الأقصى»؟



ج: نحن في البرلمان الجزائري، بعد معركة الأقصى مباشرة، في الأشهر الأولى، عقدنا جلسة برلمانية مفتوحة، وأظهرنا عزمنا ودعمنا ومساندتنا، واستدعينا لهذه الجلسة وزير الخارجية (أحمد عتاف)، وخاطبناه مخاطبة مباشرة بما يجب على الدولة الجزائرية والبرلمان الجزائري والمؤسسات الرسمية الجزائرية أن تقدمه لأهلنا في قطاع غزة.

✽ والحمد لله، كان موقفنا الرسمي والشعبي والدبلوماسي والسياسي موقفاً عالي السقف فيما يقدمه دلهاسيونا في مجلس الأمن. والجزائر الآن عضو في مجلس الأمن للجنة الثانية، وكان موقفها موقفاً مشرفاً أثني عليه حتى إخواننا في «حركة المقاومة الإسلامية حماس» وحتى في «كتائب عز الدين القسام» وباقي الفصائل الفلسطينية. فوقف الجزائر موقف تاريخي وسيظل ثابتاً بإذن الله.

❁ ولنا مرافقتنا في البرلمانات الدولية، فالبرلمان الجزائري عضو في كثير من البرلمانات الإسلامية الأوروبية والمتوسطية والدولية. فدائماً وأبداً أقوالنا وأعمالنا ومشاريعنا هي من أجل القضية الفلسطينية. وأداء نوابنا كان مميزاً، ويبين حقيقة الدعم الرسمي للقضية الفلسطينية.



وربما كان أهم دعم هو موقف رئيس الجمهورية حينما رفض التطبيع جملة وتفصيلاً،
وحيثما قال: «إن قضية القدس قضية مقدسة»،
وحيثما قال «فلسطين هي قضيتي الخاصة»،
وقال أيضاً «إن فلسطين قضية وطنية».

فالجزائر الرسمية وغير الرسمية أي الشعبية، والحمد لله رب العالمين، هي دولة لا ولن تطبع مع الكيان الصهيوني الزائل؛ بل وتواجهه في مجلس الأمن بكثير من القرارات والمشاريع التي جاء بها ممثل الجزائر الدائم في الأمم المتحدة؛ إذ جاء بمشاريع كثيرة كوقف إطلاق النار، وإدخال المساعدات، وإتاحة الفرصة لدخول الصحفيين لمعرفة الواقع الذي يعيشه إخواننا، ولردّ على السردية الصهيونية التي تنفي وجود مجاعة أو إبادة. وهي تمنع دخول الصحفيين لنقل الواقع الحقيقي في قطاع غزة. فنحمد الله عز وجل على موقف الجزائر، وهي تحاول دائماً وأبداً بالتواصل مع الدول. وكان للجزائر دور أساس في اعتراف كثير من الدول بالدولة الفلسطينية، اعترافاً رسمياً.

📖 وهناك الكثير من التجمعات والأحزاب السياسية الجزائرية لها موقف مشرف تجاه القضية الفلسطينية، ولها موقف داعم لحركة المقاومة الإسلامية. ولها مشاور مستمر في هذا الشأن، ودعم مستمر سياسياً ودبلوماسياً وإغاثياً. وكذلك الموقف الجماهيري والشعبي.

س: أستاذ يوسف، تظهر بعض التوجهات التي تحاول كسر جدار التطبيع داخل المؤسسات

والمجال العام الجزائري. ما تفسرك لهذا؟ وما مستقبل هذه المحاولات؟

ج: أنا أؤكد حقيقة أن الجزائر ليست في منأى عن أن يمارس عليها الضغط للتطبيع مع الكيان الصهيوني. وهذه حقيقة نراها بين الفينة والأخرى؛ لكن المزاج العام للشعب الجزائري وللدولة الجزائرية الرسمية هو

ضد التطبيع. ونحن أتيننا بمقترح «تجريم التطبيع مع

الكيان الصهيوني» حتى نحصن الجزائر حكومة وشعباً

من التطبيع مع الكيان الصهيوني. وما دامت الحكومة

تأتي وتذهب فلا بد أن يكون هناك قانون يحفظ

هذه الأمة من التطبيع مع الكيان. فهناك من قال لي

حينما وضعت هذا القانون: «الشعب الجزائري لا

يحتاج إلى قانون يجرم أو يحول بينه وبين التطبيع»!



نعم، أنا أدرك ذلك لكن لا بد أن نحصن هذه المواقف بقوانين يصادق عليها البرلمان؛ لأن القوانين

تدوم والأشخاص والحكومات تأتي وتذهب. فنحن، من أجل الحفاظ على هذا الموقف التاريخي الذي نعتز

به كجزائر الشهداء، وجزائر ترفض الاحتلال، وجزائر أعطت مليوناً ونصف مليون من الشهداء من أجل

استرداد هذا الاستقلال، ومن أجل عدم الاعتراف بالكيان المحتل، سوف نعمل إن شاء الله على أن نحافظ

على الجزائر ألا تطبع مع الكيان، ولا تشارك في وحل التطبيع، وترفض وجودها معه في أي محفل من

المحافل الدولية على الرغم من وجود من يدفعنا للتطبيع، ويظن أن الجزائر سوف تساوم على ذلك.

❁ وقد ساومت وقايضت دولة جارة، فسارعت باعترافها بالكيان الصهيوني وبتطبيع العلاقات معه؛ بل وتعدى تطبيعها إلى تطبيع فاحش حينما أصبح تطبيعها أمنياً وعسكرياً وسياسياً واستخباراتياً، وصارت للكيان قواعد عسكرية على الحدود الجزائرية، وأضحت تمس بأمن الجزائر. فهذه المقايضة، أنا مدرك أن الجزائر لن تصل إليها، ولن يقايضنا أحد، لأن استقلالنا وقرارنا بيدنا وسنحافظ إن شاء الله على هذا الموقف وعلى هذا التحصين.

س: من خلال عضويتكم في عديد من الهيئات الدولية والإقليمية والإنسانية والإغاثية،

حدثنا باختصار شديد في كلمات مختصرات معتصرات، ماذا يعني لك طوفان الأقصى؟

ج: معركة الفصل والحسم؛ فما قبل الطوفان ليس كما هو بعد الطوفان.

س: ماذا تعني لكم غزة؟

ج: غزة في القلب.

س: ماذا يعني لكم التطبيع؟

ج: التطبيع خيانة وجريمة ولن يكون في

الجزائر بإذن الله.

س: بيت المقدس؟

ج: أولى القبلتين، وجزء لا يتجزأ.

س: الصهاينة؟

ج: عدونا الدائم.



س: أستاذ يوسف، تفضل بكلمة أخيرة تلخص فيها النظرة والعمل؟



ج: أولاً أنا شاكر لكم الاستضافة التي تجعلنا في هذه المجلة «مجلة الأستاذ يوسف»، ولها من اسمها نصيب. فالنصرة واجبة «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». ونحن نستغل هذه الفرصة لندعو الأمة جمعاء ألا تفوت هذه المناسبة العجلة.

حينما انطلق «طوفان الأقصى» نحن شبناه في الجزائر بأول نوفمبر ١٩٥٤، يوم انطلقت الثورة المباركة والجهاد المبارك ثم من بعدها جاءت المعارك، وجاء الشهداء، وجاءت الفتوحات، وتوجت في النهاية بالاستقلال.

هذه المرحلة من التاريخ مرحلة مهمة جداً. وإن أشرافنا وسادتنا وتاج رؤوسنا الذين قاموا بهذا العمل «طوفان الأقصى» ذهب معظمهم شهداء، قادة وجنوداً وحاضنة وغير ذلك. ونحن مطالبون ألا نضيع هذه الدماء، وألا نترك هذه التضحيات تضيع، وأن نكون في مستوى التحديات، تحديات «طوفان الأقصى»، وفي مستوى التضحيات، تضحيات إخواننا الذين قدموا مهجهم ودمائهم وأموالهم وزوجاتهم وأبنائهم طيبة بها نفوسهم، ليس من أجل أرضهم فقط بل من أجل الأمة كلها، ومن أجل أقصى الأمة.

سميت المعركة بـ«طوفان الأقصى» لأنها من أجل الأقصى وتطهيره، والحفاظ عليه، واسترداده ليكون ضمن حياض الأمة الإسلامية التي -مع الأسف- بلغ عددها مليارين لكنها لم تستطع أن تحافظ على مليوني مسلم في قطاع صغير، قطاع غزة. إنهم يحاربون، وهم رأس الحربة من أجل الأمة، ومن أجل مقدساتها.

نسأل الله عز وجل أن يلهم الأمة المباركة رشدها، وأن يرفع عنها الغفلة والضيم، وأن يرفع عنها الجبن والخور، وأن يجعلها في مستوى التحديات.



أ.د. خير الدين خوجة

سفير الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ في البلقان

سيد قطب في ظلال القرآن

لا بد في هذا المقام من الجهر بهذه الحقيقة التي نؤمن بها عن فضل ومنزلة تفسير «في ظلال القرآن»، ونسجل هذه الشهادة لله وللتاريخ:

لقد ظلم هذا التفسير وصاحبه والجماعة التي انتمى إليها ظلماً كبيراً لم يُظلم مثله قط في التاريخ البشري المعاصر، من قبل بعض الطغاة والأنظمة الاستبدادية والاشتراكية في النصف



الثاني من القرن العشرين، كما أنه ظلم من قبل بعض أدعياء العلم والمحسوين على الإسلام من الدعاة والمثقفين الذي تلوثوا بالفكر الغربي والعلماني والاستشراقي أو التيار السلفي المتشدد.

❁ لقد سجل التاريخ الإسلامي تلك المقولات المردولة في العقل وغير المقبولة، وتلك التهم الجائرة في حق هذا النجم القرآني والتفسيري الدعوي المعاصر. إنني واثق -والعلم عند الله عز وجل- بأن التاريخ لن يسامحهم إلا بالاعتذار العلني والكتابات العلنية الجديدة من قبل هؤلاء الطاعنين المغرضين، والمرجفين في المدن والدول والكلليات والجامعات والمساجد والمنصات ووسائل التواصل الاجتماعي.

وإلا فسيقض الله من الأمة الإسلامية والعلماء وطلبة العلم من ينتقم منهم وينصف لهذا المظلوم المفترى عليه، والذي دفع حياته ثمناً لكلمة الحق عند سلطان جائر. ألا فليستج هؤلاء من أنفسهم وأقلامهم وليخشوا ربهم!



ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم؟ يوم يقوم الناس لرب العالمين!

أنسي هؤلاء بأنهم مسؤولون وبين يدي الله موقوفون؟!

✍ إن كل كلمة سطرورها وكل جملة دونوها ظلماً وبهتاناً في حق الأستاذ سيد قطب سيكون عليهم نقمة ووبالاً..

عجباً لأمر هؤلاء المحسوين على العلم والإسلام! عندما يسلم أحد المفكرين الغربيين أو القسوس والرهبان المشهورين ويعتقدون الإسلام، يعتلي هؤلاء المحسوبون المنابر والفضائيات والكراسي العلمية ويعكفون على ذكر مناقب المسلمين الجدد ويثنون عليهم ويحكون تحولاتهم الفكرية والعقدية والثقافية



الداعية يوسف إستس

التي مروا بها بحثاً عن الحقيقة، وأخيراً هداهم الله إلى الإسلام، ويطرونهم بالثناء والمدح على كفاح هؤلاء المسلمين الجدد من أمثال الشيخ الداعية يوسف إستس والسفير الألماني مراد هوفمان والطبيب روجيه غارودي ومحمد أسد -ليوبولد ويس سابقاً-، وغيرهم كثيرون.



إن هؤلاء المحسوبين على الإسلام لم أرهم قط يذكرون ماضي هؤلاء المسلمين الجدد! ولا يعترضون على ما فعلوا وارتكبوا قبل إسلامهم! لأن الإسلام يجب ما قبله! هذا موقف جميل وفي غاية الروعة والحمد لله على دين الإسلام ونعمة الإيمان. ولكنهم عندما يتناولون حياة ومؤلفات وفكر الأستاذ سيد قطب والتحولات الفكرية التي مر بها؛ فبدلاً من الثناء على جهود الأستاذ سيد قطب والترحيب بهذا الجندي الإسلامي الوفي الأمين، وبدلاً من الاستفادة من علم وتجربة هذا المفكر الأملعي الكبير، والإبكار لمثل هذه الخطوات الجريئة والشجاعة النادرة والوقوف الصامد الثابت، والجهر بكلمة الحق أمام ظالمي عصره وطغاة زمانه! تجد هؤلاء المحسوبين على العلم والإسلام قد صبوا غضبهم صَباً جَمّاً على فكر وعلم وتفسير الأستاذ سيد قطب! ونسفوا جهوده وتناسوا كفاحه وصبره! بل وشككوا في نيته فداء حياته للفكرة التي آمن بها، مخلصاً له الدين سبحانه وتعالى.

❁ لعمري إن هذا شيء عجاب! قالوا عن الأستاذ جاهل وإنه طاف في بلاد الأمريكان والكفر والفساد! لا علم له بالشريعة ولا بالتفسير ورجاله! ولا بالحديث الشريف وحُفَاطَه وشُراحه! ولم يكن على هدي ومنهج السلف الصالح! حسبي الله عليهم وأعوذ بالله من شر هذا الكلام وبطلانه! لقد جانبوا

الصواب وتنكبوا الصراط. أطاعوا إبليس وجنده من الإنس بهذا الكلام وبخسوا الناس أشياءهم وأغضبوا الرحمن. هل عاشوا في ظلال تفسيره؟! أشربوا من معين بلاغته وروعة أسلوبه وقوة بيانه؟! أشهدوا مؤلفاته؟! اطلعوا على كلامه؟! أقرؤوا عباراته من كل كتبه؟! أم أنهم استرقوا السمع من أجوبة العلماء في الأشرطة المسجلة وعملوا بالمتشابه من كلامه! ونقبوا في البلاد وكتبه عن هفواته وعيوبه؟!



❁ لقد تقولوا عليه بالأقاويل والأباطيل، وحملوا ألفاظه فوق ما تحتمل، وفسروا جمال أسلوبه في التفسير وحلاوة كلامه في التعبير بصاحب الفكر الإخواني والشيطاني الشرير! ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما أخلصوا يقيناً.

❁ لقد رفع الله تفسيره ومؤلفه في قلوب المسلمين والعلماء المخلصين وطلبة العلم الشرعي المنصفين وعامة الشعوب الإسلامية أجمعين، ابتداء من جنوب شرق أوروبا في بلاد البلقان^١ إلى جنوب شرق آسيا في جاكرتا ودار النعيم في كلانتان^٢، ومن القاهرة ودار العلوم والمشرق العربي إلى الجزائر وشمال إفريقيا، والحمد لله أولاً وآخراً.

أتريدون أن تطفئوا نور تفسيره بالأقلام الزائفة والخبر الفاسد؟! كلا، لقد رفعت الأقلام وجفت الصحف، وكتب لتفسيره حسن القبول بالترجمة والطبع والنشر والتدريس^٣، فإما أن تتوبوا وتعودوا إلى

١ إحدى الولايات الماليزية المجاورة لتايلاند.

٢ كوسوفا والبوسنة والهرسك ومقدونيا.

٣ ودُرس تفسيره مع تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني جنباً إلى جنب بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في الأيام التي كنت طالباً بالكلية عام ١٩٩٠-١٩٩٤، كان الشيخ الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري -إمام وخطيب مسجد قباء- يحمله في حقيقته ويحضره إلينا في المحاضرة، وكان يشرح منه ويقرأه علينا مع تفسير ابن كثير وتفسير الشوكاني، جزاه الله خيراً ورحم الله الجميع.

رشدكم، إذ لا مناص ولا انفكّك من هذه الحقيقة، وهذا أولى وخير لكم إن كنتم تعلمون! أو اخسؤوا ولا تُكلمون، وموتوا بغیظكم إن الله عليم بذات الصدور، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أهمية تفسير سيد قطب



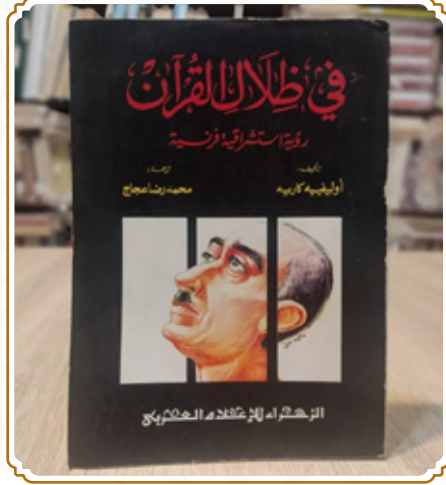
إن تفسير وكتاب «في ظلال القرآن» لا يُستغنى عنه بحال من الأحوال، وأن الداعية خاصة والمثقف المسلم عامة لا بد بأن يقتني نسخة منه، وأنه إذا حُرِمَ منه فقد حُرِمَ من خير كثير. ذلك أن صاحب هذا الكتاب لم يترك موضوعاً دعوياً عصرياً أو قضية دينية معاصرة إلا وله حديث مباشر أو غير مباشر عنه، وله فضل سبق في معالجة كثير

من المسائل والشبهات الدعوية والفكرية التي تثار في الساحة الإسلامية، وبيان الحل الإسلامي الأمثل المبني على الكتاب والسنة للخروج من الأزمات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية الراهنة والمتدهورة.

❁ لقد أبدى الأستاذ سيد قطب رحمه الله عصارة فكره وخلاصة تجربته في هذا الكتاب، أي: تفسيره «في ظلال القرآن» حيث اعتبر هذا التفسير من قبل النظام السياسي المصري الغاشم في الستينات ثورة فكرية إصلاحية دعوية على مصر وعلى العالم العربي والإسلامي، حيث كانت سلطات عبد الناصر في ذلك الوقت تفرض عقوبات على كل المكتبات والهيئات التي تحاول طبع هذا الكتاب، وفرض

٤ كما كان الحال في سورية في منتصف التسعينات حيث كان من العسير جداً الحصول على نسخة من كتاب في ظلال القرآن للأسباب التي ذكرناها آنفاً. وانظر: سيد قطب الأستاذ الحي، للأستاذ الخالدي، ص ٢٥-٢٦.

نظامه السياسي عقوبات جائزة على جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الأخرى، لأن ذلك الكتاب في نظرهم دعوة إلى التطرف الديني!^٥



وأؤكد هنا مرة أخرى بأن الله عز وجل شاء أن ينال هذا الكتاب شهرة كبيرة في العالم الإسلامي، وتلقته الأمة بالقبول وأصبح له مكانة مرموقة وسامية لدى كافة الدعاة في بقاع الأرض، وبمختلف اللغات العالمية. وأصبح له قراء وأنصار، وربما هذا الذي دفع بالمستشرق أوليفيه كاريه أن يقول في مقدمة كتابه (في ظلال القرآن - رؤية استشرقية): «الإخوان المسلمون أو قطب والقطبيون».^٦

❁ إن كتاب «في ظلال القرآن» ومؤلفه لجديران بالدراسة والبحث والتمعن من قبل الباحثين، لأنني على يقين بأن الكتاب وصاحبه وجماعته التي انتمى إليها، مظلومون ومتهمون باتهامات باطلة لا أساس لها، ولا سيما من قبل بعض الأنظمة السياسية العربية والعالمية، وحقاً كما قال الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: «قليلاً ما تنطبق الأسماء على مسمياتها تمام الانطباق! وسيد قطب من الذين تنطبق أسماءهم عليهم تماماً، فقد كان سيدياً وكان قطباً...».^٧

وللحديث بقية إن شاء الله..

٥ للزبد حول الحركات الإسلامية المعاصرة ومشكلاتها..انظر دراسة الأستاذ الدكتور مقداد يالجن من تركيا بعنوان: مشكلات الحركات الإسلامية وطرق معالجته، دار عالم الكتب، ط١، ١٩٩٧، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٣٥ - ٤٨.
٦ أوليفيه كاريه، في ظلال القرآن - رؤية استشرقية، ترجمة: محمد رضا عجاج، الزهراء للإعلام العربي، ط١-١٩٩٣، ص ٧.
٧ الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيد قطب الأستاذ الحي، عمان- الأردن، مكتبة الأقصى، ص ١١.



فرج كُندي

سفير الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ في ليبيا

أديان باطلة عقائد الهند نموذجاً

٢. الديانة البوذية

النشأة: يرجع العهد بالبوذية إلى القرن السادس قبل الميلاد، إن البوذية حركة فاشلة لا تكفل حاجات البشر لأنها تعيش في الخيالات والأوهام، ولا تواجه مشاكل الحياة وصعابها، وهي أقرب إلى الفلسفة في الحياة منها إلى الدين، وتقوم على التجرد والزهد تخلصاً من الشهوات والآلام.



❁ وقد نشأت أصلاً في الهند، إبان عصر كان طابعه الغليان الديني. فقد ظهرت مجموعة من العباد النُّسَّاك يبشرون بتحرير الروح من الجهل؛ حيث كان الفكر الديني في الهند في ذلك الوقت يقع تحت تأثير أعباء عبادة قوى الطبيعة واستخدام الهندوسية نظام الطبقات، وغيرها من الطقوس التي تُخضع الإنسان وتجعله يرسف تحت نير الجهل والظلم والتمييز الطبقي؛ فجاءت البوذية كرد فعل على هذه القيم التي سادت المجتمع الهندي قروناً طويلة؛ «قامت الديانة البوذية كردّ فعل على البرهمية وسلطة الكهنة التي أرهقت الناس. وهي في الواقع مجموعة من الأديان والفلسفات؛ فإن البوذا لم يخلف كتاباً مقدساً، ولم يدوّن تعاليمه، ولم تسجل آراؤه إلا بعد وفاته بأربعمئة عاماً»^٢.

الملاح العامة للديانة البوذية



✍ أهم ما تميزت به دعوة بوذا أن حرّم تقديم القرابين لاسترضاء الآلهة، وقطع الطريق أمام استغلال الكهنة لهذه القرابين لأغراضهم الخاصة؛ كما شجبت البوذية الفوارق الطبقيّة بين الأفراد والجماعات، وهذا ما قامت عليه البرهمية ونبذته البوذية؛ بل ساوت البوذية بين الرجل والمرأة في تنظيماتها وتطبيقاتها الدينية، كما أوصى بوذا أتباعه بالحلم والصبر والتواضع.

٢ مقارنة الأديان، دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية، طارق خليل السعدي، ص ٢٣٨-٢٣٧.

❁ ورغم انتمائه إلى أسرة أرستقراطية نافذة إلا أنه تحلى بمبدأ المساواة والتفكير الحر، «وقد نشأت البوذية كعقيدة أخلاقية لكنها تطورت إلى عقيدة دينية ألّمت بوذا، ولم يعد السعي لخلاص النفس غاية البوذي الصالح، وإنما أصبح الاقتداء بالبوذا يدفعه لبذل أقصى الجهود لخلاص نفوس رفاقه، حتى وإن أعاق ذلك خلاصه هو نفسه»^٣. واستمر بوذا ينشر تعاليمه ووصاياهم ويدعو لها، إلى أن فارق الدنيا وأحرقت جثته عن عمر ناهز الثمانين سنة.

خصائص الديانة أو الفكر البوذي



رغم التباين ما بين البوذية والبرهمنية إلا أنها ورثت عنها بعض التعاليم والمشاعر الدينية، التي تلتقي مع بعض الديانات الهندية. منها المكابدة التي تتجلى في طغيان الألم حتى تصبح الحياة معاناة ومكابدة، وهو سائد في الحياة الفكرية والدينية الهندية، وهذا ما دفع بوذا إلى تعظيم التضحية ودعوته للتقشف والزهد والفرار من زينة الحياة الدنيا، لدرجة المغالاة وكذلك التقمص.

فكرة الإله في الديانة البوذية

✍ إن الفوضى الدينية المتمثلة في كثرة الآلهة عند الهنود، جعلت بوذا يتبنى موقفاً من هذه الحالة الدينية المنغمسة في الغيبيات؛ فعمل على إزاحة هذه الحالة غير المقبولة خشية بطش الآلهة؛ فحصر بوذا تعليمه فيما عرف «بالكارما» أي: الفعل الإرادي الذي هو أساس كل شيء في الوجود.

٣ نفس المرجع، ص ٢٣٩

❁ ونبد الروحانية القائلة بوجود خالق، كما رفض القول بنشأة العالم عن طريق قوة مستقلة كامنة في الأشياء، «وإذا كانت البوذية تنكر فكرة الإله، لكن انبعثت داخلها -وفي غضون حياة بوذا نفسه- عقيدة دينية اتجهت نحو تأليه على الرغم من معارضته؛ فقد خاطبه أحد مريديه بقوله: إنني أعتقد أيها السيد اعتقاداً لا يرقى إليه الشك أنه لن يظهر أحد أعظم منك ولا أحكم ولو كان براهما نفسه، فأجابه بوذا: ما أجراً الكلمات التي تفوهت بها؛ فما بالك بالرجال المستنيرين (البوذات) الذين ظهروا قبلي وسيفدون بعدي؟ فأجابه المريد: لا أيها السيد؛ فإنك تعلم ما أخفي وما أعلن وتزن حكمتي وتقدر سلوكي.. إن كل من ظهروا قبلك ومن سيظهر بعدك من المستنيرين لن يبلغوا شأوك من الحكمة والإعجاز»^٤.

وهكذا تحولت البوذية من منحى فكري أخلاقي إلى عقيدة دينية من عقائد وأديان الهند الكبرى، لها خصائصها ومعتقداتها وطرقها التي حولت بوذا إلى إله!

الفرق البوذية

انقسم البوذيون إلى ثماني

عشرة فرقة، أشهرها فرقتان هما:

أ. «هنايان»: وتعني العربية

الصغيرة، وانتشرت هذه الفرقة في

جنوب الهند وجزيرة سيلان، ولها



٤ مقارنة الأديان.. دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية، طارق خليل السعدي، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

ثلاثة كتب كُتبت بعد بوذا بنحو أربعة قرون، وهي تنكر وجود الله تعالى وكذلك الروح والإلهام، تؤمن بأن بوذا إنسان من أب وأم ومات، ولكنه تميز بصفات أوصلته إلى القداسة واستحق لقب «آجاريا منش».

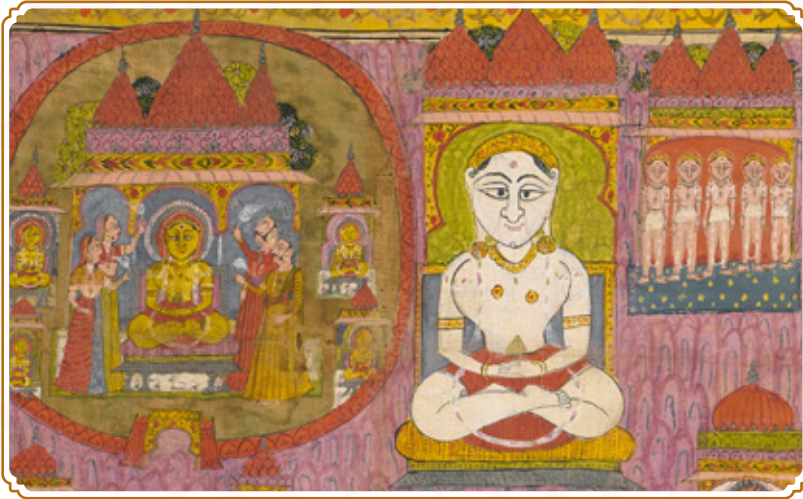
ب. «ماهايان»: وتعني العربية الكبيرة، وانتشرت في مناطق شمال الهند والتبت ومنغوليا والصين واليابان، وتؤمن هذه الفرقة بأن بوذا ليس له جسم؛ بل إنه نور مجسم، وظل ظهر في الدنيا، وهو الإله الأكبر، وهو الإله الأزلي، واتخذت هذه الفرقة من الرهبان آلهة أيضاً!

طريقة العبادة في الديانة البوذية

تتجسد العبادة في الديانة البوذية في الشاء على بوذا والإثثار من حمده والمبالغة في ذكر محاسنه وكماله وجماله، كذلك التلذذ بذكره في صورة عليا من مراتب العبادة مع التلذذ أيضاً بنوره في خلواتهم أو في المجتمع.

٣. الديانة الجينية

● نشأة الديانة الجينية



تعدّ الديانة الجينية ضمن الديانات الهندية المهمة، بالرغم من قلة عدد معتنقيها مقارنة بالديانات البرهمية والبوذية؛ لما لها من تأثير كبير في الديانات الأخرى في الهند.

يدعي معتنقو الجينية أن ديانتهم قديمة كقدم العالم، وأن «مها بير سوامي» (٥٤٠-٤٨٦ ق م) المعاصر لبوذا هو من جدّد أصولها ونشر عقيدتها. يقول لا لا ديوان جند في كتابه (هل الجينية أزلية؟): «إن هذه

الدنيا قديمة أزلية لا بداية لها ولا نهاية؛ فلكذلك الجينية^٥. ويعتقد الجينيون أن هناك ثلاثاً وعشرين من الرسل «تير شنكر»، يعتقد الجينيون أنهم آلهة تقدموا على «مها بير سوامي».

انقسام الجينية انقسمت الديانة الجينية إلى فرقتين رئيسيتين:



الفرقة الأولى: الدجامبرية وتعني أن لباسهم السماء، أي أنهم يفضلون أن يكونوا عراة.

الفرقة الثانية: الشوتامبرية وتعني الذين يختارون اللباس الأبيض، وانقسمت هاتان الفرقتان إلى قسمين

أيضاً: قسم يعبد الأصنام والقسم الثاني يحرمها.

❁ الاختلاف بين الفرقة الدجامبرية والشوتامبرية في نحو أربع وثمانين مسألة، أكثرها في الفروع

والجزئيات، ولكن منها ثلاثة اختلافات رئيسية:

● أولها: العلاقات الدنيوية: عند



الدجامبرية أن النجاة والمعرفة الكاملة تكون بقطع العلاقات الدنيوية تماماً، مع اجتناب اللباس وستر العورة. في حين نجد الشوتامبرية يضعون على وجوههم الثياب أثناء حديثهم، وهذا خلاف ما عليه الدجامبرية الذين يجتنبون الثياب كلياً.

٥ فصول في أديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مرجع سابق، ص ١٥٤.

● **الاختلاف الثاني:** حول حصول المرأة على النجاة. فالفرقة الشوتامبرية ترى أنه تحصل لها النجاة في قلبها النسوي، في حين ترى الدجامبرية أنه لا تحصل لها النجاة لأن في إبطها جرثومة تموت بحركتها، وكذلك أنها تنجس كل شهر بحيض، فيلزم عليها ولادتها بقلب الرجل في الحياة الثانية.

● **الاختلاف الثالث:** ما يعرف بالعارف الكامل، وهو أن الفرقة الدجامبرية ترى أن العارف الكامل لا يعتره جوع ولا عطش ولا مرض طوال حياته، وهذا يخالف ما تراه وتعقله الفرقة الشوتامبرية.

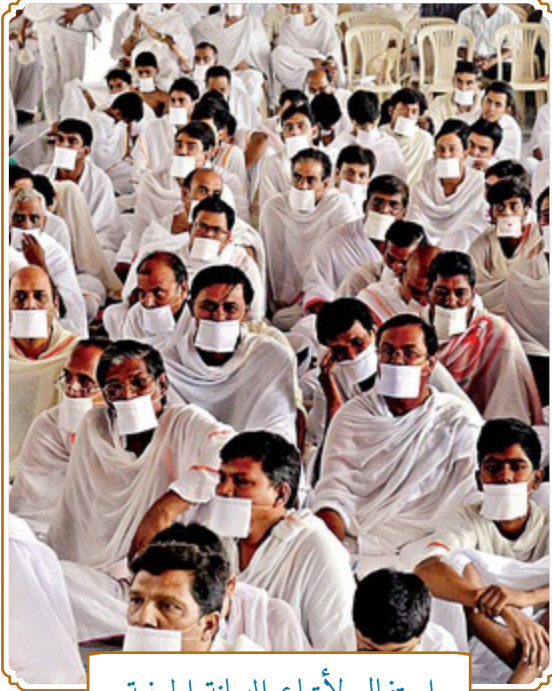
❁ هذه الفروق الأساسية بين فرقتي الجينية وباقي الخلافات تكون في الفروع والجزئيات فقط، وهي كثيرة كما ذكرنا سابقاً أنها بلغت أربع وثمانون مسألة جزئية.

عقائد الجينية وطبقاتهم



❁ لا يؤمن الجينيون بوجود خالق للدينا، وأنها ثمرة الروح والمادة، وعلاقة الروح والمادة نتيجة «الكارما»، التي تعيد الروح إلى الدنيا مرات متتالية، تتخلص الروح بالإيمان الصحيح والعلم الصحيح وهو يعرف «بالمكتي» أي النجاة. والروح الناجية هي «برماتما» وهي تعود بعد النجاة إلى الدينا ويجب على

الإنسان أن يجتهد في تخليص روحه من العودة، والدينا مركز الأرواح ويجب على الراهب الجيني أن يختار حياة «برما جاريا»، وتعني البعد عن المرأة وعن التطيب والتزين، كما يجب السيطرة على الحواس الخمسة؛ لأنها هي التي تجعل الإنسان يعيش حياة الشهوة والرغبة في الدينا وبالتالي لا يحصل له «النرفانا».



احتفال لأتباع الديانة الجينية

وتنقسم طبقات رجال الجينيين إلى خمس طبقات:



● **الأولى:** طبقة «أرھت» وهي الأرواح الكاملة الناجية، وصلت عندها المعرفة إلى درجة المعبود قبل موتها والعياذ بالله.

● **والطبقة الثانية:** طبقة «سدها» وهي الروح التي نجت من تكرار العودة للحياة، ووصلت مقام النجاة بعد موتها.

● **والطبقة الثالثة:** «آجار» وهو رئيس الكهنة

● **والطبقة الرابعة:** «آباديا» وتعني الراهب المرشد الذي يتجول في البلاد وهو تابع لـ«آجاريا».

● **والطبقة الخامسة:** «سادو» وهو الراهب والناسك العادي الذي دخل سلم الحياة الجينية.

وللحديث بقية في المقال الثالث والأخير إن شاء الله.



فقه الحج

هذه دورة عن فقه الحج قام بإلقائها فضيلة الدكتور ياسر النجار، تناول فيها أهمية الحج وإنه ركن من أركان الإسلام، وذكر الأدلة الشرعية، وأقوال العلماء بالتفصيل والتأصيل، ثم تكلم الشيخ عن تعريف الحج وأركانه وشروطه وعلى من يجب، وأنواع الحج وذكر ذلك في سبعة عشر محاضرة.

يمكنك الاشتراك في الدورة من هنا

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

17 محاضرة 10 ساعات

من أهداف الدورة:

- ◇ تغطية جزء من فقه العبادات مما لا يسع المسلم جهله.
- ◇ معرفة حكم الحج وهل يجب على الفور.
- ◇ معرفة خصال الاستطاعة المعتبرة شرعاً.
- ◇ معرفة الشروط الخاصة بالنساء في الحج.
- ◇ معرفة شروط صحة الحج.

دورة علمية تتناول حدث الهجرة كاملاً من بداية إرهابات الهجرة إلى وصول النبي ﷺ المدينة، وأسبابها وأحداثها ونتائجها، وتبين ما ثبت وما لم يثبت من الوقائع التاريخية حول هذا الحدث العظيم، وتتناول حدث الهجرة النبوية بالتفصيل، وما الذي حدث مع النبي وأصحابه، والهجرة الأولى إلى الحبشة، ذكر الوفد الذين قدموا من الأنصار لبيعة رسول الله، وسرد حدث الهجرة على طريقة القراءة وإسقاطها على واقع المسلمين، حتى يستفيد من سردها كل مسلم ومسلمة.

9 محاضرات 3 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

قصة
الهجرة



مع فضيلة الشيخ الدكتور

جعفر الطلحاوي
أستاذ الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف

فقه الصيام

هي دورة علمية يقدمها فضيلة الشيخ الدكتور / جعفر الطلحاوي في فقه الصيام وما يلحق به في عدة حلقات، تُقدم شرحاً تفصيلياً لفقه الصيام، وذكر القول الراجح من أقوال العلماء، كما تجيب على أكثر الأسئلة شيوعاً وتكراراً في باب فقه الصيام، وذكر الراجح من أقوال العلماء في المسألة، دون الدخول في تفاصيل أقوال المذاهب، والمسائل الخلافية بينهم، وما يلحق به كـ (الاعتكاف - وزكاة - الفطر)، وهي دورة علمية بين يدي رمضان نصل بها إلى عموم المسلمين تعليماً وتفهماً.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

8 ساعات



20 محاضرة



دورة شرح الأرجوزة الميمنية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ، التي ألفها العلامة ابن أبي العز الحنفي الدمشقي في مئة بيت، ذكر فيها سيرة وحال النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، في أبيات على بحر الرجز ولذا سميت الأرجوزة، وقام بشرحها فضيلة الدكتور محمد سميد بكر في كتاب تحت عنوان (القيم النبوية في الأرجوزة الميمنية) في أربعة عشر لقاء في أكاديمية أنصار النبي ﷺ.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

5 ساعات



15 محاضرة



اضغط هنا للاشتراك في الدورة

دورة قواعد الإدارة النبوية يقدمها فضيلة الدكتور محمد سميد بكر، يتناول فيها كيف كانت إدارة النبي ﷺ في التخطيط والتنظيم، والمتابعة، والمراقبة، والتوجيه، وكيف تعامل مع إدارة الأزمات، وإسقاط ذلك على واقع الإدارة الحديثة وآلية تفعيل هذه القواعد في وقتنا الحاضر، وذلك في عشر محاضرات.

10 محاضرات



3 ساعات





أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

10 ساعات



30 محاضرة



اضغط هنا للاشتراك في الدورة



دورة علمية تأصيلية في فقه الجهاد وأحكامه في الشريعة الإسلامية، قدمها فضيلة الدكتور عبد الحي يوسف، تناول فيها تعريف الجهاد وأنواعه ومراتبه ومراحل تشريعه، ثم استفاض الشيخ في التفصيل في مسائل الباب وبيان أحكامها وأدلتها وإنزال ذلك على واقع الجهاد في فلسطين.



دورة شرح العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ الدكتور الحسن الكتاني، شرح فيها كتاب العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ محمد يسري إبراهيم، وتوضح الدورة عقيدة المسلمين في بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومكانة هذه المقدسات في الإسلام، وما يجب على المسلمين تجاهها، مع الرد على كافة الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

8 ساعات



19 محاضرة



اضغط هنا للاشتراك في الدورة



سلسلة

السيرة النبوية

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

من نبعته إلى بعثته ﷺ من هجرته إلى وفاته ﷺ
من بعثته إلى هجرته ﷺ الفزوات النبوية



الشيخ د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

سلسلة السيرة الفرنسية

السيرة النبوية

استعراض لسيرة النبي ﷺ
من خلال دراسات ومؤلفات
المستشرقين والمؤرخين
الفرنسيين، تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

السيرة النبوية الفرنسية



سلسلة شرح

كِتَابُ الشِّفَا

بتعريف حقوق المصطفى

وقفات مع الكتاب الأوفر الأشهر
للقاضي عياض، للتعريف بحقوق
النبي ﷺ والواجب على أمتة نحوه.

سلسلة شرح كتاب الشفا



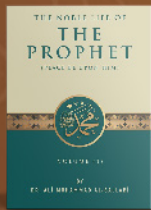
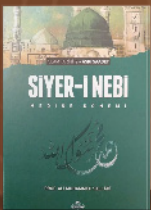
الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

كتاب

السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ

بعده لفات



الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي

١ ٢



١ ٢



١ ٢ ٣



١ ٢





الأجوزة الميئية

في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأجوزة الميئية
في ذكر حال أشرف البرية
لابن أبي العز الحنفي

الأجوزة الميئية
في ذكر حال أشرف البرية



تعليق الشيخ: مختار بن العربي

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ



كتاب

رِئَاضُ الصَّالِحِينَ

للإمام النووي

زبدة أحاديث السنة النبوية كما
جمعها الإمام الكبير محيي الدين
شرف النووي

رابط الكتاب المسموع

يمكنك تحميله كتطبيق
على الهاتف من هنا



بصوت الدكتور: بسام صهيوني

عضو مجلس الأمناء للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

كتاب الأربعين في نصرة النبي الأمين



الشيخ أحمد الحسني الشنقيطي

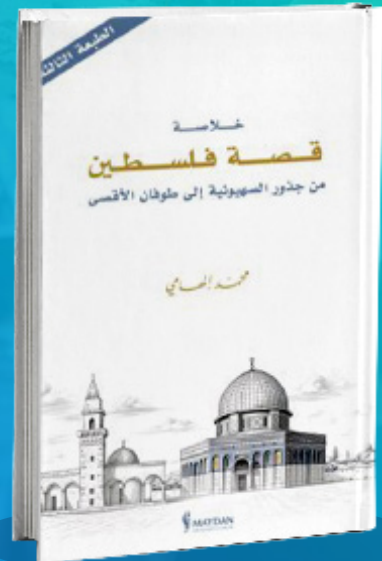


خلاصة

قصة فلسطين



محمد إلهامي



رابط الكتاب



﴿قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾

سه زيات العلماء والدرعاة والشهداء والراحمين

أئمة الهجري

خصصنا قسم الراحين لهذا العدد لفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، لمرور ذكرى وفاته (٢٦ سبتمبر ٢٠٢٢م)

ذكرى مولد الرسول ﷺ

د. يوسف القرضاوي

١٥٨

لماذا يغلي الشباب المسلم؟

د. يوسف القرضاوي

١٦٧

هذا.. هو عدونا

د. يوسف القرضاوي

١٧٨

كيف نحارب إسرائيل؟

د. يوسف القرضاوي

١٨٨

الإمام المجدد يوسف القرضاوي

القائد الشهيد إسماعيل هنية

١٩٦





د. يوسف القرضاوي

رحمه الله

ﷺ

ذكرى مولد الرسول

❁ كلما أهل علينا شهر ربيع الأول تذكر الناس مولد أعظم شخصية في الوجود، وهي شخصية محمد ﷺ، الذي اصطفاه الله تعالى من خلقه، وصنعه على عينه، وأرسله رحمة للعالمين.

✍ وللناس في هذا الشهر أحوال في الاحتفاء أو الاحتفال بمولد محمد ﷺ، واحتفاؤنا واحتفالنا واهتمامنا بمولده ﷺ ليس كما يصنع الجاهل والغافلون من الناس؛ ليس بأن نقيم الزينات، أو نرفع الرايات، أو نوزع الحلوى، إنما احتفالنا به أن نتذكر هذا الرسول العظيم، أن نعيش في ذكراه، أي نعيش في ذكرى سيرته، أو ذكرى رسالته ﷺ.





❁ إن هذا الرسول العظيم قد ترك لنا سيرة طاهرة عاطرة، وترك لنا رسالة عامة خالدة، صالحة مصلحة لكل زمان ومكان، والاحتفاء والاحتفال به أن نتذكر هذه السيرة وتلك الرسالة؛ فالسيرة النبوية هي من أنصع الأدلة على أن محمداً ﷺ مرسل من ربه، لا يمثل نفسه، وإنما يمثل الإرادة العليا، إرادة الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣-٥].

من قرأ هذه السيرة، عرف بصدق ويقين أن صاحبها لا يمكن أن يكون دعيًا، لا يمكن أن يكون دجالًا، كما لا يمكن أن يكون ملكًا أو طالب ملك، لا يمكن أن يكون رجل دنيا.. صاحب هذه السيرة صادق كل الصدق، يمثل الصدق في هذه السيرة في كل جنباتها، ومن هنا كان علينا أن نقف وقفات في جوانب العظمة والخلود والطهارة والإشراق في هذه السيرة النبوية المحمدية.

حفظ السيرة النبوية



ومن حسن حظنا نحن المسلمين أن هذه السيرة محفوظة، مروية، مسجلة، مخلدة.. سير الأنبياء معظمها ضاعت، وما بقي منها لا يكون حلقات متصلة، وليس له إسناد يصلنا بهم، ولكن سيرة محمد ﷺ بقيت محفوظة.

✍ السيرة محفوظة في كتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من



خلفه. وهي محفوظة في أحاديث رسول الله ﷺ، وفي سننه التي رواها الثقات في كتب الحديث الجامعة في الصحيحين، وفي الكتب الستة، وفي الجوامع والمصنفات والمسانيد. كما أنها محفوظة في كتب السيرة التي عنيت بهذا الأمر خاصة، مثل كتب ابن إسحاق وابن هشام وابن كثير وغيرهم. ومحفوظة في كتب الشمائل التي عنيت بأخلاقه وشمائله وهديه ﷺ. ومحفوظة في كتب الدلائل، ودلائل النبوة والآيات والمعجزات الحسية والمعنوية المتكاثرة والوفيرة. ومحفوظة في كتب التاريخ العام، التي خصصت جزءاً كبيراً لحياته ﷺ.

❁ السيرة محفوظة من ألفها إلى يائها، من المولد إلى الوفاة. في السيرة كيف وُلد؟ ومتى ولد؟ ومن أرضعه؟ ومن احتضنه؟ وكيف نشأ؟ وماذا عمل في صباه؟ وماذا عمل في شبابه؟ وماذا صنع في كهولته قبل البعثة وبعد البعثة، قبل الهجرة وبعد الهجرة؟

كل هذا تحكيه لنا سيرة محمد ﷺ، حلقات متصلة مروية بأسانيدھا الصحاح. لا يوجد هذا لأي نبي من الأنبياء، ولا لأي عظيم من العظماء.

عموم وخلود رسالته ﷺ



الأنبياء الذين بعثهم الله بعثهم لمراحل موقوتة، لزمان محدود معلوم، ولأقاليم معينة، وأقوام مخصوصين. أما محمد ﷺ فكانت رسالته عامة خالدة خاتمة، امتدت طويلاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة.

وَاللَّهُ لَظَاهِرٌ لِّلْمُنِيرِ



❁ لهذا تكفل الله بحفظ سيرته وسنته ﷺ

في مجموعهما، باعتبارهما البيان النظري، والشرح

العملي للكتاب الكريم. والله تكفل بحفظ كتابه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]،

والسنة والسيرة هما الشرح النظري والتطبيق العملي

لكتاب الله، لهذا حفظهما الله سبحانه وتعالى.

شمول السيرة

إن سيرة رسولنا ﷺ تحكي لنا كل أحواله، أقواله وأعماله، وتقريراته، وأوصافه الخلقية، وصفاته الخلقية، وسيرته كلها. ليست هناك دائرة حمراء في هذه السيرة فيقال هذه لا تروى، أو هذا شيء خاص لا يذكر للناس، لا، حياته كلها ﷺ ملك للناس!

حتى صلته بأهله، حتى الصلة الجنسية تروى للناس، لأن فيها تشريعاً، ولأن فيها اقتداء. روت لنا السيرة كل حياته ﷺ في علاقته بربه، في علاقته بنفسه، في علاقته بزوجاته، في علاقته بأولاده، في علاقته بأحفاده، في علاقته بالناس، في علاقته بالأعداء، في سلّمه إذا سالم، في حربته إذا حارب، في صلّحه إذا صالح، كل هذا مروي في سيرة رسول الله ﷺ.

❁ حتى حياته الخاصة، تروى تسع نسوة، لو نسيت واحدة ذكّرتها الأخرى، ليكون كل شيء أمامنا واضحاً جلياً: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].



❁ ما أحوجنا نحن المسلمين إلى أن تدبر سيرة رسولنا ﷺ، أن نعيش مع هذه السيرة، أن نستجلي جوانب العظمة المحمدية، العظمة التي أشار إليها رب العزة في كتابه. أشار إلى جانب من جوانبها، وهو الجانب الخلقي حينما قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. الله زكى نبيه هذه التزكية وليس بعدها تزكية.

ما أحوجنا إلى أن ندرس هذه السيرة دراسة المتأمل البصير، لنعرف كيف نقتدي برسول الله ﷺ، وكيف نأخذ الأسوة، ونقتبس النور من هذه السيرة الجامعة لحياتنا.. لأنفسنا.. لبيوتنا وأسرنا.. لأبنائنا وبناتنا.. لمجتمعاتنا.. لحكامنا ومحكومينا.. نأخذ من هذه السيرة هدياً، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.



❁ إننا كثيراً ما نقف عند الأشياء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، طالما كنت أسمع وأنا صغير قصة المولد، يقرأونها في القرى والأرياف، ومعظم هذه القصة تدور على أشياء وخوارق ليس فيها هذا الأمر الذي نريده: جانب القدوة، جانب التأسي، جانب العظمة في سيرة محمد ﷺ وفي رسالته. طالما رأينا المؤذنين يؤذنون على المآذن والمنابر، يقولون: الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله! وما ثبت أنه أول خلق الله، الصلاة والسلام عليك يا مليح الوجه يا رسول الله! أفى ملاحه الوجه هذه مجال للقدوة؟!



المسلمون - أو أقول: الكثيرون منهم- أخطأوا فهم شخصية رسول الله ﷺ، هذه الشخصية التي أنزلت عليها الرسالة الخالدة العامة، اختاره الله عز وجل ليختم النبوات والرسالات، ويعلن أنه خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده.

هذه الشخصية في حاجة إلى أن ندرسها، إلى أن نعرفها، وما أكثر الجوانب التي يمكن أن نقف عندها لنعرف عظمة الشخصية المحمدية.

الرسول العابد

خذوا الجانب الرباني من سيرته وحياته ﷺ، جانب التعبد لله سبحانه وتعالى. إن من يقرأ في هذا الجانب جانب العبادة.. الصلاة.. الصيام.. الذكر.. التسبيح.. التهليل.. التكبير.. الدعاء.. الاستغفار، يجد قلباً نابضاً بحب الله سبحانه وتعالى، يجد لساناً رطباً بذكر الله تعالى، لا ينساه على كل حال، يذكر الله في كل أحواله، وعلى كل أحيانه.

❁ انظروا إلى الرسول العابد الذي أمره الله تعالى بقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، فكان يعبد في ليله ونهاره، وصباحه ومساءه، في خلوته وجلوته، لا يفتر عن عبادة ربه. كان يعلم أن الإنسان ما خلق إلا لعبادة الله، وأن عبادة الله هي المهمة الأولى لهذا المخلوق. كان يعلم أن مهمته أن يعبد الله عبادة مبنية على معرفة به ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]. لهذا كان ﷺ أكثر الناس إقبالا على الله.



شرع الله الصلوات الخمس لتربط المسلم بربه كل يوم خمس مرات، لا يوجد دين يربط الإنسان بمولاه هذا الربط الوثيق. ليكون دائماً على موعد مع ربه، كلما شغلته الشواغل، كلما غرق في لجة الحياة، كلما أنسته مطالب الدنيا، كلما غرق مع التجارات، مع الدينار والدرهم، لكنه حين يسمع المنادي ينادي: الله أكبر الله أكبر.. حي على الصلاة، حي على الفلاح، يترك البيع والشراء، ويترك دنياه ودنيا الناس، ويهرع إلى بيت الله، هكذا علم محمد ﷺ الناس.

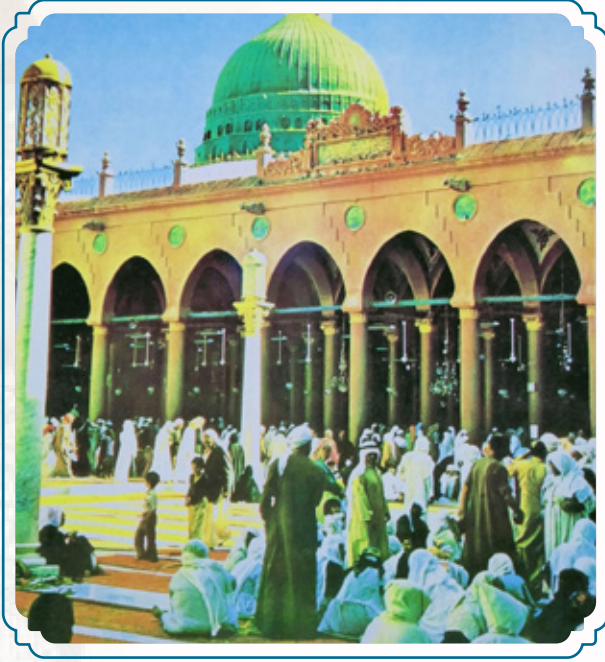


❁ علمهم أن الحياة إنما تكون لله وبالله، وأن الإنسان يجب أن يتحرر لمولاه، هكذا علمه ربه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

ولهذا كان ﷺ المسلم الأول في كل أمر، المسلم الأول في عبادته إذا تعبد، في ذكره إذا ذكر، في دعائه إذا دعا، في خلقه إذا تخلّق، في جهاده إذا جاهد. كان المسلم الأول في عبادته لله، ولم تكن عبادته مجرد تسديد خانة، أو امتثالاً لأمر، بل كانت عبادته عبادة الحب والشوق إلى الله عز وجل. كان إذا قرب وقت الصلاة يتشوق إليها ويحن لها، ينتظر وقتها بفارغ الصبر، حتى إذا حان الوقت قال لمؤذنه: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة». وما أعظم الفرق بين من يقول: «أرحنا بها»، ومن يقول: «أرحنا منها»!

إنها صلاة الحب، لا مجرد صلاة الأمر، إنه كان يجد فيها نفسه، يجد فيها غذاء قلبه، وانشرح صدره، وحياة روحه، وقرّة عينه. وقد قال ﷺ: «وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».





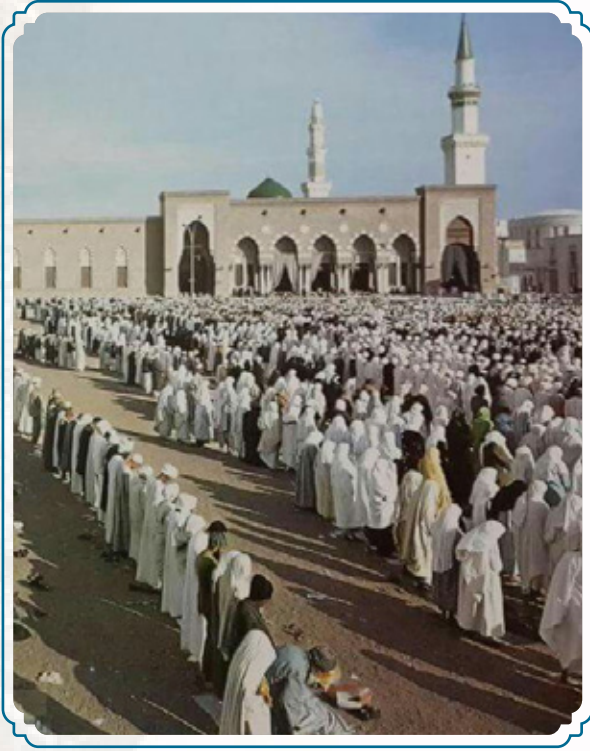
❁ كان يصلي الصلوات الخمس في ميقاتها.. في
جماعتها، بخشوعها، وركوعها، وسجودها، وإسباغ
وضوئها. وما كان يكتفي بها، بل كان له صلوات:
كان يصلي من الليل، ما كانت متاعبه لتشغله عن
وقوفه بين يدي ربه. إذا جنّ الليل وأرخى ستوره،
وغارت النجوم، وهدأت العيون، وأوى كل ذي
فراش إلى فراشه، كان يقوم من الليل، ويصف
قدميه مصلياً لله عز وجل، ويناجيه فيقول:

«اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض، ولك الحمد
أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة
حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت،
وإليك حاکمت، فاغفر لي ما قدمت وأخرت، وما أسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت.»

❁ هذا هو النبي العظيم، ما شغلته متاعب الحياة، ومتاعب الدعوة، وما شغلته حياته الخاصة: تسع نسوة
لهن مطالب، ومسلمون لهم حاجات، وعليه توجيههم وهدايتهم، وجبهات تقف له بالمرصاد تريد أن تقتلع
جذوره، وأن تهدم دعوته من أساسها.. الجبهة الوثنية، والجبهة اليهودية، والجبهة النصرانية البيزنطية، والجبهة
المجوسية المتربصة، والطابور الخامس من المنافقين الذين يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر ❁ يُخَادِعُونَ اللَّهَ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿البقرة: ٩﴾.



❁ متاعب الحياة، ومتاعب الدعوة وهمومها، ما كانت لتشغله أن يقف بالليل مع ربه. يقف ويطيل الوقوف حتى تتورم قدماه، وحتى تتفطر وتنشقق من طول القيام. حكى عنه حذيفة رضي الله عنه قال:



«صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها. يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ. ثم ركع فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحواً من قيامه. ثم قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد»، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع. ثم سجد فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريباً من قيامه».

إنها صلاة يشعر فيها بحلاوة العبادة، يجد حلاوتها في قلبه، فلا يمل ولا يضجر ولا يسأم...

صلى الله عليك وسلم يا رسول الله، وجعلنا من المهتدين بهديك، المتدين بسنتك.



د. يوسف القرضاوي

رحمه الله

لماذا يغلي الشباب المسلم؟

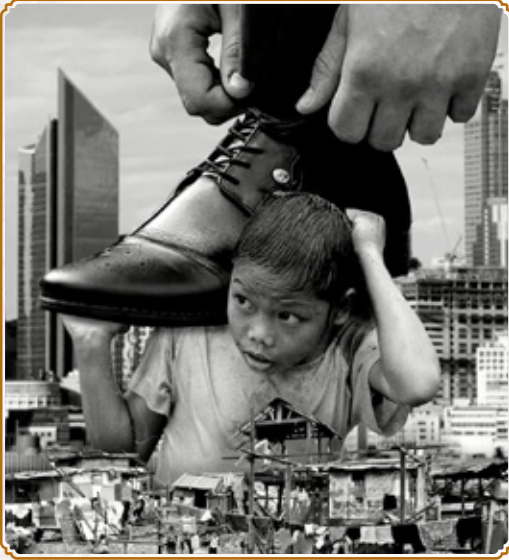
ذلك أنه يرى المنكر يستعلن، والفساد يستشري، والباطل يتبجح، والعلمانية تتحدث بملء فيها، والماركسية تدعو إلى نفسها بلا نجل، والصليبية تخطط وتعمل بلا وجل، وأجهزة الإعلام تشيع الفاحشة، وتنشر السوء. يرى النساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، ويرى الخمر تُشرب جهاراً، وأندية الفساد تجعل الليل نهاراً. يرى المتاجرة بالغرائز على أشدها، من أدب مكشوف، وأغانٍ خليعة، وصور فاجرة، وأفلام داعرة، وتمثيلات ومسرحيات وووو.. كلها تصب في نهر الإغراء بالفسوق والعصيان، والتعويق عن الإسلام والإيمان.





يرى المسلم هذا في ديار الإسلام، ويرى معها التشريع الذي يجب أن يعبر عن عقائد الأمة وقيَمها في صورة قوانين تحرس معنويات الأمة، وتعاقب من يجترئ على حماها.. هذا التشريع للأسف يبارك المنكر، ويؤيد الفساد، لأنه لم ينبع مما أنزل الله، بل مما وضع الناس، فلا عجب أن يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، ويُسقط فرائض الله، ويعطل حدود الله.

ثم يرى الحكام الذين حملهم الله المسؤولية عن شعوبهم المسلمة يسرون في وادٍ غير وادي الإسلام، يوالون من عادى الله، ويعادون من والى الله، ويقربون إليهم من بعد الله، ويبعدون من قرب الله، ويقدمون من آخر الإسلام، ويؤخرون من قدمه، ولا يذكرون الإسلام إلا في الأعياد والمناسبات، تمويهاً على شعوبهم، وضحكاً على لحاهم!



ومن ناحية أخرى، يرى الظلم الاجتماعي البين، والتفاوت الطبقي الفاحش، أفراد يلعبون بالملايين، وجماهير لا يجدون الملايين، قصور تُشاد وتُنقَع عليها عشرات الملايين، وربما لا تُسكن في السنة إلا أياماً معدودات، على حين يموت ملايين في العراء، لا يجدون ما يحميهم من حر الصيف ولا برد الشتاء؛ أناس تموج خزائهم بالذهب كما يموج التنور باللهب، وأرصدتهم في البنوك الأجنبية بأرقامها السرية، لا

يعلم مقدارها إلا الله والكرام الكاتبون، والخواجات الحاسبون؛ وسواد الناس ليس لهم خزائن إلا الجيوب التي كثيراً ما تشكو الإفلاس والخواناء.. فهي قناعة بالقليل، ولكنه لا تجده، منشدة قول أبي العتاهية:

حسبك مما تبتغيه القوت.. ما أكثر القوت لمن يموت!



ومع هذا لا تجد ما تشتري به القوت يسد جوعة الأطفال يصرخون، أو الكبار يتألمون، ولو تبرع وجيه أو ثري من أثرياء النفط، أو أثرياء الانفتاح، أو وسطاء الشركات العالمية! بما يكسبه في صفقة، أو يخسره في ليلة على المائدة الخضراء، أو ينفقه تحت أقدام شقراء، لأغنى الكثير من الفقراء، وأشبع الكثير من الجياع، وكسا الكثير من العراة.

وكيف لا، والثروات الضخمة تُجمع بل تُتهب، والأموال العامة تُسرق بل تُغصب، والرشوة لها سوق بل أسواق، والمحسوبية قائمة على قدم وساق، واللصوص الكبار يتمتعون بالحرية والتكريم، واللصوص الصغار وحدهم يتعرضون للعقاب الأليم! وداء الحسد والبغضاء بين الأفراد والفئات -نتيجة لهذا النظام- يفتك بالقلوب والعلاقات، فتك الأوبئة بالأجسام؛ ودعاة المبادئ الهدامة يستغلون هذا المناخ وتناقضاته الصارخة، ليؤججوا نار الصراع الطبقي، والحقن الاجتماعي، تهيئة لنشر مذاهبهم المستوردة، فيجدوا في هذا الجو الأذن التي تسمع، لا حباً في المذهب المنشود، ولكن كرهاً للواقع المشهود.

❁ وأساس هذا كله: أن الإسلام -بشموله وتكامله وتوازنه- غائب عن الساحة، غريب في أوطانه، منكور بين أهله، معزول عن الحكم والتشريع، وعن توجيه الحياة العامة، وشؤون الدولة في سياستها واقتصادها، وسائر علاقاتها بالداخل والخارج.. وفرض على الإسلام أن يتقوقع في العلاقة بين المرء وربّه، ولا يتجاوزها إلى العلاقات الاجتماعية، أو الدستورية، أو الدولية.

ومعنى هذا أنه فرض على الإسلام أن يكون نسخة من النصرانية في عهد انكماشها، أي: يكون عقيدة دون شريعة، وعبادة دون معاملة، وديناً دون دولة، وقرآناً دون سلطان.



المشكلة ترجع في جوهرها إلى فرض (العلمانية) على المجتمع الإسلامي، وهي اتجاه دخيل عليه، غريب عنه، مجافٍ لكل موارثه وقيمه، فإن محصلة العلمانية هي فصل الدين عن الدولة، وإبعاده عن الحكم والتشريع، وهذا لم يعرفه الإسلام في تاريخه قط، إذ كانت الشريعة هي أساس الفتوى والقضاء في الأمة الإسلامية طول عصور تاريخها، وكان الإسلام مصدر العبادات والمعاملات والآداب والتقاليد بين الناس.



قد يوجد من شذ عن ذلك من الحكام والمحكومين، من اتبع الهوى، وانحرف عن الهدى ودين الحق، ولكن لم يوجد قط من يجحد الإسلام شريعة يرجع إليها المختصمون، ويتحاكم إليها المختلفون. حتى الطغاة والجبابرة المتسلطون من أمثال: الحجاج بن يوسف وغيره، إذا ووجهوا بأحكام الشرع، ونصوص القرآن والسنة، لم يملكوا إلا أن يقولوا: صدق الله ورسوله ﷺ، سمعنا وأطعنا.

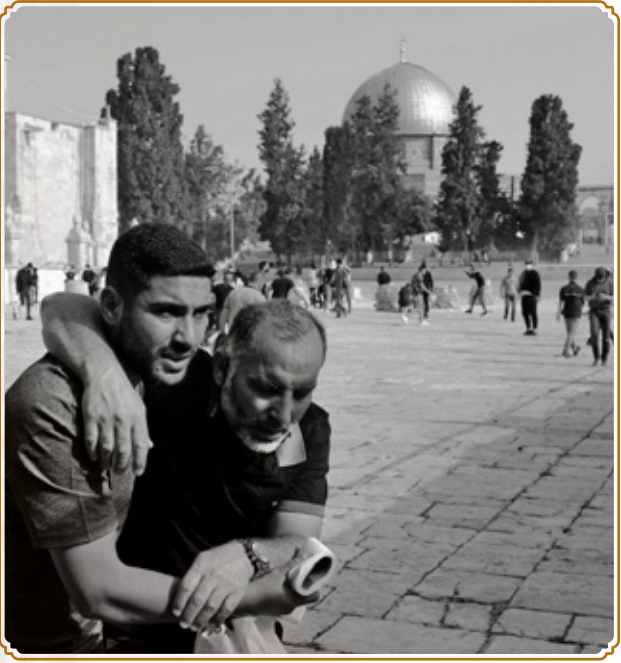
وفرق كبير بين أن تميل عن صراط الشريعة وعدلها، بدافع من شهوة أو غضب، أو حسد أو غفلة، أو نحو ذلك، وبين أن تجمدها ولا تعترف بها، ولا تقر بأن لها السيادة، ومن حقها الحكم، لأنها تمثل كلمة الله، وحكم الله، وكلمة الله هي العليا، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

❁ فلا غرو أن تصدم هذه المشكلة بعنف وجدان الجيل المسلم، وتقلق ضميره، حيث يجد الأمم الأخرى تكيف حياتها وفقاً لعقائدها وفلسفاتها وتصوراتها عن الدين والوجود وعن الله والإنسان، ويجد المسلم وحده مكتوباً عليه أن يعيش في صراع بين عقيدته وبين واقعه، بين دينه وبين مجتمعه.



فإن الإسلام عقيدة وشريعة، ونظام كامل للحياة، وبهذا يعني قبوله العلمانية اطراح شريعة الله، ورفض أحكام الله، واتهام هذه الشريعة بأنها لا تصلح لهذا الزمن.. واتخاذ البشر شرائع لأنفسهم من وضع عقولهم، معناه: تفضيل علمهم المحدود وتجاربهم القاصرة على هداية الله ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

لهذا كانت الدعوة إلى العلمانية بين المسلمين معناها: الإلحاد والمروق من الإسلام. وكان قبول العلمانية أساساً للحكم بدلاً من الشريعة الإسلامية ردة صريحة عن دين الأمة الذي رضىه الله لها، ورضيته لنفسها، والذي فرض عليها أن تحكم بما أنزل الله.

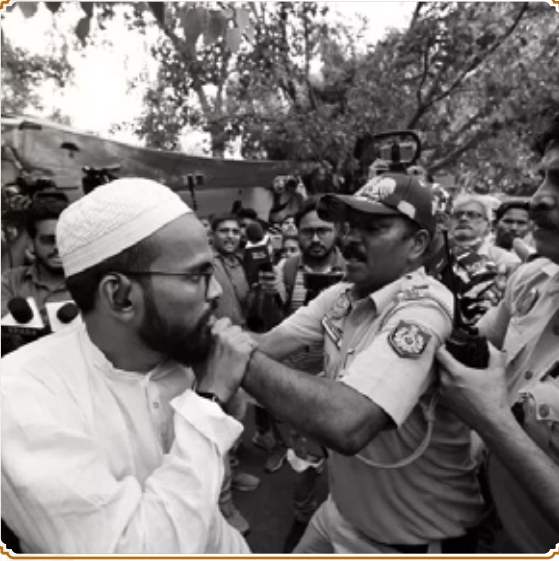


أضف إلى ذلك كله ما لقيه ويلقاه العالم الإسلامي شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً من هجمة شرسة على أوطانه، ومقدساته، وما يُشن على الأمة الإسلامية من حرب لا تحبو نارها: علنية حيناً، وخفية أحياناً، حرب اتفقت عليها كل القوى غير المسلمة: يهودية وصليبية وشيوعية ووثنية، حتى إنها لتختلف فيما بينها كل الاختلاف، ثم نراها تتفق كل الاتفاق إذا هبت ريح الإسلام في صورة دعوة أو حركة أو دولة.

❁ وهل يسع مسلماً يؤمن بالأخوة الإسلامية، ويعتز بالانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس، ويؤمن بأن المسلمين - وإن اختلفت أوطانهم وألسنتهم - أمة واحدة، يسعى بدمتهم أديانهم، وهم يد على من سواهم، وأن من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم - أن يرى مآسي أمته في كل مكان ويرى إخوانه في العقيدة معرضين للإبادة المادية بالتقتيل والتكيل، أو الإبادة المعنوية بالتنصير أو التشيع (أي



تحويلهم إلى شيوعيين)، أو على الأقل التجهيل والتضليل، ثم يصبح ويمسي قرير العين، ضاحكاً ملء سنّه، نائماً ملء جفنه؟ فأين أخوة الإيمان، ورابطة الإسلام؟



✍ إن أنباء الصباح والظهيرة والمساء، تحمل إلى المسلم الغيور كل يوم عن إخوانه في فلسطين، أو في لبنان، أو في أفغانستان، أو في الفلبين، أو في إرتريا أو الصومال أو قبرص أو الهند، أو غيرها من البلاد التي يعيش فيها المسلمون أقلية مضطهدة، أو أكثرية مقهورة، ما يزلزل قلبه زلزالاً شديداً، وما يعصر قلبه من الألم عصراً، وما يكوي كبده بالأسى والحسرة كي النار أو هو أشد إيلاماً.

وأهم من ذلك أنه لا يجد من حكومات بلاده الإسلامية تجاوباً مع هذه القضايا العادلة، بل يجد الإعراض عنها، أو التعتيم عليها، أو الوقوف مع خصومها، وتغليب المصلحة الإقليمية الضيقة، أو الاعتبارات العرقية الجاهلية، أو الارتباطات والولاءات للمعسكرات المختلفة، على الولاء لله ولرسوله ولدينه ولأمته ولقضاياها.

❁ فوق ذلك كله يقرأ الشباب المسلم ويسمع: أن هذه المواقف السلبية من قضايا الإسلام داخل بلاده، إنما تصنعها القوى المعادية للإسلام خارج بلاده، وأن حكاهم ليسوا إلا أدوات في أيدي الصهيونية، أو الصليبية العالمية، أو الشيوعية الدولية، تحركهم من وراء ستار فيتحركون، وتخوفهم من الانتفاضة الإسلامية الفتية، فيخافون، ثم تدفعهم لضربها، فيندفعون!



كان من القضايا التي فجرت الكوامن لدى الشباب المسلم في السنوات الأخيرة، ما آلت إليه قضية العرب والمسلمين الأولى بعد النكبة الكبرى في حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧م تلك التي خففوا وقعها فسموها «النكسة».

لقد عاش الشباب العربي المسلم، وهو يُلَقَّن أن إسرائيل كيان طفيلي دخيل قام على الاغتصاب والعدوان، وأن تحرير أرض الإسلام من هذه الجرثومة الغريبة في جسم الأمة المسلمة فريضة دينية وقومية، وأن لا حق لدولة إسرائيل في البقاء على أرض ليست لها، وكما قال مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسيني رحمه الله: «إن فلسطين ليست بلداً بغير شعب حتى تستقبل شعباً بغير بلد»!



ثم دار الفلك دورته فكانت كارثة ١٩٦٧م وإذا بالسياسة العربية تتخذ مساراً جديداً كل همه وغايته ليس أكثر من «إزالة آثار العدوان» أي: الاعتراف بإسرائيل، وبكل ما عدت عليه قبل هـ حزيران (يونيه) ١٩٦٧م ومعنى هذا: أن العدوان الجديد قد أضفى الشرعية على العدوان القديم!

فلماذا كانت حرب ١٩٤٨م؟ ولماذا كانت حرب ١٩٥٦م؟ ولماذا كانت حرب ١٩٦٧م؟ لماذا لم تسلموا لإسرائيل منذ التقسيم، وتريحوا الأمة من أعباء الحرب وخسائرها وويلاتها؟

وجاء السعي وراء ما سمي «الحل السلمي» ومعاهدات السلام مخيباً للآمال ومحبطاً لكل ما كان عند الشباب من توثب وطموح -ومهما برره من برره- بضروات واعتبارات عسكرية أو سياسية محلية أو دولية، فقد كان ذلك صدمة شديدة العنف لأنفس الشباب المسلم وآماله.



وزاد من وقع الصدمة على نفسه أن القوى العالمية الكبرى كلها تؤيد بقاء إسرائيل، مع وضوح حقنا نحن العرب والمسلمين، إنها الصليبية في شكل جديد، هكذا يفكر الشباب ويشعرون، والوقائع تؤيدهم.

هذا الشعور ولا شك، يعمل عمله في أنفس الناشئة المسلمة، الشعور بتلك الروح الصليبية التي لا تزال تحرك الكثيرين من ساسة الغرب وقادتهم إلى اليوم، والنظر إلى العالم الإسلامي وإلى كل حركة إسلامية فيه من خلال الأحقاد الموروثة من عهود الصراع مع أمة الإسلام.



إنه الثالوث الجهنمي الرهيب، يتآمر على أمتنا، وتتداعى علينا قواه كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، ثالوث اليهودية والصليبية والشيوعية، الذي اصطلح أهله على حساب وجودنا، وتم وفاقهم على أن يقتسموا المغنم، ويكون علينا المغارم، بل على أن يكونوا هم الجزارين ونحن الضحايا.

أما حكامنا فهم في نظر الشباب «أحجار على رقعة الشطرنج» تحركها وتنقلها من موقع إلى موقع، تلك القوى الخفية التي تحكم العالم! وما الانقلابات التي نشهدها، والتغيرات التي نراها إلا «لعبة» تلعبها تلك القوى على مسرح السياسة تريك الجبان بطلاً يقاتل ويضرب، ويكر ويفر، وهو في حقيقته لا يعرف من أمر الكر والفر شيئاً، إنما هو الخداع والتمثيل.

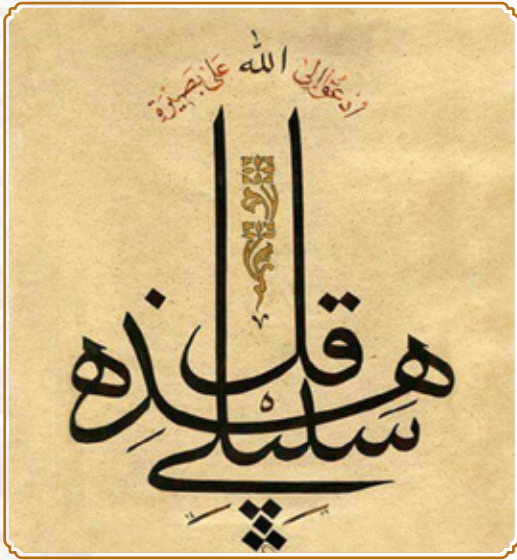
قد يكون في الكلام بعض المبالغة والتهويل، لكن فيه بعض الحق بالتأكيد، وتدل عليه مواقف ومظاهر شتى، وهو الذي رسّخ في أذهان الكثيرين أن هؤلاء الحكام متآمرون مع أعداء الإسلام على



إجهاض الصحوة الإسلامية، وضرب الحركة الإسلامية، حتى لا تبلغ المسيرة غايتها، ولا يؤتي الزرع أكله. فهولاء عند الشباب في الظاهر زعماء وطنيون، على أوطانهم يغازون، وفي الباطن عملاء مأجورون، على دين أمتهم يغيرون، ولحساب أعدائها يعملون!



وسبب آخر لا بد أن ننبه عليه، وهو يتعلق بجرية الدعوة إلى الإسلام والعمل له: فمن المعلوم أن الإسلام لا يكتفي من المسلم أن يكون صالحاً في نفسه، حتى يبذل جهده في إصلاح غيره.



ولهذا كانت فريضة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وكان كل مسلم في نظر الإسلام مكلفاً بالدعوة إلى دينه على قدر طاقته ووسائله. فكل مسلم مخاطب بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] وكل من اتبع رسول الله ﷺ هو داعية إلى الله؛ كما قال تعالى يخاطب رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولهذا كان شعار المصلحين المجددين: أصلح نفسك، وادعُ غيرك، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

❁ والإسلام لا يحب للمسلم أن يعمل وحده، ف«يد الله مع الجماعة»، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، والتعاون على البر والتقوى فريضة دينية، وضرورة حيوية، فلا غرو أن يكون العمل الجماعي للدعوة الإسلامية واجباً شرعاً؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.



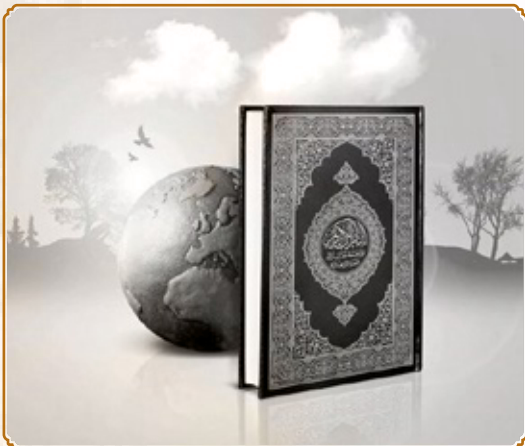
يؤكد هذا الوجوب أن القوى العقائدية المخالفة تعمل في صورة تكتلات وأحزاب ومؤسسات، فلا بد أن تواجه بمثل أسلوبها، وإلا بقينا في ذيل القافلة عاجزين أن نصنع شيئاً، وغيرونا يعملون ويتقدمون.



ومن ثم كان من أكبر الإثم الذي ترتكبه بعض الحكومات في البلاد الإسلامية مصادرة حرية الدعوة إلى الإسلام باعتباره عقيدة ونظام حياة، والوقوف في وجه الداعين إليه، والعاملين لتحكيم شريعته وإقامة دولته، وتوحيد أمته، وتحرير أوطانه، ونصرة قضاياها، وتجميع الناس عليه.

وكان هذا الضغط على الدعوة والدعاة، والتضييق على العمل الإسلامي - وخاصة العمل الجماعي - من أبرز الأسباب التي تدفع إلى التطرف دفعاً، ولا سيما أن الفلسفات والمذاهب الوضعية الأخرى تتمتع بالحرية والمساندة، بلا مضايقة ولا إعنات.

وليس معقولاً أن يُطلق العنان في أرض الإسلام لدعاة العلمانية والماركسية والليبرالية وغيرها من المذاهب والفلسفات والأنظمة، وأن تنشأ لها أحزاب ومنظمات، وتنطق باسمها صحف ومجلات.. ويُفرض الحظر على الإسلام وحده، وهو صاحب الدار، وتوضع الكأثم على أفواه دعاة وحدهم، وهم المعبرون عن سواد الشعب، وعن عقائد الأمة وقيمها.



أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس؟!

كل دار أحق بالأهل إلا في خبيث من المذاهب رجس!

❁ إن الدعوة إلى الإسلام الإيجابي المتكامل - عقيدة ونظام

حياة - أصبح بضاعة محظورة، وسلعة مصادرة في عدد من

أقطار الإسلام.



والإسلام المسموح به هو الإسلام «المستأنس»، إسلام الدراويش ومحترفي التجارة بالدين، إسلام عصور التخلف والانحطاط.. إسلام الموالد والمناسبات الذي يسير في ركاب الطغاة، ويدعو لهم بطول البقاء! إسلام الجبرية في الاعتقاد، والابتداع في العبادة، والسلبية في الأخلاق، والجمود في التفكير، والاشتغال بالقشور في الدين، دون اللباب.

هذا الإسلام هو المسموح به، المشمول بالرعاية والتأييد من قبل سلاطين الجور، وحكام السوء، حتى العلمانيون اللادينيون منهم، يحتفون بهذا النوع من التدين ويباركونه، ويظهرون التكريم لرجاله، والتعظيم لدعائه، ليقوموا بدور التخدير للشعوب المقهورة، والطبقات المطحونة، ويغرقوا الشباب في بحار من التهويمات والشطحات، والرموز والمصطلحات، والرسوم والشكليات، مما يخذ روح الجهاد للطاغوت، والمقاومة للظلم، والتغيير للمنكر والفساد.

❁ أما الإسلام الحقيقي.. إسلام القرآن والسنة، إسلام الصحابة والتابعين، إسلام الحق والقوة، إسلام العزة والكرامة، إسلام البذل والجهاد، فهو - كما ذكرنا - مرفوض من جهة أصحاب السلطان، لأنه دائماً يحمل روح الثورة، على ظلم الحكام، وحكم الظلام، ويربي أبناءه على أن يكونوا من ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] مؤمنين بأن الرزق واحد، والعمر واحد، والرب واحد، فلا محل للخوف إلا منه، ولا الاعتماد إلا عليه سبحانه.



د. يوسف القرضاوي

رحمه الله

هذا.. هو عدونا

إن مشكلة إسرائيل أنها وليدة الصهيونية، وأنها مصابة بآفات أو عاهات أساسية ملازمة لها، وهي جزء من كيانها، وليست أعراضاً طارئة عليها، وإذا كان التعرف على عدونا واجباً دينياً وقومياً، فلا يتم لنا ذلك إلا إذا حاولنا التعرف على هذه الآفات الخطيرة، المنبثقة عن العقلية والنفسية الصهيونية، التي كوَّنتها تعاليم التلمود الخطرة، مضافاً إليها تطلعات الصهيونية الأشد خطراً.





١. العنصرية



وهذه آفة في بنية الفكر الديني اليهودي الذي أنشأته أسفار التوراة وغذته ونمته تعاليم التلمود، الذي يقده اليهود أكثر من تقديمهم للتوراة، فاليهود ديانة شعب، والتوراة كتاب شعب، بل الله سبحانه رب شعب، هذا الشعب هو شعب إسرائيل.

نرى القرآن يعلن في صراحة ويقين: إن الله هو: رب الناس، ورب العالمين، لم يقل إنه رب العرب، أو رب المسلمين، في حين تقول التوراة في تأكيد عن الله: إنه رب إسرائيل!

بل إن التوراة من أولها إلى آخرها لا تهتم إلا ببني إسرائيل، وتاريخ بني إسرائيل، فلا ذكر فيها لآخره ولا للجنة أو النار، إنما العناية فيه بملك إسرائيل، ومجد إسرائيل.

لقد استدر اليهود عطف العالم عليهم باعتبارهم جنساً مضطهداً مشرداً، شهروا سيف الاتهام الذي استغلوه استغلالاً بشعاً، وهو «معاداة السامية».

والحقيقة أن معظم يهود اليوم ليسوا ساميين، وليسوا من نسل إسرائيل، بل هم كما أثبت كثير من الباحثين المنصفين من الغربيين الذين قالوا: إن يهود اليوم ليسوا يهوداً، أي: ليسوا ساميين ولا إسرائيليين، بل إن نسبة كبيرة من اليهود هم من سلالة يهود مملكة الخزر، التي نشأت في شرق أوروبا، حين اعتنق بعض قبائل التتار الدين اليهودي، وبعد سقوط مملكة الخزر انتشر عدد منهم في منطقة القرم، وغدت بولندا



مجرهم الرئيسي، حيث قدر عددهم فيها عام (١٦٥٠م) بحوالي نصف المليون، وكانوا يتمتعون فيها بقسط وافر من الحكم الذاتي، حتى أعملت فيهم جيوش شميلنكي الأوكراني المذبح، ودمروا جالياتهم في سنة (١٦٥٨م) ٢.

إن اليهود طالما شكوا إلى العالم والقوى المؤثرة فيه من معاداة السامية، وهم الآن يعادون (السامية الحقيقية) المتمثلة في شعب فلسطين العربي السامي، الذي أخرج من دياره، وشرد في الآفاق بغير حق. قال بعض الدارسين: إن صبرا وشاتيلا أعظم مجازر القرن العشرين؛ فقد استمر التقتيل والتذبح فيها (أربعين ساعة) متوالية، وقُتل فيها نحو ثلاثة آلاف شخص، خصوصاً من الشيوخ والنساء والولدان.



وإن اليهود الذين شكوا من (العنصرية النازية) المتعالية، يجسدون اليوم (عنصرية نازية جديدة) متعصبة لا ترى إلا نفسها، ولا تعترف بحق غيرها، وخصوصاً إذا عارض اتجاهاتها.

٢. العنف والعدوانية

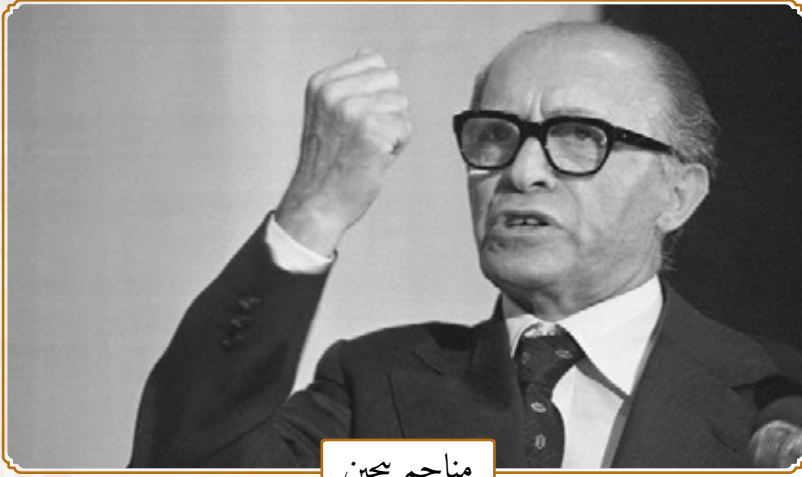
❁ تلك الطبيعة العدوانية، التي تتميز بالقسوة والغلظة والعناد، حتى سمتهم التوراة كتابهم نفسه «الشعب الصلب الرقبة». وعبر عن ذلك القرآن مخاطبهم بقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

٢ انظر: التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده، ص ٨٢، للسير شاهر شاش، وانظر كتاب (يهود اليوم ليسوا يهوداً)، ترجمة زهدي الفاتح.



وفي موضع آخر بين القرآن أن هذه القسوة كانت عقوبة من الله لهم على نقضهم لما عهد به إليهم من موثيق، فقال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً﴾ [المائدة: ١١٣] والمصادر الدينية لإسرائيل من شأنها أن تصنع هذه الطبيعة العدوانية، التي لا تبالي في سبيل تحقيق أهدافها بما تسفك من دماء، وما تنتهك من حرمت، وما تخرب من ديار، وما تهدر من أموال، واعتبار الناس كأنما هم أدوات لخدمة إسرائيل.

وهذا التوجه واضح في أسفار التوراة الخمسة، وفي أسفار الأنبياء الملحقمة بهذه الأسفار، وبخاصة سفر أشعيا، الذي أعجب به الإسرائيليون، وسموه (الني المحارب). وهو أشد وضوحاً في (التهود) الذي يرجع إليه اليهود أكثر مما يرجعون إلى التوراة ذاتها، وربما يقصدونه أكثر من تقديس التوراة.



مناحم بيجين

يعبر عن ذلك مناخم بيجين الذي كان أحد أركان العصابات الصهيونية الإجرامية قبل قيام إسرائيل، ورئيساً لائتلاف الليكود بعد قيام إسرائيل، بكلمته المعبرة في كتابه (التمرد): أنا أحارب إذن أنا موجود!

ومن استقرأ تاريخ إسرائيل حديثاً، مع شعب فلسطين خاصة ومع العرب عامة، يجد هذه الطبيعة ظاهرة غير خافية، ترجمت عنها: المجازر البشرية التي أجبرت بها الشعب الفلسطيني على الخروج من دياره، وتشريده في آفاق الأرض، وما تقوم به إلى اليوم من أعمال عدوانية تقوم بها الحكومة، ويقوم بها المستوطنون، وما



تضمه من أرض فلسطينية -بغياً وعدواناً- إلى دولتها، وما تضمه من مستوطنات في القدس وفي الضفة وفي غزة، وما أشعلوه من مذابح في صبرا وشاتيلا، وفي مسجد (الخليل) في فجر رمضان للصائمين الركع السجود، وفي (قانا) بلبنان، وفي قتلى النفق في (القدس)، وما كشفت عنه الوقائع قبل ذلك من القتل الجماعي للأسرى المصريين وقتل تلامذة (بحر البقر) في مصر.

وفيما يحدث كل يوم من اعتقال وتعذيب، وعقاب جماعي، وعقاب أسر الفدائي وهدم بيت أهله، ثم محاولة الدول -بأمر رئيس وزرائها السابق والحالي- قتل الأفراد واغتيالهم وتصفيتهم، كما فعل رابين في قتل فتحي الشقائي، ويحيى عياش، وكما فعل نتنياهو في محاولة قتل خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس، وفضيحته هو وجهازه الموساد على رؤوس الشهداء.

كل ذلك بمنطق القوة لا بقوة المنطق، فالمنطق الفذ الذي تفهمه إسرائيل هو منطق العنف والإرهاب.

وإننا لنعجب من الشعب الذي طالما شك من الاضطهاد والعدوان من النازية وغيرها، كيف يضطهد

شعباً بأكمله، ويعتدي على أرضه وسيادته وحرماته، ولا ذنب له إلا تمسكه بوطنه، ودفاعه عن ملكه؟!

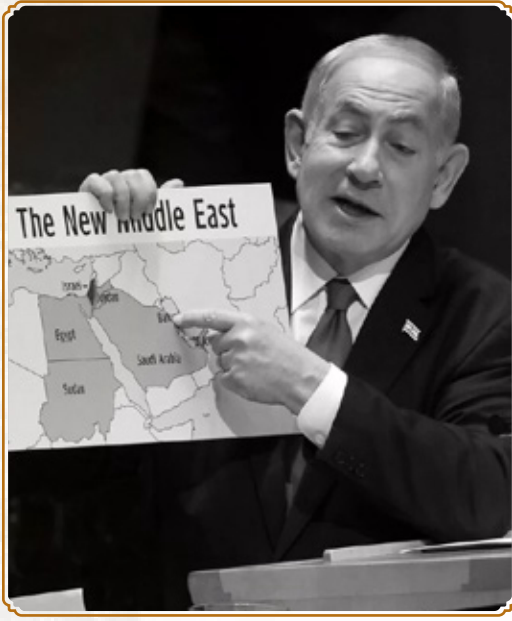
٣. التوسعية

❁ إنها لا تكتفي بما اغتصب من أرض، وما نهبت من أملاك الغير، بل هي لا تشبع من غصب، ولا

تسأم من نهب، إنها جهنم، يقال لها: هل امتلأت، وتقول هل من مزيد؟



إنها لا تزال تحلم بإسرائيل الكبرى: من الفرات إلى النيل. بل هناك من يقولون: ملكك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل. أي: إلى شجر النخيل في المملكة العربية في المدينة وخيبر، حيث كان يعيش أجدادهم هناك!



وهذا ما قاله إسرائيل شاحاك الأستاذ بجامعة تل أبيب، الذي كشف النقاب عما يخبئه الإسرائيليون في ضمائرهم، وسجله في كتاب نُشر بالإنجليزية، يبيّن فيه أن إسرائيل التي يحلم بها قومه تمتد إلى أجزاء من سوريا، ولبنان، وتركيا، والعراق، والسعودية، واليمن، والكويت، ومصر إلى الإسكندرية!

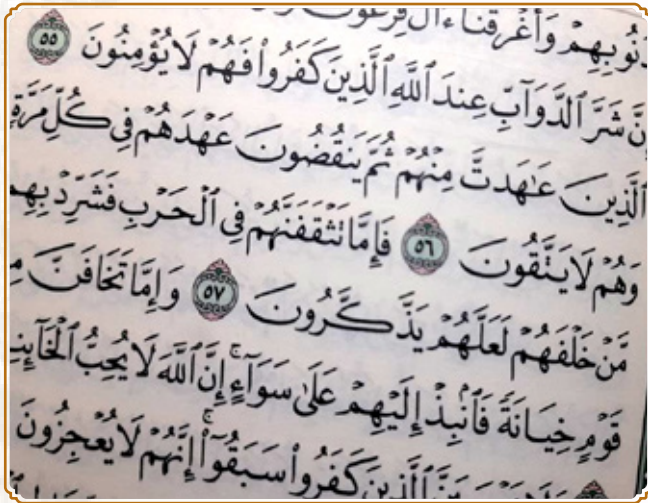
بل هم في الواقع يريدون السيطرة على العالم، ولكن سياستهم المعهودة هي الوصول إلى الهدف البعيد خطوة خطوة.

٤. الا أخلاقية

❁ ففلسفتها قائمة على أن الأخلاق تتغير فلا ثبات لها، وأنها تتجزأ فلا عموم لها، فلا غرو أن تتعامل بمعيار مزدوج، معيار مع النفس، ومعيار مع الأغيار، وهذا للأسف ما قررته توراتهم، وسفر التثنية فيها: إن للإسرائيلي أن يُقرض بربا غير الإسرائيلي، وليس له ذلك مع الإسرائيلي، على خلاف ما قرره الإسلام: أن الحلال حلال للجميع، وأن الحرام حرام على الجميع، ولقد سجل القرآن على هؤلاء استباحتهم لمن عداهم، وعدم تأثمهم في ذلك ديناً، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].



✍️ وإسرائيل تقرر كذلك المبدأ الجاهلي: ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ [التوبة: ٣٧]، والتحليل والتحريم وفق هواها ومنافعها الخاصة، كما تتبنى الفلسفة الميكافيلية: الغاية تبرر الوسيلة، فكل الوسائل عندها مباحة ومشروعة في سبيل تحقيق غايات إسرائيل، بغض النظر عن احتجاجات المحتجين، واستنكارات المستنكرين. ولا غرابة أن نرى إسرائيل تحترم العهود والمواثيق إذا كانت في صالحها، وتضرب بها عرض الحائط إذا خالفت مصالحها، وها هو بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل يسأل عن «اتفاقات أوسلو» وما بعدها -والتي نرفضها نحن أساساً- فيقول بصراحة: إنها قد ماتت!



و هكذا تحقق في هؤلاء ما قاله القرآن في أسلافهم: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

وهم بهذا يطبقون ما قاله بعض الساسة الأوروبيين من قبل: إن المعاهدات ليست إلا حجة القوي على الضعيف!

❁ إن (الأخلاق) المشروعة في إسرائيل هي أخلاق العنف والإرهاب والاستحلال، هذا ما تقوم به الدولة، التي لا يزال تسيطر عليها روح رجال العصابات، وما يقوم به المستوطنون، الذين يسندون ظهورهم إلى قوة الدولة وحماتها. والحق أن إسرائيل التي تصف الفلسطينيين الذين يدافعون عن وطنهم وأهلهم وحرمتهم بأنهم (إرهابيون) هي في الواقع (الإرهابي الأكبر) في العالم؛ لأنها تأخذ حق غيرها، وأرض غيرها، بالقوة والسلاح والعنف، فهو إرهاب معتدٍ ظالم باغ في الأرض بغير الحق، وقد بين ذلك كتاب «الإرهاب يؤسس دولة: نموذج إسرائيل»^٣.

٣ تأليف د. هيثم الكيلاني.



والأخلاقية عند اليهود ليست شيئاً عارضاً في سلوكهم، بل هي أصيلة عميقة الجذور، ضاربة في أغوار تاريخهم من قديم، حتى عند أنبيائهم كما تحكي كتبهم المقدسة نفسها.

● **فقد جاء في العهد القديم على لسان كتبه:** أن يعقوب وأمه خدعا إسحاق حتى يحصلوا على بركته ليعقوب بدلاً عن عيسى أخيه الأكبر.. وأن راحيل زوجة يعقوب سرقت من أبيها لابان -خال يعقوب- أصنامهما حين رحيلهما عنه.



● **وجاء قبل ذلك -في سفر التكوين أيضاً-** أن ابنتي لوط عاشرتاه بعد أن أسكرتاه! وأنجبتا منه المؤابيين والعمونيين؛ فهم أولاد زنى!

● **وجاء في سفر يشوع عن سقوط أريحا** على يد بني إسرائيل: دمرُوا المدينة.. واقتضوا بحد السيف على كل مَنْ فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ.. حتى البقر والغنم والحمير.

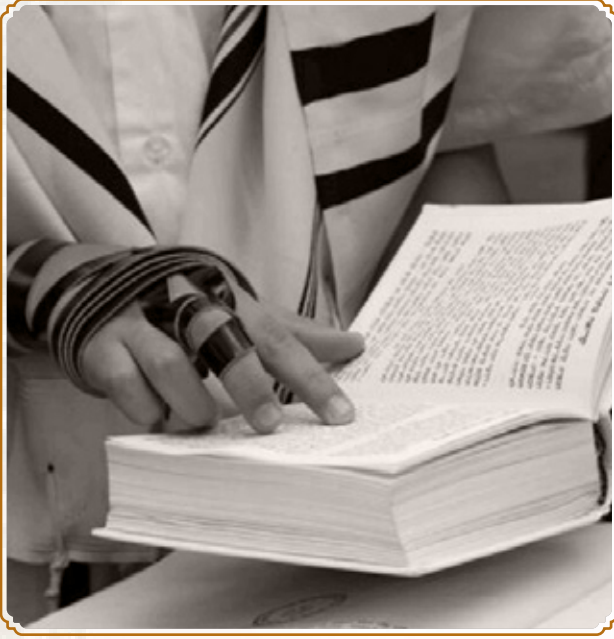
● **ثم جاء في سفر صموئيل الأول:** أنا الذي أرسلني الرب لأنصبك ملكاً على إسرائيل.. فاذهب الآن، وهاجم عماليق.. ولا تبق على أحد منهم.. بل اقتلهم جميعاً.. رجالاً ونساء وأطفالاً ورضعاً.. بقرًا وغنماً وجمالاً وحميراً.

● **ثم جاء في نفس السفر:** أن الملك شاول طلب من داود مهراً لابنته مائة غلفة من غلف الفلسطينيين.. فراق لداود الأمر.. وقتل مائتي رجل من الفلسطينيين.. وأتى بغلفهم كاملة.. مهراً لمصاهرة الملك.



● **وفي نفس السفر أيضاً:** انقلب داود على الملك شاول، وانضم إلى الفلسطينيين في حربهم ضد الملك الإسرائيلي.. ولكن رفض الفلسطينيون انضمام داود لجيشهم.. فتوسل داود لملكهم أخيش قائلاً: ماذا جنيت؟ وأي علة وجدت في عبدك حتى لا أشترك في محاربة أعداء الملك؟

● **وفي سفر صموئيل الثاني:** اغتصب أمنون أخته ثامار -وهما ابنا داود- ثم عاشر أبشالوم بن داود محظيات أبيه، وحارب أبشالوم أباه داود طمعاً في الملك، وقتل الابن في القتال.



● **وفي سفر الملوك..** جاء عن سليمان أنه عبد عشتاروت إلهة الصيدونيين، وملكوم إله العمونيين، وأقام مرتفعات ذبائح لجميع آلهة نسائه الغريبات.

هذا ما قالته أسفارهم المقدسة، ولم نقله نحن!

● **ولا غرو.. قال المسيح عليه السلام:** لكم الويل أيها الكتبة المراءون، أيها الحيات أولاد الأفاعي، أبناء قتلة الأنبياء، كيف تفلتون من عقاب جهنم؟!

٥. الشح وعبادة المال

❁ ومن الآفات الخلقية الملازمة للطبيعة الإسرائيلية: عبادة المال، والشح به، والحرص عليه، وقديماً عبدوا العجل الذهبي، وهو يشير إلى مدى تعلقهم بالذهب وبريقه. وقد وصفهم القرآن بالبخل وسجله عليهم في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].



يقول العلامة رشيد رضا رحمه الله في تفسير هذه الآية في المنار: «**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**» أي: ولو كان لهم نصيب من الملك لسلخوا فيه طريق البخل والأثرة، بحصر منافعه ومرافقه في أنفسهم، فلا يعطون الناس نقيراً منه إذ ذاك. والنقير هو النقرة أو النكتة في ظهر نواة التمر، يضرب به المثل في الشيء القليل والحقير والتافه. وحاصل المعنى: أن هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة، وشح مطاع، يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد غير أنفسهم، فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره، فكيف لا يشق عليهم أن يظهر نبي من العرب، ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنو إسرائيل؟

هذه الصفة لا تزال غالبة على اليهود ظاهرة فيهم، فإن تم لهم ما يسعون إليه من إعادة ملكهم إلى بيت المقدس وما حوله، فإنهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الأرض المقدسة، ولا يعطونهم منها نقيراً من نواة، أو موضع زرع نخلة، أو نقرة في أرض أو جبل، وهم يحاولون الآن -وحاولوا قبل الآن- ذلك بقطع أسباب الرزق عن غيرهم. فالنصارى اليهودي في بيت المقدس يعمل لك العمل بأجرة أقل من الأجرة التي يرضى بها المسلم أو النصراني، وإن كانت أقل من أجرة المثل، ولعل جمعياتهم السياسية والخيرية تساعد على ذلك، فالدلائل متوفرة على أن القوم يحاولون امتلاك الأرض المقدسة، وحرمان غيرهم من جميع أسباب الرزق فيها، يفعلون هذا وليس لهم نصيب من الملك، فكيف لو صار لهم؟ وهل يعود إليهم الملك كما ييغون؟ الآية لا تثبت ذلك ولا تنفيه، وإنما تين ما تقتضيه طباعهم فيه لو حصل».

كتب هذا الشيخ رشيد رضا في تفسيره الذي كان يصدر به (مجلة المنار)، وكان ذلك في ١٩١٠ م.



د. يوسف القرضاوي

رحمه الله

كيف نحارب إسرائيل؟

❁ إن هم التخاذل والاستسلام أمام الاغتصاب الصهيوني، والخطر الإسرائيلي، هم كبير جسيم يزداد كِبَرًا وجَسَامَةً بمضي الأعوام.

❁ ذلك لأننا وهنّا ودعونا إلى السلم في مواجهة قوم قام كيانهم كله على الحرب والعدوان حتى حَرَّف بعض منا كَلِمَ القرآن عن مواضعه، فزعم أنهم جنحوا للسلم فلنجنح لها ولنتوكل على الله! وما جنح القوم لها يوماً.





وكان علينا أن نعرف عدونا على حقيقته، كما هو، لا كما نريده أن يكون.



ومصادر معرفته كثيرة وميسورة، منها: كتاب ربنا القرآن الكريم، وكتبهم المقدسة نفسها التي وصفتهم بما وصفت، وتاريخهم معنا من قديم، ومع العالم كله، وواقعهم الحاضر معنا منذ أرادوا أن يقيموا وطناً لهم على أنقاضنا، وما يكتبونه عن أنفسهم، وما يكتبه الآخرون عنهم، وهو شيء كثير.

إننا لسنا قليلاً في العدد، ولكننا - كما جاء في الحديث النبوي - كثرة كغناء السيل، والغناء يحمله السيل من حطب وورق، وأعواد وغيرها، مما يتصف بالخفة والسطحية وعدم التجانس وفقدان الهدف.



كما أشار هذا الحديث إلى أن الوهن الحقيقي يبدأ داخل الأنفس، وإن كان معها العتاد والسلاح، إنه حب الدنيا وكرهية الموت!

لقد أسقط إخواننا المجاهدون الأفغان بصمودهم العبقري حجة أولئك الذين يقولون: ماذا نستطيع أمام القوى العالمية؟

❁ أجل، أثبت الذين بدأوا جهادهم ببضع بنادق عتيقة، ثم غنموا السلاح بعد ذلك من عدوهم: إن الإيمان خليق أن يصنع العجائب، وأن يجعل من الأميين وأشباههم قوة تحتار في أمرها الدولة الكبرى الثانية في العالم.

كما أثبت الصائمون القائمون في حرب العاشر من رمضان أن إسرائيل ليست كما زعموا القوة التي لا تقهر، فقد استطاعوا أن يعبروا القناة، ويقتحموا خط بارليف، ويقهروا القوة المزعومة.



وقديماً قالوا عن التتار مثل ما قالوه حديثاً عن إسرائيل،
قالوا: إذا قيل لك: إن التتار قد انهزموا فلا تصدق.

وبعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ وانتشار الرعب في العالم كله من هؤلاء الغزاة الجدد المدمرين، رفض القائد المملوكي سيف الدين (قطز) تهديد قائد التتار، وإنذاراته التي تقذف بشرّ الوعيد والتهديد، بل بادر بقتل رُسله إليه، على غير ما عُرف من سُنّة المسلمين، إيذاناً بأن لا سبيل غير الحرب ولا بديل للصدام المسلّح.

وكان اللقاء التاريخي الحاسم في ٢٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ في معركة (عين جالوت) وسجل التاريخ النصر لقطز وجنوده من أبناء مصر على جيوش التتار، ولم يمضِ على سقوط بغداد إلا عامان!

كان مفتاح النصر في تلك المعركة كلمة قطز التي أطلقها كالقنبلة المدوية: «والإسلاماه»!

إن معركتنا مع إسرائيل في جوهرها معركة دينية، وإن اتخذت أبعاداً سياسية واقتصادية وقومية.

❁ بل إن القومية في النظرة اليهودية الأصيلة ممتزجة بالدين امتزاج الجسم بالروح، فلا معنى للقومية عندهم بغير دين، وعندهم ثالث مقدس ممتزج ببعضه ببعض: الإله.. والشعب.. والأرض.

وليس من المنطق ولا من الأمانة، ولا من المصلحة إخراج الإسلام من المعركة مع الصهيونية، تحت دعاوى لا يسندها علم ولا برهان، إلا مخاوف ومجاملات.

والنتيجة أن ندخل المعركة مع العدو وهو مسلح بتعاليم التوراة وندخلها نحن مجردين من تعاليم القرآن.



أكد زعماء اليهود (دينية) قضيتهم قبل قيام إسرائيل، وبعد قيامها. فمنذ أواخر القرن الماضي قال هرتزل: «إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودة إلى اليهودية». وما أحرانا أن نقول: إن العودة إلى فلسطين يجب أن تسبقها عودة إلى الإسلام.

ومازال زعماء إسرائيل إلى اليوم يقودون أتباعهم بعود التوراة، وأحلام التلمود، وأقوالهم في ذلك لا تحصى. فماذا صنعنا نحن في مواجهتهم؟

لقد قال الخليفة الأول أبو بكر الصديق لقائده المظفر خالد بن الوليد في إحدى وصاياه: «حارب عدوك بمثل ما يحاربك به: السيف بالسيف، والرمح بالرمح».

وهذا منطق لا غبار عليه من الوجهة العسكرية المحضة، فإذا كان عدونا يحاربنا بالدين حاربناه بالدين أيضاً، فإذا جند عدونا جنوده باسم «يهوه» إله إسرائيل.. جندنا جنودنا باسم الله رب العالمين! وإذا دفع جنوده باسم اليهودية، دفعنا جنودنا باسم الإسلام، وإذا قاتلنا بالتوراة قاتلناه بالقرآن، وإذا جاءنا تحت لواء موسى، جئناه تحت لواء موسى وعيسى ومحمد، فنحن أولى بموسى منهم، وإذا ذكروا نبوءات «أشعيا» ذكرنا نحن أحاديث البخاري ومسلم.

وإذا حاربنا من أجل الهيكل حاربناه من أجل المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

وإذا قال عدونا لجنوده: أنتم شعب الله المختار، قلنا لجنودنا: أنتم خير أمة أخرجت للناس، وبهذا نكون نحن المتفوقين، لأننا أصحاب الدين الأقوى، ولا يفيل الحديد إلا الحديد.



لا بد من التعبئة الإيمانية للأمة إذا أردنا النصر، ولا تتم التعبئة الإيمانية إلا بالتعبئة الأخلاقية، فالأخلاق ثمرة الإيمان وأكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، ولا إيمان لمن لا أمانة له ولا عهد لمن لا خلق له.



فإذا لم نربّ في الأمة معاني الخشونة والتضحية والصبر على المكاره، والانتصار على الشهوات والاستعلاء على الغرائز، والعفة عن الحرام، والبعد عن الميوعة والطراوة وأخلاق الخنثين، والمتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، فهيات أن نصمد في وجه العدو أو نصبر على حر الحركة، أو نحتمل شظف الجهاد.



❁ إن أمتنا انتصرت قديماً على اليهود وطهرت جزيرة العرب من شرهم، لأنها كانت الأمة الأقوى إيماناً وأخلاقاً.

كان اليهود ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] كما وصفهم القرآن، وكما أحرص الناس على الموت في سبيل الله.

كانوا - كما وصفهم الله: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]، وكما خاطبنا الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

كانوا كما خاطبهم القرآن ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، وكما وصف الله المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].



﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾

[المائدة: ٧٩]، وكما خاطبنا ربنا ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

كانوا يعبدون الذهب، حتى إنهم عبدوا عجلاً اتُّخذ من حلي، وكما نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، ولا أحداً.

كانوا كما خاطبهم الحق تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] وكما كما خاطبنا جل جلاله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

كانوا يأكلون الربا وقد نهوا عنه ويأكلون أموال الناس بالباطل، وكما نحرم الربا قليله وكثيره، ونخاف الدرهم الحرام، واللقمة الحرام، فإن كل ما نبت من حرام فالنار أولى به.

كانوا يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكما نحن حماة الرسالات، والذائدين عن حمى الدعوات.

❁ أما الآن فقد تغيرت أنفسنا عما كانت عليه، وأصابنا رذاذ من أخلاق اليهود: الحرص على الحياة، التفرق، القسوة، الأنانية، تحريف الكلم عن مواضعه، الإيمان ببعض الكتاب دون بعض، أكل الربا، قتل الدعاة إلى الله، السكوت على الفساد وعدم التناهي عن المنكر.



فاستوينا مع اليهود في الرذيلة والمعصية، وكان لهم الفضل علينا في مجالات أُخر: في التخطيط والتنظيم وحُسن التعبئة لكل القوى المادية والبشرية.



بل أقول: إن اليهود قد سرقوا بعض أخلاقنا وبعض فضائلنا، في الوقت الذي نقلوا هم إلينا رذائلهم القديمة أو نقلناها نحن راضين مختارين، بعد أن حقنونا بالحقن الفكرية المخدرة التي تجعلنا نستسلم لكل ما يصنعونه لنا من أزياء أو «موضات» لنسائنا مما عند الركبة، وفوق الركبة وما فوق فوق الركبة، ومن تقاليع تدمر شبابنا، وتميت فيهم كل روح للخشونة والجهاد.



إن اليهود الذين عُرِفوا بعبادة الذهب أصبحوا يبذلون الملايين عند الحاجة لتحقيق فكرتهم وبناء دولتهم، وأغنياؤنا مشغولون بالرحلات المترفة إلى أوروبا وغيرها حيث ينفقون مئات الألوف على اللهو والفراغ والعبث والمجون أو الدعاية الجوفاء، فإذا طلبتهم ببذل دفعوا لك دراهم معدودات، لا تُسمن ولا تُغني من جوع!

إن اليهود «الجبناء» قد دربوا أبناءهم -بل وبناتهم- على أن يكونوا جميعاً حين يدوي النفير جيشاً مقاتلاً، لا يتخلف منهم أحد، وأبناءؤنا وبناتنا نحن المهزومين مشغولون بتوافه الأمر!

❁ فلا غرابة بعد ذلك إذا خذلنا رذائلنا، وانتصر اليهود علينا، فإنما هو انتصار للقوة على الضعف، وللنظام على الفوضى، وللبدل على البخل، وللجد على الهزل، وللعمل على الفراغ.



إن الإسلام يستطيع أن يصنع الكثير الكثير، في معركتنا مع العدو الصهيوني المتغترس، إذا جعلنا قضية فلسطين (قضية إسلامية) فهي قضية كل مسلم في المشرق والمغرب.



إنه القادر على أن يشحذ العزائم، ويعبئ القوى، ويجمع الصفوف حينما ينادي المنادي: الله أكبر، الله أكبر! وحينما ينشد الجندي: يا رياح الجنة هبي! إنه القادر على أن يحشد ١٥٠ مليوناً من العرب، ووراءهم نحو تسعمائة مليون من المسلمين في أنحاء العالم، يذكرون فلسطين كلما ذكروا الإسراء والمعراج أو ذكروا المسجد الأقصى.

ولقد رأينا بأعيننا ما يمكن أن تفعله كلمة الإسلام في دنيا السياسة، حين انطلق الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله وخاطب باسمها الدول الإفريقية المسلمة وعرف الناس صدقه ونقائه، فقطعوا علاقتهم بإسرائيل دولة بعد دولة.

إن الإسلام هو الحل، ولكن لا نريده، لماذا؟ الجواب يطول:

كالعيس في البيداء يَقتُلُها الظَّما .. والماء فوق ظهورها محمولٌ



القائد الشهيد إسماعيل هنية

تقبله الله

من أعظم أعلام الأمة الإمام المجدد يوسف القرضاوي

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ
وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

✽ الحمد لله رب العالمين، رب السماوات
والأرض ورب العرش العظيم، الحمد لله الذي
جعل العلماء ورثة الأنبياء، فقلّدهم أمانة
الخير ونشر الضياء، وأرشدهم سبل الاقتداء
والاهتداء، فيدروون عن أمتهم أسباب
الشقاء والعناء، والصلاة والسلام على سيدنا
وحبيب قلوبنا محمد بن عبد الله النبي الأمي،
وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار،
ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

* من كتاب: العلامة يوسف القرضاوي في ذكرى
بلوغه التسعين، ط ١ (الدوحة: وزارة الأوقاف
القطرية، ٢٠١٧م)، ص ٥٦ وما بعدها.



✍ إن الله أرسل نبيه محمداً بشريعة الإسلام الخالدة، بعد أن غرق الناس في تيه الظلام، فعم الفساد، وانحصر العدل، وطغى الظلم؛ فتشوفت البشرية جمعاء إلى العدل، والنجاة من الظلم، وتطلعت إلى من يأخذ بيدها إلى الخير والحق والعدل، إلى من ينير لها الدرب، ويمضي بالناس

على هداية ورشاد؛ فكان بعث محمد للأمة هادياً ومبشراً بإذن ربه وسراجاً منيراً، انكشفت به غياهب الشرك وأساطير الجاهلية، فتبدل الحال من ظلم إلى عدل، ومن ضلال إلى هداية، فأشرقت الأرض بنور ربها.

ولقد جاءت الشريعة بقيم وأخلاق ومبادئ إنسانية، فمكنت لأمة حضارية اتخذت من الفضيلة منهجاً وسلوكاً؛ فتدافع الناس في مشارق الأرض ومغاربها للانضواء تحت لواء الإسلام العظيم، ذلك أن الشريعة الغراء جاءت وسطية في أحكامها، ترعى مصالح العباد في العاجل والآجل، فباستقراء أحكامها نجد أن الصلاح من أهم عناوينها، بل هو جوهرها ومشكاتها التي انطلقت منها.

✨ والعلماء الربانيون هم سدنة الأمة، ودرعها الحصين، وعليهم تقع مسؤولية تبصير العباد وتنويرهم؛ فبهم يكون الانعتاق المأمول من ربكة الطاغوت، وبفعلهم تنصهر كل الدعاوى الهدامة التي من شأنها أن تهدد أمن الأمة وأمانها، فهم من يأخذ بيد الأمة نحو رشدها، ذلك أنهم حملوا هذه الشريعة عبر الزمان، وسبروا غورها، واستخرجوا من كنوزها ودررها ما واجهوا به النوازل، ووضعوا الحلول، ليأخذوا بالأمة إلى بر الأمان دوماً؛ فهم ورثة الأنبياء، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:



«مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي بِهِ عِلْماً سَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَّتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضَلَ الْعَالَمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهماً، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ».



فكلما كان العلماء بعافية انعكس ذلك على الأمة ازدهاراً، واستقراراً وتقدماً، وكلما تراجع دورهم انكفأت الأمة على نفسها تشكو مصابها، وإن ما أصاب الأمة اليوم من تفرق وتبعية إنما مرده إلى تنكّب العلماء عن القيام بمسؤولياتهم كما ينبغي فتراجعت الهمم، وساد التقليد والجمود والتعصب فانحصر العلم، وتراجع دور العلماء، وابتعدت الأمة عن أسباب عزها ومجدها قليلاً قليلاً، حتى ضيعت هذا المجد وأصبحت في ذيل الأمم.



إن الأمة تتحرك اليوم لتستعيد مجدها، وتستأنف دورها الريادي بين الأمم، وتعمل جاهدة على تخطي العقبات والصعاب.

❁ إن منارات هذا الحراك إنما هم علماء الأمة الذين يحملون منهج نبينا محمد ﷺ، بكل ما فيه من النقاء، والوعي، والفهم الدقيق، وسعة الأفق والنظرة العميقة، والوسطية التي توازن بين المصالح والمفاسد، فتشق الدرب للمسلمين، وتضع لهم الحلول وتفتح لهم الآفاق، بعيداً عن الجمود والتحجر والفقهاء الظاهري الذي يعيق تقدم الأمة، بل يسيء إليها، ويخلق لها إشكالات كثيرة على مستوى الأفراد والجماعات.



إن من أعظم أعلام الأمة الإسلامية اليوم:
إمامنا فضيلة الشيخ الدكتور يوسف عبد الله
القرضاوي؛ هذا الإمام الرباني الذي يتحمل مسؤولية
كبيرة نحو أمته؛ سواء في تبصيرها بأمر دينها، والأخذ
بيدها نحو الرشاد، وما فيه صلاحها، وتخفيف الآصار
والأغلال عن عاتقها؛ ليتسنى لها المسير نحو مجدها،
بعيداً عن التعنت والتشدد والحرفية، وضيق الأفق
الذي يضيق عليها، ويسيء إليها وإلى آمالها وتطلعاتها.

إن شيخنا القرضاوي -حفظه الله- واحد من العلماء القلائل الذين تصدوا لهموم الأمة قولاً وفعلاً
ومنهجاً، فواقفه حيال القضايا العالقة تصدر عن فكر قويم وحكمة بالغة، باستعادة الأبعاد الاستراتيجية للأمة
الإسلامية، ودفعها مجدداً إلى مصاف الأمم المعبرة سياسياً وفكرياً وحضارياً.

❁ فقد تضافرت جهوده ما بين دعم للمقاومة، وتأيد للشرعية، ومشاركة في تصويب المسارات السياسية
والوطنية، فضلاً عن دعوته المستمرة لتوحيد الصف العربي، بعد أن أثبتت المذاهب السياسية الأخرى فشلها
في استعادة ما انفك من إسارها، إذ ظلت القضية الفلسطينية إثر ذلك عالقة في فك الطغيان وبرائن الاحتلال.

وإننا في فلسطين لمدينون لفضيلته بواجب التقدير والعرفان لمواقفه الدينية والسياسية والقومية في استعادة
القضية الفلسطينية مكاتها، وردها إلى حضن العروبة والإسلام رداً جميلاً، بعد أن أفلتت من إसार الأمية
(القومية) إلى المجتمعية، بفعل المخططات العدوانية التي عمدت إلى تطويق القضية الفلسطينية وحصرها من
قضية إسلامية عربية عامة إلى قضية فلسطينية خاصة تقع مسؤولية تحريرها على العاتق الفلسطيني وحسب.



وقد جاءت جهوده الدولية مساندة للقضية الفلسطينية في توجيه عناية المجتمع الدولي وتبصيره بمسؤولياته تجاه الفلسطينيين وما آلت إليه أوضاعهم، فكان من الدعاة الأوائل لضرورة التصدي لمخططات الصهاينة في القدس، والتي تهدف إلى طمس المعالم الإسلامية ومقدساتها وفي القلب منها المسجد الأقصى المبارك، ولقد كان للمؤتمرات التي شارك فيها في ربوع المعمورة نصرة للقدس والأقصى بالغ الأثر في دعم صمود أهلنا المقدسيين وتجلية دروب النصر والتحرير.



وما تزال خطبه القوية المؤثرة تهز عرش المحتلين، وتشجع المرابطين والمرابطات في ساحات الأقصى، والشيخ حفظه الله جدير بأن نطلق عليه وصف خطيب المسجد الأقصى المبارك، كما كان للشيخ حفظه الله الأثر البالغ في تسيير قوافل الإنعاش وكسر الحصار عن غزة، فكان عند العهد به في طليعة المبادرين برؤسه وفد الاتحاد العالمي العلماء المسلمين الذي توجه إلى غزة وشد بوصلة أهداف المجتمع الدولي إلى غزة المحاصرة وما تتعرض إليه من انتهاكات إنسانية.

❁ وفي موازاة ما يقدمه المجاهدون الفلسطينيون في خط المواجهة العسكرية مع المحتل، يقدم الشيخ القرضاوي جهوداً فقهية علمية تثن ذات الدور وتدفع باتجاهه، وتشكل له شرعية الديمومة والاستمرار.

ونحن هنا في غزة - فلسطين ما زلنا نستحضر الزيارة التاريخية لفضيلته للقطاع، وكيف عبر فيها شعبنا عن حبه وتقديره للشيخ، حيث خرجت الجماهير في استقباله استقبال شعب محب لهذه القامة السامقة،

كيف وهو من أهل مصر الحاضنة لغزة تاريخياً وجغرافياً، ويعيد المشهد الأول الذي سجله فضيلته بزيارة القطاع في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، ولقد كانت جولاته الكريمة لعدد من المؤسسات والمواقع بالغ الأثر في نفوس أهل غزة المحاصرين، ومن أبرز محطات الزيارة أن فضيلته ألقى خطبة الجمعة في المسجد العمري الكبير بغزة، وقد حضرها الآلاف من أبناء القطاع.

لقد وقف الشيخ في شرفة الفندق الذي نزل فيه على ساحل بحر غزة، ونظر شمالاً نحو فلسطين وساحلها عسقلان وهو القريب من حدود القطاع، ونظر إليها نظرة العالم الواثق بنصر الله والعودة إلى فلسطين كلها.



كما حملت زيارته لغزة رسائل موجهة تضرب الرواية الصهيونية وتندد بجرائمها من ناحية، وتقض مضاجع المحاصرين من ناحية أخرى، بينما تبارك خيار المقاومة من ناحية ثالثة، ذلك أنه لا يفتأ يدعم المقاومة وينادي بها، ويدفع باتجاه دعم المقاومة بالسلاح والمال والعتاد ومقومات الجهاد، بل

ويحرض العلماء ضد الكيان الصهيوني، ويقاوم التطبيع بكل وسائله، وليس أدل على ذلك من تأصيله لجواز العمليات الاستشهادية، ومشاركته في كل المؤتمرات الداعية إلى إعمار غزة وإنهاء حصارها.

وعليه فإن زيارته لغزة المحاصرة تشكل مستنداً تاريخياً ذا حول وقوة شرعية في إثبات عدالة القضية الفلسطينية، والمطالبة برفع الحصار الظالم عن القطاع، والذي مضى عليه الآن عشر سنوات كاملة.



وعلى صعيد الكل الفلسطيني والجبهة الداخلية، فقد دعا إلى توثيق أواصر اللحمة الداخلية للمجتمع الفلسطيني، ونبذ الفرقة والانقسام والتشطي، فلطالما أشار ونصح وأوصى بضرورة إنجاز المصالحة، وتحقيق الوحدة بلم الشعث الفلسطيني في مواجهة كل المحاولات الهادفة إلى طمس الهوية الفلسطينية وتبديد وجودها.



وقد أكد فضيلته على أن فلسطين ثابت ديني قبل أن تكون ثابتاً وطنياً، إذ أفتى بجرمة التنازل عن شبر من أرضها. وقد تشرفت بلقاء الشيخ وزيارته مراراً في بيته العامر في دوحة الخير، وكلما دخلنا عليه وجدنا فيه أباً حنوناً صدوقاً محباً مبشراً بتحرير فلسطين وزوال الظالمين، وما كان لي شرف الصلاة في مسجد عمر بن الخطاب في الدوحة والاستماع إلى خطبته في صلاة الجمعة، وكم كان عظيماً حينما قدمني -أدامه الله وحفظه- لأتكلّم في الناس بعد الصلاة.

❁ أما عن مؤلفاته فقد جاءت امتداداً أصيلاً لمنهج رباني، وتراث علمي إسلامي مردّه الكتاب والسنة واجتهاد السلف الصالح، بما يتناسب مع المستجدات المعاصرة، ولعل قراءة ناضجة لهذا النتاج العلمي لتشي بهذا التلاحق المحمود بين الأصالة والمعاصرة، لا سيما في معالجته للنوازل الطارئة على الواقع الإسلامي.

إن الجمع بين الفكر والعلم والإصلاح المجتمعي هبة ربانية لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، وقد جمعت له سائغة رصينة في سياق حضاري إسلامي متين فقد تبوّأت جهوده الفقهية مركزاً متقدماً في العالمية الفكرية، مما وجه عناية الكثير من المنظمات العلمية ذات الاختصاص إلى ترجمة مؤلفاته واستهدافها بالدراسة والتحليل.



❁ والحق أن فضيلة الدكتور القرضاوي في جميع مؤلفاته قد رسخ في الأذهان بأنه قامة علمية فكرية سامقة، تعتمد إلى التأصيل والتجديد، فهو قبل أن يكون فقيهاً هو مفكر حاذق، يقرأ الواقع بعين التدبر والحكمة والبصيرة، ثم يعتمد إلى إصدار أحكام تحفظ المد الإسلامي من الجزر والانحسار، فهو بذلك يعكس الصورة الحضارية العالمية للإسلام والمسلمين.



❁ وختاماً، أودّ أن أذكر بكل الفخر بأني وإخواني الذين شغلنا موقع الحكومة الفلسطينية المنتخبة وعلى مدار السنوات الماضية، قد اطمأنت قلوبنا في إدارة الشأن العام لفتاوى الشيخ في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإدارة العلاقات الدولية، والنفوذ إلى ساحة الواقع المتداخل والمعقد ومركباته.

أسأل الله العليّ القدير أن يظلّ علمه جنة وارفة تنفي الأمة ظلالها، وأن يثقل موازينه فيترقى بكل حرف خطّه نصره لدين الله درجة في الجنة، وأسأله تعالى كما جمعنا في الدنيا على درب المقاومة والتحرير، أن يجمعنا على سرر متقابلين في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمَاءَ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

والله ولي التوفيق.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

الصادعون لمحرم

سه زيات العلماء والدعاة الأسرى



٢٠٥

فداك نفسي يا رسول الله!
إبراهيم السكران

٢١٤

المولد النبوي وذكرى الثورة
أنس السلطان

٢١٧

مواقف لا تُنسى
د. صلاح سلطان

٢٢٤

القرضاوي والسياسة والتطبيع
عبد الرحمن يوسف القرضاوي



الشيخ إبراهيم السكران

فك الله أسرته*

في ذكرى مولده الشريف.. فداك نفسي يا رسول الله!

✽ الحمد لله وبعد.. فليس حديثنا اليوم عن عالم أو داعية، ولا عن منكرات سلوكية، ولا عن قضايا معيشية، لا، ليس ذلك كله..

✍ إنه رسول الله ﷺ.. فداه نفسي وأبي وأمي وولدي صلى الله عليه
وبارك وسلم سلاماً كثيراً إلى يوم الدين.



* مقتبس من: إبراهيم السكران، الاحتساب على شاتم سيد البشرية، موقع إلكتروني: صيد الفوائد، بتصرف يسير.



❁ إنه رسول الله ﷺ الذي سأل عنه ملك النصارى هرقل، ثم قال وهو في أبهة ملكه: «قد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه»^١.

إنه رسول الله ﷺ الذي جعله الله منة علينا، يمتن بها الله سبحانه علينا، يتمدح ربنا سبحانه بأنه أرسل لنا محمد بن عبد الله ﷺ حيث يقول الله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؛ بل إن الله في كتابه وصف الشمس بأنها سراج كقوله: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]، وفي القرآن نفسه وصف الله محمداً ﷺ بأنه سراج منير؛ لشروق شمس رسالته على البشرية؛ كما قال الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].



قال الإمام ابن رجب: «سمى الله محمداً ﷺ سراجاً منيراً؛ لأن نوره للدنيا كنور الشمس وأتم وأعظم وأنفع»^٢.

وميزه الله سبحانه بالسيادة في الدنيا والآخرة، وجعله (الأول) في مقامات كثيرة بين الناس جميعاً، فهو سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع^٣.



٣ مسلم، ٢٢٧٨.

٢ فتح الباري، ٤/٣٤٠.

١ البخاري، ٧.



وكل الرسالات والنبوات قبله كانت مبنية على الخصوصية القومية، إلا رسول الله ﷺ شرفه الله بعالمية الرسالة للبشرية كلها، «وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»^٤.

❁ بل حتى لغته ﷺ وطريقة تركيبه للألفاظ والمعاني، شرفه الله بأن تفرد بأسلوب خاص، وهو أسلوب جوامع الكلم؛ كما قال النبي ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم»^٥. وقال: «فُضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم...»^٦.

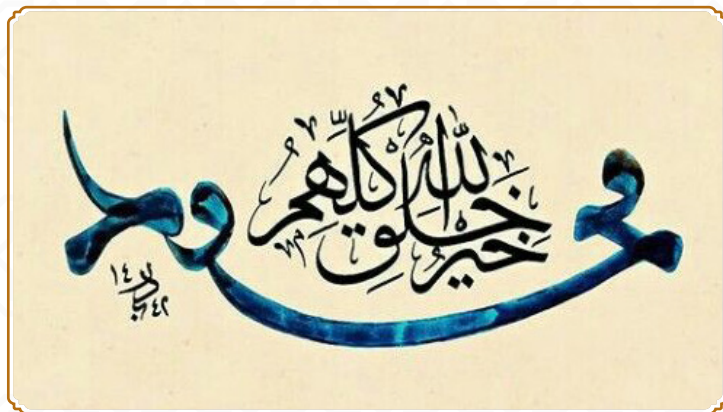
بل إن الله جل وعلا اختار لنبيه أشرف مكان، وأشرف زمان، وأشرف نسب؛ فجمع له الشرف من أطرافه مكاناً وزماناً ونسباً. فقال ﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً»^٧. وقال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^٨.

بل إن النبي إذا استفتح باب الجنة يسأله الملك الموكل بخزانة الجنة: من أنت؟ فإذا أخبره النبي باسمه قال الملك: «بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك»^٩.

سيرة النبي ﷺ ومعجزاته



ولا يُعرف رجل في البشرية كلها من أولهم إلى آخرهم نُقلت أخباره وسيره وأيامه حدثاً حدثاً مثل رسول الله ﷺ، حتى أنهم نقلوا الخوارق التي وقعت يوم مولده، ومرضعاته، وحواضنه وأول بعثته وأسماءه



٦ البخاري، ١٣.

٩ مسلم، ١٩٧.

٥ البخاري، ٧٠١٣.

٨ مسلم، ٢٢٧٦.

٤ البخاري، ٣٣٥.

٧ البخاري، ٣٥٥٧.



وهجرته وأولاده وزوجاته، وأعمامه وعماته، وسراريه ومواليه وخدمه وكتابه، ومؤذنيه، وأمراءه، وحرسه، وشعراءه وحُدّاته، وكتبه التي أرسلها إلى الملوك، بل حتى من يضرب الأعناق بين يديه، وطريقة عبادته في وضوئه وصلاته وصيامه وحجه، ومعاملاته وقروضه ورهنه وطعامه ولباسه، وشمائله، بل حتى أسماء الدواب التي ركبها، وغير ذلك كثير، وكل ذلك مكتوب في السير والشمائل والمغازي ودلائل النبوة.

❁ ومن هذه الكتب: زاد المعاد وهو أعذبها، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية وهو أوعبها، والشفاء للقاضي عياض، والعجالة السنية للمناوي شرح ألفية السيرة للعراقي وهو أكثفها، وفصول مهمة في الجواب الصحيح لابن تيمية، وغيرها.



وقد قال الإمام ابن تيمية: «كان الذين رأوا محمداً ﷺ ونقلوا ما عاينوه من معجزاته، وأفعاله، وشريعته، وما سمعوه من القرآن، وحديثه.. ألوفاً مؤلفة»^{١٠}.

❁ وأما معجزات النبي ﷺ وعجائب حياته فهي كثيرة جداً، وقد تنافس أهل العلم في جمعها، فكان اللاحق منهم يستقرئ أموراً ويضيفها على السابق، وهذا شأن العلوم، وإن كان المستشرقون وشراحهم العرب يجعلون هذه المزية إشكالاً، ومن ذلك قول ابن تيمية رحمه الله: «ومعجزاته تزيد على ألف معجزة؛ مثل انشقاق القمر والقرآن المعجز، وأخبار أهل الكتاب قبله، وبشارة الأنبياء به، ومثل أخبار الكهان والهواتف به، ومثل قصة الفيل التي جعلها الله آية عام مولده، وما جرى عام مولده من العجائب الدالة على نبوته، ومثل امتلاء السماء



ورميها بالشهب التي تُرجم بها الشياطين بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله عز وجل من غير أن يعلمه إياها بشر، فأخبرهم بالماضي مثل قصة آدم ونوح وإبراهيم وموسى والمسيح وهود وشعيب وصالح وغيرهم، وبالمستقبلات.

وكان قومه يعلمون أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم، ولم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه، بل ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربي، ولا كان هو يحسن لساناً غير العربي، ولا كان يكتب كتاباً ولا يقرأ كتاباً مكتوباً، ولا سافر قبل نبوته إلا سفرتين: سفرة وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم، وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش لم يفارقهم، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب، وأخبر مَنْ كان معه بأخبار أهل الكتاب بنبوته مثل: إخبار بحيرا الراهب بنبوته، وما ظهر منه مما دلهم على نبوته ولهذا تزوجت به خديجة قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرة، ومثل تكثير الطعام القليل حتى أكل منه الخلق العظيم، وتكثير الماء القليل حتى شرب منه الخلق الكثير، وهذه الأمور مبسطة في موضع آخر، ولكن المقصود هنا التنبيه بأن محمداً ﷺ له معجزات كثيرة^{١١}.



وفضائله وشرفه وهيبته في

النفوس لها مقام طويل، والحديث

عنها واعتقادها وتحقق النفوس بمعانيها

من أرفع مقامات الإيمان، فكلما تحقق

القلب بتشريف وهيبة وحب رسول

الله ﷺ صعد في مدارات الإيمان.



حب النبي ﷺ لنا



فهل هذا كل شيء؟

❁ لا، ولكن ثمة أمر يصل بالعجب إلى
منتهاه، وهو كمال شفقة رسول الله بنا، وشدة
حب رسول الله لنا معشر أمته، وحرصه علينا،
والحاحه في سؤال الله كل خير ومصلحة لأمته.

أخذ النبي ﷺ مرة يقرأ قول الله: ﴿رَبِّ إِنِّهْنِ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقول الله: ﴿إِن تَعَذِّبِهِمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ فتذكر أمته فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي». وبكى، فقال
الله عز وجل: «يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك». فأتاه جبريل عليه الصلاة
والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل
إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك»^{١٢}.

انظر إلى علم الله سبحانه بأن ما أهم محمداً ﷺ حتى بكى هو شفقتة وحبه الخير لنا معشر أمته، حتى
أن الله وعده -ووعده الحق- أن يرضيه في أمته، نسأل الله من فضله!

والله سبحانه قد أعطى الأنبياء دعوات يجيبها لهم، فكل نبي استعملها فاستجيب له، إلا محمد ﷺ،
أتدري ماذا فعل رسول الله بهذا الخليفة في الدعوة المجابة؟ ادخرها رسول الله ﷺ لنا نحن معشر أمته:



«لكل نبي دعوة، فأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي، شفاعاً لأمتي يوم القيامة»^{١٣}. وقال: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة»^{١٤}.

❁ ولذلك إذا ضاق الناس بالمحشر يوم القيامة، وفزعوا للأنبياء فاعتذروا، أتوا محمداً ﷺ، فانظر كيفية شفقة النبي ﷺ بأمرته: «فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سلّ تعطّه واشفع تُشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب»^{١٥}.

فبالله عليك هل تعرف شفقة بالأمة أكثر من هذه؟ الناس في المحشر، في أكثر اللحظات ضنكاً، يفكرون في أنفسهم، والنبي يقول: «أمتي أمتي».

إنه مهتم بأمرنا نحن معشر أمته!



❁ وكان النبي بأبي هو وأمي ﷺ يخبرنا ببعض أدعيته لنا معشر أمته، ومن ذلك شفقته بنا من الكوارث الكبرى، كما يقول ﷺ: «وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم»^{١٦}.

١٦ مسلم، ٢٨٨٩.

١٥ البخاري، ٤٧١٢.

١٤ مسلم، ١٩٩.

١٣ البخاري، ٦٣٠٤.



والناس يوم النحر يفكرون بأضيحتهم، وأصاحي أقاربهم، وأما رسول الله ﷺ فإنه مهموم بشأن أمته: «بسم الله، والله أكبر، هذا عني، وعمن لم يضح من أمتي»^{١٧}.

❁ وفي تشريعات كثيرة كان النبي ﷺ يبين أن المانع له منها هو خوف المشقة على أمته، كقوله عن الجهاد: «ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية»^{١٨}. وقوله عن تأخير وقت العشاء: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها هكذا»^{١٩}. وقوله عن السواك: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»^{٢٠}. وغيرها من الأحاديث التي كان النبي ﷺ يبين أن الحامل له على ترك الأمر بها هو خوف المشقة على الأمة.

ولما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن سبب تخفيف النبي ﷺ جداً في علة الجمع قال: «أراد أن لا يخرج أمته»^{٢١}.

❁ ولما كثر الصحابة في صلاة التراويح تركها النبي ﷺ وقال لأصحابه: «إنه لم يخف عليّ مكانكم، لكني خشيت أن تُفرض عليكم، فتعجزوا عنها»^{٢٢}.



١٨ البخاري، ٣٦.

٢٠ البخاري ٨٨٧.

٢٢ متفق عليه.

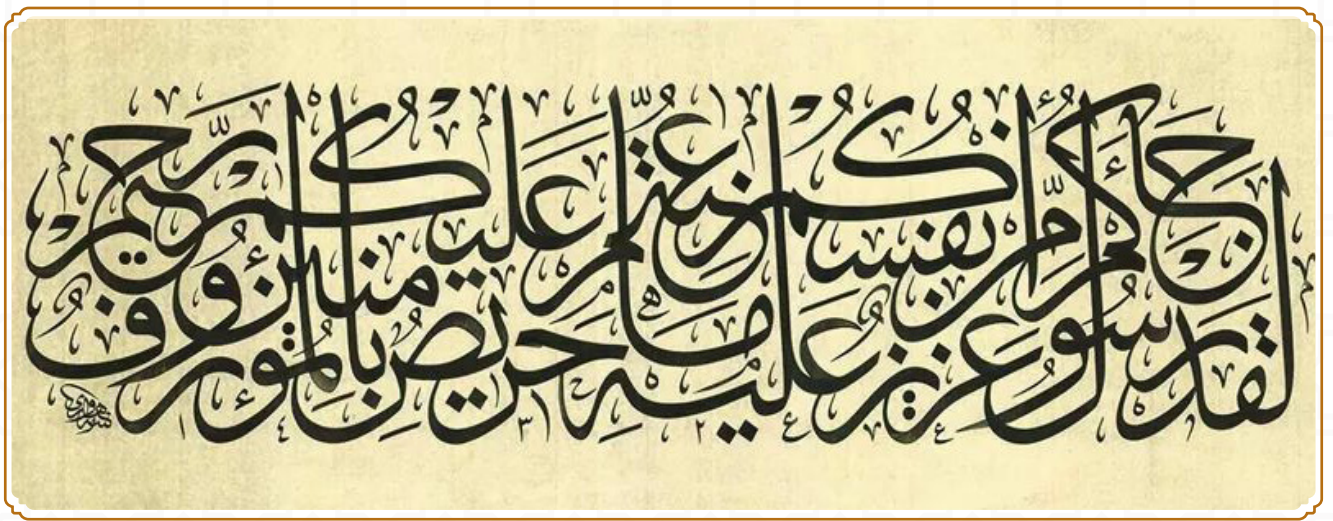
١٧ أبو داود، ٢٨١٠.

١٩ البخاري، ٥٧١.

٢١ مسلم، ٧٠٥.



❁ واستمر النبي ﷺ يراجع ربه لتخفيف الصلاة المفروضة علينا من خمسمائة إلى خمس صلوات في الحديث المشهور المعروف في قصة الإسراء والمعراج في الصحاح، وهذه الشواهد السابقة في كمال شفقة النبي ﷺ بنا معشر أمته؛ هي التي عبر عنها القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .



ولذلك كان أهل العلم يتنافسون في العبارات الإيمانية التعظيمية لرسول الله ﷺ، حتى قال الشافعي في رسالته المشهورة: «فلم تمس بنا نعمة، ظهرت ولا بظنت، نلنا بها حظاً في دين وديناء، أو دفع بها عنا مكروه فيهما، وفي واحد منهما.. إلا ومحمد ﷺ سببها»^{٢٣}.

وقال ابن تيمية: «كل خير في الوجود، إما عام وإما خاص؛ فمنشؤه من جهة الرسول... والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة»^{٢٤}.

هذا هو النبي الأعظم، فداه نفسي ﷺ!



أنس السلطان

فك الله أسرہ*

المولد النبوی و ذکرى الثورة

من جدید، تجتمع ذکرى مولد الحبيب المصطفى محمد ﷺ مع ذکرى ثورة الخامس والعشرين من يناير.. هذا المولد النبوی الشریف الذى أضاءت به الدنيا وأشرقت، وتصدع إيوان كسرى وتزلزل..

حتى غدا عن طريق الوحي مُنْهَزَمٌ •• من الشياطين يقفوا إثرَ منْهَزَمٍ





نقف مع مولده الشريف لنعتبر ونفكر، وإذ بقول سيدتنا حليلة السعدية مرضعة الحبيب المصطفى: «كنا في فقر مدقع، وفي سنة مجدبة، والله ما أمطرت علينا ذاك العام قطرة، ولا نبتت في مراوحنا نبتة».

فما وصل عليه الصلاة والسلام وهو طفل إلى ديار بني سعد، إلا وغمامة ملأت السماء فأمطرت حتى سالت الأودية، وامتلأت عشباً أخضر، وحلبوا حتى ملأوا الآنية، وكانوا في رغد من العيش. إنها إذن البركة والخير والرزق تسير معه حيثما سار.

ثم نتأمل في سيرته العطرة إذ هو

في مكة فيها فتى يافعاً، وتقوم قريش بإعادة بناء الكعبة بعد انهدامها في سيل أصاب البيت الحرام، ويتم بناء الكعبة ثم تقف القبائل تكاد تتقاتل من منهم يضع الحجر الأسود في مكانه؟



ويأتي بنو هاشم بصفحة مملوءة دماً فيغمسون أيديهم فيها ويتعاهدون ألا يضع أحد الحجر في مكانه إلا واحد منهم، حتى ولو كلفهم ذلك أن يفنوا جميعاً!

❁ ثم يقترح أحد حكماء قريش أن يتحاكم القوم إلى أول داخل للبيت. فيكون هذا الداخل هو حبيب الرحمن محمد ﷺ، وقد كان هذا الموقف قبل بعثته الشريفة، فيعرضون الأمر عليه فيكون حكمه وتكون حكمته أن فرش عباءته على الأرض ووضع الحجر عليها، ثم طلب من كل قبيلة أن يبعثوا بأحدهم ليحمل طرفاً من الثوب.



فاشتركت بذلك القبائل كلها في حمل الحجر حتى كانوا إلى جوار الكعبة فحمل رسول الله ﷺ الحجر الأسود بيديه الشريفتين ووضعه في مكانه، فذاك أبي وأمي.. إنها إذن الحكمة والبصيرة والعقل يتبعانه حيث كان.

ما أحوجنا الآن في الذكرى الثانية لثورة يناير المباركة إلى البركة والخير والرزق، وما أحوجنا أيضاً إلى الحكمة والبصيرة والعقل، وتمام ذلك كله في رسول الله ﷺ.

إن بلادنا تعاني اليوم من قلة البركة في الرزق، ومع ذلك نغفل قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].



كما تعاني بلادنا من قلة الحكمة والتعقل، والإسراع في نقل الشائعات، ومع ذلك نغفل عن قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

أي: ولو تمهلوا قبل نشر الأخبار مع عدم التثبت وتركوا الكلام فيما لا يحسنون لكان في هذا خير لهم، ولتكلم الحكماء والعقلاء فاستجاب الناس لكلامهم وانتفعوا برأيهم، ولو سكت الجاهل لمات الخلاف، كما يقولون.

✽ إنها إذن ذكرى الثورة وهي أيضاً ذكرى ميلاد الحبيب المصطفى محمد ﷺ، الذي نحتاج إلى الكثير من استلهام الدروس من سيرته العطرة، في محاولة لعلاج أزماتنا.

أخيراً: وفي ذكرى الثورة نتذكر شيخنا الشهيد عماد عفت، ولما يأت حقّه بعد ولما يُحاسب المجرمون بعد، ولكن القاتل وإن ظن أنه أفلت من عقوبة الدنيا فعند الله تجتمع الخصوم!



د. صلاح سلطان

فك الله أسرته*

بين التلميذ والأستاذ مواقف لا تنسى

صدرت مقالات كثيرة وعديدة في بوسطن وشيكاغو وأوهايو.. ولا تزال تضع صورة الشيخ القرضاوي وبجواره صورتي، وتحذر المجتمع والحكومة الأمريكية من تلميذ الشيخ الذي لا يكف عن ذكره، والاستشهاد بآرائه في كل دروسه وخطبه، وأني ظله في أمريكا، واشتدت الحملة حتى طالب القائمون عليها والمديرون لها الحكومة الأمريكية بإخراجي من أمريكا أو عدم إعطائي الجنسية، ويستطيع أي واحد أن يكتب اسمي على



* صلاح سلطان، مقال: بين التلميذ والأستاذ مواقف لا تنسى، موقع إلكتروني: القرضاوي al-qaradawi.net، ٢٠٠٧م. والمقال منقول بتصرف عن بحث للدكتور صلاح سلطان عن الشيخ القرضاوي تحت عنوان: «التكوين العلمي والفكري للقرضاوي».

موقع Google للبحث على الإنترنت، وسيجد مقالات عديدة تحذر مني؛ بحجة أنني أتبني منهج الشيخ القرضاوي؛ وخاصة في الموقف من إسرائيل، ومساندة القضية الفلسطينية.

أهل الاعتدال



وقد جمعتني مع فضيلة الشيخ القرضاوي بشكل مباشر مواقف محفورة في أعماق قلبي، وسويداء فؤادي، وهي جميعها ذات تأثير في حياتي، وأشعر أنه من الأهمية أن أثبها إلى زملائي من محبي الشيخ الجليل وتلاميذه؛ ليتدارسوا ما فيها من عبر، فما زلت أتذكر يوم أن كنت عائداً من أمريكا في يوم ٢٥-٦-٢٠٠١، وكان المسار الذي اتخذته الطائرة المتجهة إلى القاهرة هو (ديترويت- ألمانيا- القاهرة).

❁ وفي مطار القاهرة - كالعادة- أخذوا جواز سفري للكشف والتحري، وطلبوا مني الدخول في غرفة ينتظر فيها أمثالي من المشبوهين (عندهم)، ودخلت الغرفة الصغيرة التي كان بها لمبة ضعيفة جداً، ولا أكاد أبصر شيئاً، وأحسست أن هناك شيخاً أزهرياً في الغرفة، لكن لم أتبينه من هو، فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ففوجئت أن الرد جاء بصوت جهوري مفعم بالمشاعر والأحاسيس، إذ كان الشيخ القرضاوي من يجلس بالغرفة! وكان قادماً من قطر، فقال لي: ما جاء بك هنا يا بني؟



فقلت: جاء بي الذي جاء بك، ألت القائل في قصيدة «الأصوليون»:

- وكلنا في الهوى سوى .. من لم يمارس عنفه فقد نوى
- لكن أهل الاعتدال أخطر .. فهم على البلاء أصبر
- فهم يربحون جولة فجولة .. وبعد ذلك يبلعون الدولة



فقال لي معلقاً على كلامي: وهذا وقته؟ تعال

هنا. وجلست بجواره، وقلت: أستاذنا، دعنا نستفد

من الوقت، «هم يخلصوا شغلهم، وإحنا نخلص

شغلنا»، فجلسنا نضع برنامج اجتماعنا الذي كنا سنعقده

في الصيف بشأن المجلس العلمي للجامعة الإسلامية

الأمريكية ديترويت - ميتشجان، وكان الشيخ رئيساً

لمجلس الأمناء، وكنت رئيساً للجامعة، فجلسنا نضع البرنامج واليوم والمحاور والحضور، وانتهينا من كل شيء

في هذه الغرفة (العشة)، وبعد الانتهاء جاءوا ونادوا على الشيخ، وبقيت وقتاً أتحاور مع اللواء الذي كان

يتابعنا: كيف تفعلون هذا مع الشيخ الجليل الذي يستقبل في صالة كبار الزوار في الدنيا كلها إلا بلده الأصلي

مصر؟ كيف تفعلون هذا معه؟! لكن اللواء كان دائماً يقول: عندك حق، لكنني عبد مأمور.

تواضع العلماء

❁ في أكتوبر سنة ٢٠٠١ بعد أحداث سبتمبر زادت الفتن، وتعالى الخوف على المسلمين في أمريكا، واتصل

الأخ محمد المسؤول عن المسلمين في الجيش الأمريكي يسأل عن حكم الله في اشتراك الجنود الأمريكيان

المسلمين فيما يسمى بالحرب على الإرهاب؟



✍️ واتصل بعض الشيوخ من أمريكا بالشيخ، وأخبروه أننا لو أفتينا بعدم الجواز في هذا الجو المتهب فسوف يتعرض المسلمون لأزمة ضخمة ربما تصل إلى ما عاشه مسلمو البوسنة مع الصرب، وربما تهدم مساجدهم وتتخذ مؤسساتهم!

فأفتى الشيخ بالجواز على قناة (الجزيرة) في برنامجه (الشريعة والحياة) مع ضوابط محاولة عدم الاشتراك إن أمكن، وأخذ الصفوف الخلفية.

✿ وعندما سمعت الفتوى، اتصلت بأستاذنا د. جمال بدوي الذي وافقني الرأي أن هذه الفتوى تحتاج إلى مراجعة، وأن الإخوة الذين حدثوا الشيخ بالغوا في وصف الواقع هناك، واتصلت بأستاذنا العلامة وأحضرت أستاذنا د. جمال بدوي على الخط، وصرنا نتحدث مع شيخنا نراجع، فأشهد أنه قال: «سوف أرجع عن هذه الفتوى، لقد أفتيت بناء على معلومات من عندكم، والآن بعد تصحيحها أراجع الفتوى». ومن أدبه الجم وفضله الكبير وتواضعه الشديد ورجوعه إلى الحق، عاد في فتواه وغيرها في الأسبوع الذي يليه.

المرّة الأخيرة في أمريكا

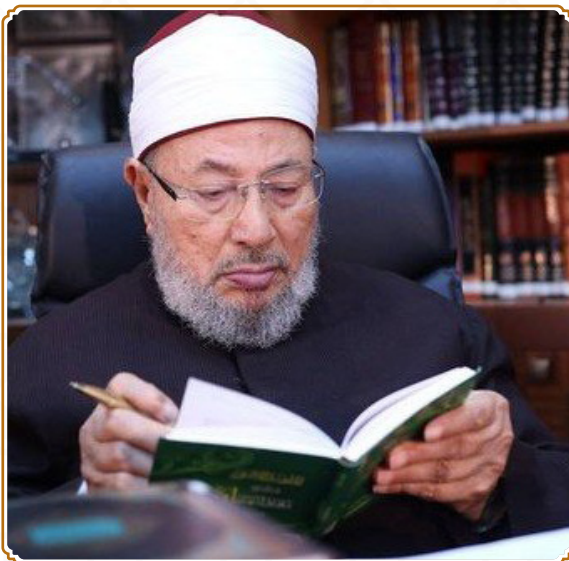
أما الموقف الثالث مع شيخنا الجليل فقد كان في مؤتمر رابطة علماء الشريعة في ديترويت - ميتشجان في نوفمبر ١٩٩٩م، وهي آخر مرة دخل فيها شيخنا إلى أمريكا، حيث سحبوا التأشيرة منه، وكان هناك حضور عالمي في هذا المؤتمر، حيث كان من المقرر مناقشة قضايا المسلمين في الغرب.

وفي الجلسة الافتتاحية كان الأصل أن يكون هو صاحب الكلمة لأنه رئيس المؤتمر، لكنه لم يستطع النزول- شفاه الله وعافاه- لظروف صحية، واتفق الإخوة المنظمون أن يقول أكبر العلماء الموجودين سناً الكلمة مكانه، وطلع الشيخ البديل (وأعذر عن ذكر اسمه) ليقوم بهجوم كاسح وشديد وحاد على الشيخ القرضاوي بالكثافة دون الذكر لكن الكلام يفهمه الجميع!

حيث أشار إلى أن هناك (شيوخ التيسير) الذين يريدون أن يتحللوا من الشريعة، ويجروا وراء الشهرة في الفضائيات. وكان كلاماً لا ذعاً، وجاء الشيخ القرضاوي في الجلسة الأولى بعد الافتتاحية ليبدأ بالعفو عمن ظلمه، والتسامح مع كل من أساء إليه، وقال: «ما جئنا هنا لتناز، بل لنحل للأقلية المسلمة معضلاتها، ولن نحيد عن هدفنا، فدعونا مباشرة نبدأ مع اسم الله وبركته».

فقه الضرورة

ومن القضايا التي طُرحت كانت قضية شراء البيوت بالقرض الربوي، وأجازها الشيخ مع خمسة وأربعين، ولم يوافق عشرون، وكنت من الذين لم يوافقوا، وجئنا إلى الصياغة فكان ما يلي:



اقترح الشيخ كتابة القرار بالأغلبية احتراماً لرأي المخالفين. لما جاءت صياغة أساس الفتوى كان المعتمد على أمرين:

أ. الضرورة الخاصة بمسلي الغرب في قضية السكن.

ب. ما روي عن أبي حنيفة أنه أجاز التعامل بالربا

في دار الحرب.



وطلبت من شيخي الجليل حذف المستند الثاني في الفتوى لأننا لا نعدّ أوروبا وأمريكا دار حرب،
قائلاً: إنكم تفتنون بأنها دار دعوة، فكيف نغير منهجنا؟

وهنا وجدت الشيخ بكل مروءة وتواضع يقول: «أرى فعلاً أن نحذفها».



✍️ وخرجت الفتوى مستندةً فقط إلى فقه
الضرورة، على الرغم من صدورها قبلها بشهر
واحد في المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث،
مستندة إلى الأمرين، فضرب الشيخ مثلاً
رائعاً في الرجوع عن بعض رأيه إذا بدا له رأي
آخر، ولما طُبِع كتابه (فقه الأقليات)، أورد في
آخره القضية، ووضع بكل أمانة آراء معارضية
الذين سمعتهم بأذني يهاجمونه في النرويج.

هموم وشجون

❁ في شتاء ٢٠٠٣ كنت في أزمة شديدة، وعدت من رحلة طويلة من ديترويت واشنطن، كندا نيودلهي،
فيينا براغ، لندن، دبلن.. حيث اجتماعنا الدوري للمجلس الأوروبي للإفتاء، وعلى مائدة الطعام ذكرت
لشيخي أنني أريد أن أجلس معه كي أثبه شجوناً حادة تؤلمني، فقال: «اتصل بي الساعة كذا».



وفعلاً اتصلت لأذهب إليه،
ففوجئت أن الشيخ يصر أن يأتي
إليّ في غرفتي في الفندق، وجلسنا
ساعة كاملة وحدنا وبثته شجوني،
فما تركني إلا وصدري في غاية
الارتياح، لكنه مشكوراً مأجوراً
سألني: «هل تعلمت الإنجليزية

بشكل جيد»؟ قلت له: درست قليلاً جداً وشغلني إخواني بإدارة الجامعة وهموم أخرى. فقال: «الآن تجعل أولويتك الأولى تعلم الإنجليزية، فلو استقبلت من أمري ما استدبرت لتعلمت الإنجليزية».

✽ وعدت بعدها مباشرة لأسجل نفسي طالباً في دراسة اللغة الإنجليزية في جامعة أوهايو، وكان معي طلاب أصغر من سن أولادي، لكني والحمد لله كنت دائماً الأول عليهم، ولم أحصل في أي فصل دراسي إلا على امتياز تدفعني هذه الكلمات الندية من شيعي وأستاذي، وقدومه المبارك تواضعاً لزيارتي في غرفتي، فعدت بوجه غير الذي ذهبت به، وصار لي لسان غير الذي كنت عليه، حيث أقرأ وأخطب بالإنجليزية!



عبد الرحمن يوسف القرضاوي

فك الله أسرته*

القرضاوي والسياسة والتطبيع

والدي فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله ونفع به.. رجل مهتم بالشأن العام منذ طفولته، جيله كله هكذا.. جيل ميسر بامتياز، سُجن وهو ما يزال مراهقاً غضاً في العهد الملكي، إمامه بالشأن السياسي المحلي والإقليمي والعالمي واسع، فقد سافر وتجوّل في العالم كله، وشاهد أحوال الناس والبلدان رأي عين.. رأى الكوكب بطوله وعرضه.. ظل عشرات السنين ينشر دعوته في الأرض، زار عشرات الدول، كنت دائماً أسأله مازحاً: «ما هي الدول التي لم تزرها يا مولانا»!





لذلك.. يستطيع المرء أن يتفهم إدلاءه برأيه في الشأن العام.. صحيح أنني ما زلت أرى أننا بحاجة لوضع بعض الحدود التي توضح الفارق بين ما هو سياسي وما هو ديني.. ولكنني في النهاية أتفهم معنى أن يقضي الإنسان حياته مهتماً بالشأن العام.. سواء كان فقيراً أو قسيساً أو شاعراً أو ممثلاً أو راقص باليه!

ولكن أعجب ما أتعجب له،

هو هؤلاء الذين يعتبرهم البعض مشايخ وعلماء، ولم يتحدثوا في السياسة طوال أعمارهم، وفجأة استدعتهم أجهزة المخابرات ليبرروا التطبيع مع إسرائيل، أو ليحللوا قتل المتظاهرين في الشوارع، أو ليشرحوا للجماهير

الفوائد الدينية والدنيوية المترتبة على تعديل الدستور.. بحيث يتسنى للملك أو الرئيس أن يفعل ما يريد، وقتما يريد، كيفما يريد.. دون حساب أو عقاب.. هؤلاء علماء السلطان، وإذا كانوا شعراء فهم شعراء السلطان، وكذلك إذا كانوا أطباء أو مهندسين أو لاعبي كرة.. فهم أذناب السلطان أياً كان موقعهم.

✽ هؤلاء لا يمكن أن يتفهم المرء إدلاءهم بآرائهم في الشأن العام، فلم يعرف لهم اهتمام بالموضوع، كما أنهم في الحقيقة ليس لهم رأي، بل يرددون ما يأمرهم به ضابط المخابرات المكلف بمتابعتهم.

وُلِدْتُ في مدينة الدوحة.. تلك المدينة الهادئة الجميلة.. لا أدري هل وهبت المدينة طيبتها لأهلها؟ أم

اكتسبت الدوحة الطيبة من أهلها الكرام؟



في تلك المدينة.. في ثمانينيات القرن الماضي.. كانت قضية أفغانستان مشتعلة، وأذكر أن الزعيم الأفغاني «عبد رب الرسول سيّاف» ألقى محاضرة في الدوحة (قلبت الدنيا) كما يقولون.



كان تعاطف الناس مع القضية كبيراً، وكان تعاطفاً «إسلامياً» بحتاً، فعلت الأصوات بضرورة التطوع للجهاد في أفغانستان (المقصود الجهاد بالنفس، لا بالمال)، وهبّ كثير من الشباب بالفعل، وذهبوا للجهاد في أفغانستان، واستشهد بعضهم.. رحمهم الله وتقبلهم في الشهداء.

في تلك الفترة راجت بعض الفتاوى، فتاوى شعبية، تستثمر حالة التعاطف تلك لتقول للناس إن الجهاد «بالنفس» في أفغانستان (فرض عين) على كل مسلم مستطيع، وإن العدو إذا نزل ببلدة مسلمة وجب على كل مسلم حمل السلاح، والخروج للقتال فوراً، وإنه يجوز للمدين الخروج بلا إذن دائمه، ويجب على الأبناء الخروج للجهاد دون إذن آبائهم.. وغير ذلك من المبالغات التي راجت رواجاً شديداً بين الشباب المتدين في تلك الفترة (في قطر، وفي كثير من دول العالم الإسلامي).. طبعاً تبيّن بعد ذلك أن حلفاء أمريكا في الخليج كانوا يشجعون هذا التوجه ويمولونه.

❁ كانت الفتوى التي ترضي الأنظمة في هذه الأيام هي التي توجب الجهاد في أفغانستان، فتبارى فقهاء السلطان في إصدار الفتاوى التي تقول إن الجهاد في أفغانستان (فرض عين) على كل مسلم، وخرج آلاف المقاتلين من أبناء الدول الإسلامية إلى أفغانستان، وكان المسؤول عن جمع التبرعات لهذا المجهود الحربي أمير أصبح ملكاً حالياً!



في هذه الأجواء طلب أحد هؤلاء المشايخ الذين يروجون لوجوب الجهاد في أفغانستان زيارة أبي، فدعاه أبي إلى مجلسه.. كان الهدف من الزيارة «مناظرة الشيخ» و«إقناعه» بالحكم الشرعي «الصحيح»!

حضرت تلك الجلسة.. كان عدد الحاضرين محدوداً، وكانت في منزلنا في فريق بن محمود، وما زلت أذكر ما حدث جيداً.



بدأ الضيف بالحديث.. فتحدث عن فضل الجهاد، وفضل الشهادة في سبيل الله، تحدث لما يقرب ربع ساعة حديثاً مؤثراً.. وبكى بعض الحاضرين حين ذكر كرامات المجاهدين في أفغانستان، كل ذلك والوالد حفظه الله ساكت.. وظل ساكناً ساكناً حتى أنهى الرجل حديثه.

بعدها تحدث.. فشرح لهذا الرجل أن فضل الجهاد ثابت، وهو ذروة سنام الإسلام، وأن الشهادة منزلة عظمى.. والشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدين، ولكن ذلك كله لا علاقة له بحكم الجهاد في أفغانستان!

❁ فقاطعه الرجل.. وقال كلاماً عجيباً خلاصته: أننا ينبغي علينا أن نقول للناس إن الجهاد فرض عين لكي نرغبهم في الجهاد، وأن كثيراً من الناس ربما لن يذهبوا للجهاد إذا لم نقل لهم إنه فرض عين!

هنا غضب الشيخ.. وشرح لهذا المدّعي أن ذلك تزوير لدين الله، مستشهداً بآيات وأحاديث مثل قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وكيف أن الفقيه الحق لا يغير أحكام الله لأي سبب، وأن

تلك النوايا الطيبة كم أدت بأناس إلى وضع أحاديث، وإلى تغيير أحكام فقهية، وأن الانجراف خلف تلك الأمور تصل بكثيرين إلى الضلال المبين.



❁ وظلت فتوى الشيخ في شأن الجهاد في أفغانستان منذ بدء الغزو الروسي وحتى هزيمته كما هي، فالجهاد هناك فرض عين على أهل أفغانستان فقط، والواجب على الدول الإسلامية الوقوف معهم بالسلاح، وبالديبلوماسية، ويجب على الشعوب المسلمة دعمهم بالمال والدعاء وكافة أشكال الدعم.. ومن أراد أن يذهب للجهاد بنفسه من غير أهل أفغانستان.. فليذهب، ولكن ذلك ليس فرض عين عليه.

كانت تلك الجلسة درساً عظيماً.. وكيف أن أهل الرأي لا ينبغي لهم أن يتأثروا أبداً بالهياج الشعبي في أي قضية، وكيف أن العالم لا ينبغي أن يخلط بين العواطف المتغيرة والحكم الثابت، وكيف يقف الفقيه عند حدود الله حتى لو لم تكن على هوى الحاكم أو هوى العوام.. ومع الوقت تغير هوى الحكام.. وتغير مزاج الغوغاء، وما كان بالأمس جهاداً أصبح بعد ذلك إرهاباً!

والحقيقة أن تلك الجلسة أظهرت لي أسلوبيين في التفكير، ومنهجين في الحياة: 

- المنهج الأول: هو منهج الراسخين في العلم، الذين لا يخافون في الله لومة لائم.
- والمنهج الثاني: منهج الذين يتلاعبون بالأحكام لأهوائهم (أيأ كانت.. في الخير أو الشر).



العجيب أن بعض وسائل إعلام الثورة المضادة اليوم تستغل ضعف ذاكرة الناس، وتروج لأكاذيب ومغالطات، فتتهم الشيخ القرضاوي بأنه يجلس مرتاحاً في بيته هو وأبنائه، بينما يلقي بأبناء البسطاء في أتون معارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل.. من فلسطين إلى أفغانستان.. متجاهلين أن ذلك لم يحدث، ومتجاهلين أموراً أخرى لا ينبغي أن نقولها؛ فلسنا من الذين يزكون أنفسهم!

في أمور السياسة.. تعودت أن أشاهد على وسائل التواصل الاجتماعي صورة لوالدي حفظه الله، يقف فيها وبجواره بعض حاخامات اليهود بزيهم الديني المتميز، تعودت أن أقرأ تعليقات اللجان الإلكترونية التي تنشر هذه الصورة وهي تشكك في دينه، وفي ولائه للأمة، وكيف أنه رجل (عميل) لإسرائيل، وللهاشونية العالمية.. ساء ما يحكمون!



❁ الصورة ليس فيها ما يعيب.. بل العيب على من نشرها مع أكاذيب تافهة.. فالصورة لمن لا يعلم كانت للشيخ القرضاوي حفظه الله وهو يستقبل بعض الحاخامات اليهود من أعضاء حركة (ناطوري كارتا)، وهي حركة يهودية حريدية تأسست عام ١٩٣٥م، أي قبل

إعلان دولة الكيان الصهيوني، وهي حركة مقاومة للصهيونية بكل أشكالها، وتعارض وجود دولة إسرائيل من الأساس، وتنادي تلك الحركة بخلع أو إنهاء سلمي للكيان الإسرائيلي، وإعادة الأرض إلى الفلسطينيين.

لحركة (ناطوري كارتا) -ومعناها حراس المدينة- منطلق ديني توراتي يعتمد على أن اليهود ممنوعون

من إقامة دولتهم حتى مجيء المسيح.



ستجد صوراً لكثير من رموز المقاومة مع هؤلاء الحاخامات، وستجد هؤلاء الحاخامات يرتدون الكوفية الفلسطينية بلا أي حرج.. فزعم هذه الطائفة خدم كوزير لشؤون اليهود في عهد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات على سبيل المثال، واشترك عضوان من هذه الطائفة في الصلاة على الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في باريس.

هذا موقع الحركة لمن يرغب في مزيد من الاطلاع: www.nkusa.org وما زال حتى اليوم تشويه الشرفاء مستمراً باستخدام هذه الصور!

أتعجب كيف سيتصرف الآن غلمان دولة «المؤامرات» مع هذه الصورة؟ لقد أصبحوا هم الآن في قفص الاتهام.. وها نحن نراهم يزينون أبناءهم بأعلام إسرائيل!



العجيب أن اسم القرضاوي في الأيام الماضية كان غائباً تماماً عن الساحة، فتبرير التطبيع اقتضى استحضار أسماء أخرى ممن يُحسبون من أهل العلم، ولكنهم لا يفقهون الكثير في «فقه الواقع»، ولم يكونوا في يوم من الأيام مهتمين بالشأن العام (وأظن القارئ الحصيف يعلم عنم أتحديث).

لذلك ستجد فتاوى هؤلاء في أمر التطبيع كلاماً لا علاقة له بالواقع، فهؤلاء لا يعلمون ما إسرائيل، ولا ما تفعله، ولا يعلمون أي شيء عن الظروف السياسية والوضع الإقليمي والدولي الذي يطبقون الفتوى فيه.. ستجدهم يتحدثون عن صلح الحديبية مثلاً، وهو أمر لا علاقة له بموضوعنا،



فصلح الحديبية كان بين الرسول ﷺ وبين قريش، وكلاهما من أهل مكة، لم يكن أحد الطرفين قادماً من خارج مكة، محتلاً لها بدعم دولي من خارج جزيرة العرب، مشرداً أهلها في أصقاع الدنيا!

والحقيقة أن هناك سمة عامة في هؤلاء الذي يطلقون على أنفسهم لفظ (سلفيين) وهم أبعد ما يكونون عن منهج السلف، فهم بطبيعتهم يوالون الحكام، وهم على استعداد لتبرير الظلم، وذلك أمر مغروس في فهمهم للدين بسبب المنهج (الوهابي) الباطل الذي يتبعونه.

المنهج الوهابي ليس أكثر من سيف لأصحابه.. سيف برر قتل آلاف المسلمين للوصول للحكم.. ولا علاقة له بمنهج السلف، ولا علاقة له بفكر ابن تيمية وغيره من أئمة السلف الراشدين في العلم.

✽ هذا الفهم المعطوب للإسلام هو الذي خرج منه التشدد، وخرج منه الفهم المدخلي الفاسد للإسلام، وللأسف يلصقون ذلك بالسلف.. والسلف منهم براء.

خلاصة القول.. سيظل الشيخ يوسف القرضاوي صخرة تتحطم عليها كل أمواج التطبيع، وسيظل درعاً تنكسر عليه كل سهام التي تستهدف الإسلام.. وسيظل نموذجاً - هو وأسرته - للأسر المناضلة التي تصمد أمام الظالمين.

لقد وقف القرضاوي ضد رغبات الحكام، والأهم من ذلك أنه وقف ضد أهواء الغوغاء.. وهو أمر يندر أن تجده في هذا الزمان.

حفظ الله الشيخ القرضاوي.. وبارك فيه وفي تراثه وأسرته وتلاميذه.

يتشرف كاتب هذه السطور أنه ابن هذا الرجل العظيم.. أقولها بكل نخز: أنا ابن أبي!

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

المنصفون

مدرسة غير الساجدة الذبيبة انصفوا النبي ﷺ



٢٣٣

آخر أيام النبي
ول ديورانت

٢٤٠

الأكاذيب الغريبة حول النبي الصادق
هنري دي كاستري



ول ديورانت*

المؤرخ الأمريكي

آخر أيام النبي

قضى النبي معظم العامين الباقيين من حياته في المدينة، وكان ينتقل فيها من نصر إلى نصر، فقد خضعت فيهما بلاد العرب كلها، بعد فتن قليلة الشأن، إلى سلطانه ودخلت في دين الإسلام. ❁ وجاء إلى المدينة كعب بن زهير، أعظم شعراء العرب في ذلك الوقت، وكان قد هجا النبي في بعض قصائده، وأسلم نفسه إليه، واعتنق الإسلام، فعفا عنه النبي، وأنشأ الشاعر قصيدة عصماء في مدح النبي أجازه عليها بيردته، وعاهد النبي المسيحيين في بلاد العرب، وأخذ على نفسه أن يحميهم وأن يكونوا أحرار في ممارسة شعائر دينهم نظير ضريبة هينة، ولكنه نهاهم عن الربا.

* قصة الحضارة، مجلد ١٣ باختصار يسير. ول ديورانت هو مؤرخ الحضارة المرموق الشهير، وصاحب موسوعة «قصة الحضارة»، عاش قريباً من مائة عام، وكانت موسوعته هذه إحدى أفضل ما كتب في التاريخ للحضارة الإنسانية. ومع أنه قد غلب عليه الإنصاف إلا أن له هتات في باب السيرة، والمعول فيها على مصادره لا عليه هو! [مجلة القرآن]

ويقول المؤرخون إنه بعث الوفود إلى ملك الروم، وملك الفرس وإلى أمير الحيرة وبني غسان، يدعوهم إلى الدين الجديد؛ ويلوح أن أحداً منهم لم يرد على رسائله، وكان يشهد بعين المستسلم الفيلسوف الحروب المشتعلة نارها بين فارس وبيزنطية وما جرته على الدولتين من خراب، ولكنه يبدو أنه لم يفكر قط في توسيع سلطانه خارج حدود بلاد العرب.



❁ وكانت أعمال الحكومة تشغل وقته كله، فقد كان يُعنى أشد العناية بكل صغيرة وكبيرة في شؤون التشريع والقضاء، والتنظيم المدني، والديني، والحزبي. وحتى التقويم نفسه قد عني بتنظيمه لأتباعه، فقد كان العرب يقسمون السنة كما يقسمها اليهود إلى اثني عشر شهراً قرياً، وكانوا يضيفون إليها شهراً كل ثلاث سنوات لكي تتفق مع السنة الشمسية. فأمر النبي أن تكون السنة الإسلامية اثني عشر شهراً على الدوام كل منها

ثلاثون يوماً أو تسعة وعشرون على التوالي، وكانت نتيجة هذا أن أصبحت السنة الإسلامية فيما بعد غير متفقة مع فصول السنة، وأن تقدم التقويم الإسلامي سنة كاملة على التقويم الجريجوري كل اثنتين وثلاثين سنة.

ولم يكن النبي مشرعاً علياً، فلم يضع لأئمة كتاباً في القانون أو موجزاً فيه، ولم يسر في تشريعه على

نظام مقرر...



ومع اضطلاع النبي بهذه الشؤون كلها فقد كان جم التواضع إلى درجة تحببه إلى النفوس، وكثيراً ما كان يعترف بأن ثمة أموراً لا يعرفها، ويحتج على الذين يظنونه أكثر من إنسان يجري عليه ما يجري على الناس جميعاً من موت ووقوع في الخطأ.

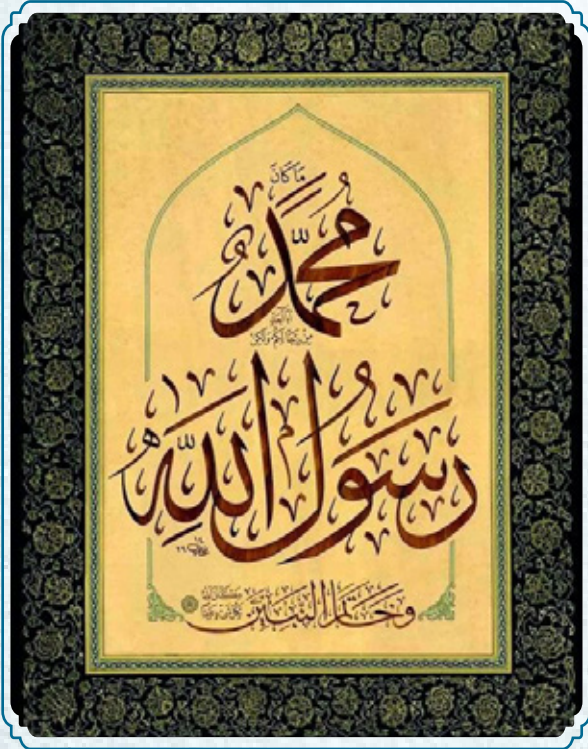
ولم يدع في يوم من الأيام أنه قادر على معرفة الغيب أو الإتيان بالمعجزات...

وتزوج النبي بعشر نساء وكانت له اثنتان من السراري هن مبعث الدهشة والحسد والتعليق والمدح عند الغربيين، ولكن علينا أن نذكر على الدوام أن نسبة الوفيات العالية من الذكور بين الساميين في العصر القديم وفي بداية العصور الوسطى جعلت تعدد الزوجات، في نظر هؤلاء الساميين، ضرورة حيوية تكاد تكون واجباً أخلاقياً.

❁ وكان تعدد الزوجات في نظر النبي أمراً عادياً مسلماً به لا غبار عليه، ولذلك كان يقبل عليه وهو مرتاح الضمير لا ينبغي به إشباع الشهوة الجنسية، ويروى عن عائشة حديث عن النبي مشكوك في صحته يقول فيه: «حُب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقُرّة عيني في الصلاة». ولقد كانت بعض زوجاته من أعمال البر والرحمة بالأرامل الفقيرات اللاتي تُوفي عنهن أتباعه أو أصدقاءه، وكان بعضها زيجات دبلوماسية كزواجه بحفصة بنت عمر الذي أراد به أن يوثق صلته بأبيها، وكزواجه من ابنة أبي سفيان ليكسب بذلك صداقة عدوه القديم. وربما كان الدافع إلى بعضها أمله في أن يكون له ولد، وهو أمل حُرِم منه زمناً طويلاً.

وكانت زوجاته كلهن ما عدا خديجة عقيمت، وكان هذا موضع السخرية بين أعدائه، ولم يبقَ من أبنائه الذين رزقهم من خديجة إلا فاطمة. وقد رزق من مارية القبطية -التي أهداها إليه نجاشي الحبشة- بولد اغتبط النبي بمولده أشد الاغتباط، ولكن إبراهيم مات بعد خمسة عشر شهراً من مولده.

وكثيراً ما ضايقه نساؤه بمنازعتهن، وغيرتهن، ومطالبهن، ولكنه أبى أن يجيبهن إلى مطالبهن الكثيرة، ووعدهن بالجنة، وقضى بعض الوقت يعدل بينهن فيقضي ليلة عند كل واحدة منهن، ذلك أن سيد بلاد العرب كلها لم يكن يملك بيتاً خاصاً له، غير أن عائشة قد استأثرت بأكبر من حقها من عنايته، فغضبت لذلك زوجاته الأخريات حتى نزلت الآية: ﴿تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَن أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقْرَءَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].



❁ وكانت حياة النبي فيما عدا النساء والسلطان غاية في البساطة، فقد كانت المساكن التي أقام بها واحداً بعد واحد كلها من اللبن، لا يزيد اتساعها على اثنتي عشرة أو أربع عشرة قدماً، ولا يزيد ارتفاعها على ثمان أقدام، سقفها من جريد النخل، وأبوابها ستائر من شعر المعز أو وبر الجمال. أما الفراش فلم يكن أكثر من حشية تُفرش على الأرض ووسادة، وكثيراً ما كان يُشاهد وهو يخصف نعليه؛ ويرقع ثوبه، وينفخ النار، ويكنس أرض الدار، ويحلب عزة البيت في

فنائنه، ويبتاع الطعام من السوق. وكان يأكل بيده، ويلق أصابعه بعد كل وجبة، وكان طعامه الأساسي التمر وخبز الشعير، وكان اللبن وعسل النحل كل ما يستمتع به من الترف في بعض الأحيان.

ولم يتعاط الخمر التي حرّمها هو على غيره، وكان لطيفاً مع العظماء، بشوشاً في أوجه الضعفاء، عظيماً مهيباً أمام المتعاضمين المتكبرين، متسامحاً مع أعوانه، يشترك في تشييع كل جنازة تمر به، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان. وكان يرفض أن يوجّه إليه شيء من التعظيم الخاص، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب إلى عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من الوقت والقوة ما يمكنه من القيام به لنفسه. ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال رغم ما كان يرد إليه من الفئ وغيره من الموارد، أما ما كان ينفقه على نفسه فقد كان أقل من القليل.



وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر من هذا المال، لكنه كان ككل الناس يعنى بمظهره الشخصي ويقضي في تلك العناية كثيراً من الوقت، فكان يتعطر ويكتحل، ويصبغ شعره، ويلبس خاتماً نُقش عليه «محمد رسول الله» وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل.

وكان صوته موسيقياً حلواً يأسر القلوب، وكان مرهف الحس إلى أقصى حد، لا يطيق الروائح الكريهة، ولا صلصلة الأجراس، أو الأصوات العالية: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان ١٩]...

وكان حلو الفكاهة فقد قال مرة لأبي هريرة، وكان يتردد عليه كثيراً: «يا أبا هريرة زُرْ غِباً تَزِدَّ حُباً». وكان محارباً صارماً لا يرحم عدواً، وقاضياً عادلاً... ولكن أعماله الرحيمة أكثر من أن تُعد.



وقد قضى على كثير من الخرافات الهمجية كفقه أعين بعض الحيوانات لوقايتها من الحسد، أو ربط بعير الميت عند قبرهم. وكان أصدقائه يحبونه حباً يقرب من العبادة، وكان أتباعه يجمعون بصاقه أو شعره بعد قصه، أو الماء الذي يغسل به يديه، لا اعتقادهم أن في هذه الفضلات شفاء لهم من ضعفهم أو مرضهم.



وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء جميع واجبات الحب والحرب، ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة. وتقول عائشة إنه كان يخرج من بيته في ظلام الليل، ويزور القبور، ويطلب المغفرة للأموات، ويدعو الله لهم جهرة، ويهنئهم على أنهم موتى.

❁ ولما بلغ الثالثة والستين من عمره اشتدت عليه هذه الحميات، وحدث في إحدى الليالي أن شكت عائشة الصداق، وأن شكاه هو نفسه وسألها وهو يمازحها هل تفضل أن تموت هي قبله، فتحظى بأن يدفنها رسول الله، فأجابته بحديثها المعهود، أنه حين يعود من دفنها سيأتي بعروس أخرى مكانها. وظلت الحمي تعاوده أربعة عشر يوماً بعد ذلك الوقت، وقبل وفاته بثلاثة أيام نهض من فراشه، ودخل المسجد وشاهد أبا بكر يؤم المسلمين للصلاة بدله، فجلس متواضعاً إلى جانبه حتى أتم صلاته. وفي اليوم السابع من شهر يونيه عام ٦٣٢ توفي ورأسه على صدر عائشة.

أعظم عظماء التاريخ



وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر
في الناس قلنا إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ،
فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي
لشعب ألقته به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب
الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم
يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد
إنساناً غيره حقق كل ما كان يحلم به.

وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين
وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه، فقد
لجأ إلى خيالهم، وإلى مخاوفهم وآمالهم، وخاطبهم على قدر عقولهم، وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء
جذباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليل عددها متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة.

وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، ديناً سهلاً
واضحاً قوياً، وصرحاً خلقياً قوامه البسالة والعزة القومية.

واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى

إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم.



هنري دي كاستري*

مستشرق فرنسي

الأكاذيب الغربية حول النبي الصادق



كُنْتُ كلِّما بحثت في الديانات، مع صاحب لي من طلبة العلم في تلمسان، وأراد الهرب من الجدل، يُجيبني: «هم يقولون إنَّ الله ولدًا، وإنَّ محمدًا لمن السَّاحرين!» إجابة مملوءة بالاحتقار، كما يجب صاحب المعتقد وثنيًا، يُريد أن يُشفق عليه، وذلك مع مبالغته في احترامي، وحسن الصلات بيننا.

* فرنسي مسيحي، كان مقدمًا في الجيش الفرنسي بالجزائر، قضى في الشمال الإفريقي ربحًا من الزمن جزءًا من الإدارة الفرنسية زمن الاحتلال. هنري دي كاستري، الإسلام خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، ط ١ (القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٨م)، ص ٢٩ وما بعدها. هذا المقال ترد فيه أحيانًا معلومات مغلوطة عن ديننا وتاريخنا، مثله مثل غيره من مقالات (قسم المنصفين) التي يكتبها المستشرقون وأشباههم، فعل سبيل المثال لا الحصر ورد في هذا المقال أن إسماعيل عليه السلام طُرد من عائلته فتوجه إلى بلاد العرب ونشر هناك ديانة أبيه... إلى آخر هذه الأغاليط، وإنما الفائدة من هذا المقال تكمن في إبراده موروث الضغينة والإفك والتحريف لدى الصليبيين في أشعارهم وأديباتهم، وفي نقل بعض كلام المنصفين من النصارى وأدبائهم. وعلى هذا فقس. [هيئة تحرير مجلة 

❁ وكان يرى أن التثليث خرافة فادحة، كسحر محمد، وأن المسيحيين الذين اخترعوا البدعتين قوم لا ينبغي الجدل معهم. ولست أدري ما الذي يقوله المسلمون لو علموا أقاصيص القرون الوسطى وفهموا ما كان يأتي في أغاني القوَّال من المسيحيين؛ فجميع أغانينا -حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر- صادرة عن فكر واحد كان السبب في الحروب الصليبية. وكلها محشوة بالحق على المسلمين للجهل الكلي بديانتهم.



وقد نتج عن تلك الأناشيد تثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك الدين، ورسوخ تلك الأغلاط في الأذهان. ولا يزال بعضها راسخاً إلى هذه الأيام. فكل ناشد كان يعد المسلمين مشركين غير مؤمنين، وعبداء أوثان مارقين. وقد جعلوا لهم ثلاثة آلهة، هم على ترتيب درجاتهم: «ماهوم». وينطق: ماهوم، وبافوميد وماهوميد. وهو محمد. ثم «آبلين»، ثم «ترفاجان»!

❁ وذهبوا إلى أن محمداً وضع دينه بادعائه الألوهية، ومن المستغربات قولهم: إن محمداً -الذي هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان- كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب كما كان يعتقد «الكارولنجيون»، أن المسلمين لما غلبهم الإفرنج وصدوهم إلى أسوار سرقسطه، عادوا إلى أصنامهم فخطموها. كما طنطن به أحد منشدي ذلك العصر حيث قال: «وكان آبلين في مغارة هناك، فتراموا عليه، وأوسعوه شتماً وسباً، وصلبوه من يديه في أحد العمدان، وجعلوا يدوسونه بأقدامهم، ويوجعونه ضرباً بالعصي حتى هشموه. وأما «ماهوم»، فقد رموه في حفرة وتركوا الكلاب والخنازير تنهشه وتمشي عليه. وتلك إهانة لم تصب إلهاً قبله»!

❁ ويظهر أن المسلمين لم يلبثوا أن تابوا من ذنبهم، واستغفروا آلهتهم، وأصلحوا ما أتلّفوه منها. ولذلك أمر الإمبراطور كارلوس بإبادة ما دخل سرقسطه كما جاء في قول ذلك الشاعر: «وقد أمر الإمبراطور الفرنسيين، فطافوا جميع أنحاء المدينة، ودخلوا المساجد والجوامع وبأيديهم مطارق من حديد، فكسروا بها ماهوميد، وجميع الأوثان والأصنام». وكذلك يقول «ريشار» في أناشيده، وهي جميلة لا شيء من الخرف فيها، إلا أنها زور وبهتان حيث يطلب من الله أن يوقع الفشل العميم بين «أولئك الذين يعبدون صورة ماهوم».

ثم جعل يحرض الأشراف على الحرب المقدسة، وينصحهم أن ينكسوا أصنام المسلمين: «قوموا ونكسوا صنم ماهوميد وترفاجان وصبوهم على النار وقدموهم إلى ربكم».



❁ وذهبوا إلى أن صورة ماهوم كانت تُصنع من أنفاس الأحجار والمعادن، بأحكم صنع، وأدق اتفاق، ومن قرأ وصفه في أناشيد «رولان»، كاد يحلف أن ذلك الشاعر إنما يصف عن خبر وعيان! يقول: «وكانت كلها من الذهب والفضة. لو شاهدها لأيقنت أنه لا يمكن للعقل أن يتصور أجمل منها، عظيمة الشكل، لطيفة الصنع، تلوح على وجهها سمات الشهامة. كان ماهوم من ذهب وفضة

يأخذ بريقها بالأبصار، قد وُضع فوق فيل، على جلسة من أجمل المصنوعات، خاوياً من جوفه، فيرى الضوء من خلاله مرصعاً بنفائس الأحجار المضيئة. يرى الناظر باطنه من الظاهر. وهو صنع عزّ عن المثال والنظير!»

ولما كانت الآلهة تُنزل الوحي وقت الشدائد وانهزم المسلمون في إحدى غزواتهم، بعث قائدهم إلى مكة؛ يطلب ربه. قال الراوي: «فجاء الإله محمد في موكب عظيم، يضرب بالطلل والمزامير ضرباً يسمع له دوي

قاصف. وبعضهم يغني بالزمار، والآخر بصفارة من الفضة والكل حولهم يرقصون، ويغنون بأعلى أصواتهم وأقبلوا به فرحين، حيث المجلس معقود والخليفة الديني في انتظاره. فلما رآه قام يعبد به بخضوع وخشوع».

❁ ثم أخذ «ريشار» بعد ذلك يقص كيفية مناجاة أولئك الوثنيين لذلك الصنم الذي وصفه بالتجوير، وأن لا شيء في باطنه إلا ويرى من الخارج. فقال: «وقد وضعوا في جوفه عفريتاً، استحضره السحرة، وصار ينط ويعربد، ثم أخذ يكلم المسلمين وهم يسمعون».

ولقد زاد بغضهم لذلك الصنم، حتى جعلوه علامة على الدين الإسلامي كما جعلوا الصليب علامة للدين المسيحي فروى «بودوان» في نشيده على الكونتيسة «بونتيو»، لما أرادت أن تعتنق الإسلام أمام صلاح الدين أنها قالت: «أريد أن أعبد محمداً فائتوني به، فلما صار بين يديها، خرت ساجدة إليه».

ويأخذ القارئ من نشيد آخر، يظهر أنه وضع تمة لأناشيد «بودوان»، وجود إلهين للمسلمين غير الذين سبق ذكرهم وهما «بارتوان» و«جوبين». إلا أن الثلاثة الأولين هم الرؤساء!



❁ ولما ردَّ أحد قواد المسيحيين جيش المسلمين الذي خرج من مكة، أخذ الشاعر يصف اضطراب المسلمين كما يأتي: «وقد جعل الوثنيون يصيحون ويصرخون ويموجون بينهم، ويهرجون وينادون بأعلى أصواتهم يا «ترفاجان» يا «ماهوم»!

❁ ومع ذلك، يوجد نشيد من أناشيد القرون الوسطى، لا يرى فيه القارئ رمزاً إلى محمد بالصنم. وهو للقسيس «إسكندر ديون»، ألفه سنة ١٢٥٨م، أخذاً عن مسلم تنصّر من ذوي الاعتبار. وعدّ الناس تلك القصة تاريخاً صحيحاً عن ذلك. وقد جاء فيها: «إنه من المعلوم أن محمداً كان عالماً بطرق المكر والخيانة والخداع».

ثم شبهه بأحد الأمراء، المحاط بأتباعه، ينشر دينه على أبسط حال، حتى اعتقده الناس أكثر مما اعتقدوا حبر روما.

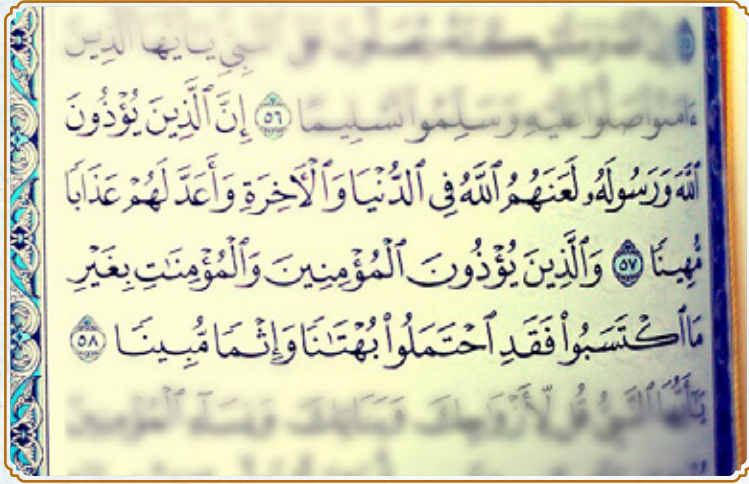


ولقد أطلنا القول في تلك الأضاليل؛ لأن تاريخ «إسكندر» المذكور لم يُزلها؛ ولأنها تركت أثراً في الأذهان، وصل إلى أهل هذه الأيام، وتشبعت به أفكارهم في النبي وكتابه. ولو سأل سائل: هل كان أولئك المنشدون يعتقدون صحة ما يقولون؟ لأجابه جواب أهل الفلسفة: لا ونعم. إذ من المحقق أن

الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين الإسلامي على حقيقته، ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم، بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم؛ فاحتاجوا في ذلك إلى وصف المسلمين وبنبيهم ودينهم، بالأوصاف التي تؤثر في نفوس المنشود لهم على حسب معارفهم وأمياهم.

❁ وإذا انتقلنا من شعراء القرون الوسطى إلى من جاء بعدهم من المؤرخين والمتكلمين الباحثين في علم التوحيد، الذين يظهر من كتبهم في ذلك الزمن أنهم ميالون إلى الاعتدال وجدنا مؤلفاتهم محشوة بتلك الأقاصيص الخرافية مملوءة بالطعن والشتائم في نبي المسلمين. وكان المصلحون وهم البروتستنت

أيام دعوتهم لإصلاح الدين المسيحي أشد تعصباً ضده من غيرهم، فقد اعتنى «ببيلياندر» بتشبيه محمد بالشیطان وعاملوا كتابه وشرعه كما عاملوه. ولسنا نقيم برهاناً على ما نقول غير توجيه نظر القارئ إلى مطالعة ما جاء في مقدمة كتاب «ريلان»، الذي ألفه سنة ١٧٢١م تحت عنوان: «ما هو السبب في أن الناس عامة لا يعرفون من الديانة المحمدية إلا شيئاً يسيراً»؟ حيث يقول: «لو أراد الباحثون أن يصموا مذهباً أو طريقة بوصمة الخزي والعار، نسبوها إلى محمد. فقالوا مذهب محمدي، أو طريقة محمدية.. وهكذا».



وَأَلَّفَ الْقَس «دون مارتينو الفرنسو كيكالدو» كتاباً سماه: «سراج الكنيسة المقدسة الذهبية». جاء فيه: «إن كتاب محمد لا تلزم قراءته، بل يجب أن يُسخر به، وأن يحتقر ويُرمى في النار أُنّى وجَدَ ولا يليق أن يحفظه الناس؛ لأنه عمل بهيمي».

وبعضهم كان لا يقول بحرقه، ولكنه يرى أنه: «من العبث أن يجهد الإنسان نفسه، ويزيد إيلاها بحفظ هزئيات وأمور تافهة منشؤها خيالات شخص اختل عقله، واضطربت قواه».

❁ وأما المسلمون، فمن أسمائهم في تلك الكتب: البلدة، والكسالى، والحمير والجر الوحشية، والممقوتون الذين يملأون المنزل بالنساء في الليل، ويطلقونهن في النهار.

ولو أردت الاطلاع على جعبة الشتائم والسباب، فعليك بكتاب ألفه أحد اليسوعيين، وهو «بروشار»، وسماه «مرشد السياحة». وقدمه إلى الأمير «فيليب روكالو» سنة ١٣٣٢م. وذكر فيه الأسباب التي تحمله على الدعوة إلى حرب صليبية. فقال:



«من ذا الذي لا يذرف عبرات الدمع، عندما يعلم أي الرجال هم قابضون اليوم على تلك البقاع، التي هي ميراثنا، أولئك قوم لا رب لهم، ولا دين يهديهم، ولا شرع يرجعون إليه، ولا عهد، ولا رحمة. أولئك قوم أخساء أدنياء. وهم أعداء لكل حقيقة في الوجود، وكل صفاء، وكل خير، وكل عدل. أولئك هم أعداء الصليب الكافرون بالله المضطهدون للمسيحيين المفرطون

في نسائهم الفاسقون بالأطفال الظالمون لعجم الحيوانات المخالفون لطباع البشر، القتالون للفضائل، المميتون للأخلاق الغارقون في القبايح والخطايا. أولئك هم أولياء الشيطان، وأنصار الدنيا، ذوو حقد وبغض، ذوو أفكار سافلة، وأعمال سخيفة وعيشة دنيئة، وأقوال بذيئة وعشرة سوء معدية. لا تنصرف إرادتهم، ولا تتجه همهم، إلا إلى اللذائذ البهيمية، والمعيشة الهمجية. أولئك هم القوم الذين أبعادونا عن تلك البقاع، وآذونا في هذه البقعة الصغيرة، التي نحن فيها، مستهزئين بنا، وساخرين بديننا. أولئك هم الذين خربوا بيت الله وملكوا المدينة المقدسة، التي هي مهبط شرعنا، ولوثوا أماكنها المقدسة المطهرة».

✍️ ولم يزل هذه الروح سائدة عند المسيحيين، حتى أن المستشرق «بريدو» الإنجليزي ألف سنة ١٧٢٣م كتاباً في سيرة النبي عنوانه: «حياة ذي المدح محمد»، وترجمه بعضهم إلى لغتنا، وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف. فقال: «إن غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحي الحكيم، بذكر حياة ذلك الرجل الشرير محمد».

أولئك تُكاتب ما قصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم - كما يقولون - وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم، أن يُشبعوا خصمهم سباً وشتماً، وأن يُحرّفوا في النقل ما استطاعوا.

❁ وأراد «داماسين» أن يخالفهم في التأليف، لكونه تربى في دمشق الشام، وكان مقرباً عند الحلفاء، فجعل يورد دين الإسلام من غير تعصب، لذلك عدّه بدعة في الديانة المسيحية، تقرب من بدعة «أريوس».

ومع ذلك، فلم تؤثر عبارته في رأي الغربيين، بل ظلوا يعتقدون انحرافات في النبي، وقرآنه، وكان رؤسائهم الروحانيون يجتهدون دائماً في تأييدها وتمكينها من الأذهان، وهي سياسة جعلت الناس عندنا يهزءون بالدين الإسلامي، وأغنت الباباوات عن حربه حرباً صحيحة. فقد كانت الكنيسة اللاتينية في القرن الثامن مشغولة بأمور أخرى؛ لأن الكنيسة الشرقية كانت واقعة بين عاملين مضرين هما: أحزاب النفسين في جسد، وأحزاب النفس الواحدة في جسم واحد.

ولم يبدأ البحث في الإسلام بغير تعصب، ولا تشيع، إلا في زمننا هذا. ففي القرن التاسع عشر، أخذ الباحثون ينظرون إلى المسألة نظر الناقد البصير. وكان من وراء ذلك أن افترق الناس في القرآن إلى معجب به، وطاعن فيه. ومع ذلك، لا نزال نرى في لسان هذا القسم الأخير ما نُشتم منه رائحة تأثرهم بالأفكار

الماضية. قال مسيو «دروختي» في سياحته في بلاد الغرب التي نشرها سنة ١٨٧٨ عن النبي: «إنه عربي خائن دني». وقد نسي أن هذه الألفاظ التي يشتمز منها السامع، لم تعد تصلح اليوم حجة على صحة الدعوى.



❁ وأول ما دار البحث فيه مسألة صدق النبي في رسالته. وقد قلنا: إن ذلك الصدق متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التقريب. ومعلوم أنه لا ارتباط بين هذه المسألة، وبين كون القرآن كتاباً منزلاً من عند الله.



ولسنا نحتاج في إثبات صدق محمد إلى أكثر من إثبات أنه كان مقتنعاً لصحة رسالته وحقيقة نبوته. أما الغرض من تلك الرسالة في الأصل فهو إقامة الإله الواحد مقام عبادة الأوثان، التي كان عليها قبيلته قبل ظهوره.

❁ وبيان ذلك أن إسماعيل لما حنقت عليه سارة، وطُرد من عائلة أبيه، توجه إلى بلاد العرب، ونقل إليها ديانة أبيه إبراهيم، إلا أنه لم يبقَ بين العرب من تلك الديانة سوى شيء قليل، يشبه الخيال؛ إذ لم يكن عندهم من يذكرهم على الدوام بأن رب إبراهيم هو رب عزيز، لا يقبل له شريكاً، كما حصل ذلك لنبي إسرائيل. ولا يزال هذا الاعتقاد يزول شيئاً فشيئاً، وتحل محله عبادة الآلهة، التي كانت معروفة في أمم أخرى حتى نسي دين إسماعيل تماماً.

ثم دخلت اليهودية في بعض القبائل المجاورة لبلاد الشام، ولكن الديانة المسيحية لم تعلق في تلك البقاع حتى أن «تنث» قس بصرة، اعترف في القرن الرابع بأن معيشة العرب الرحالة النقلة، تمنع من انتشار تلك الديانة في بقية جزيرة العرب.

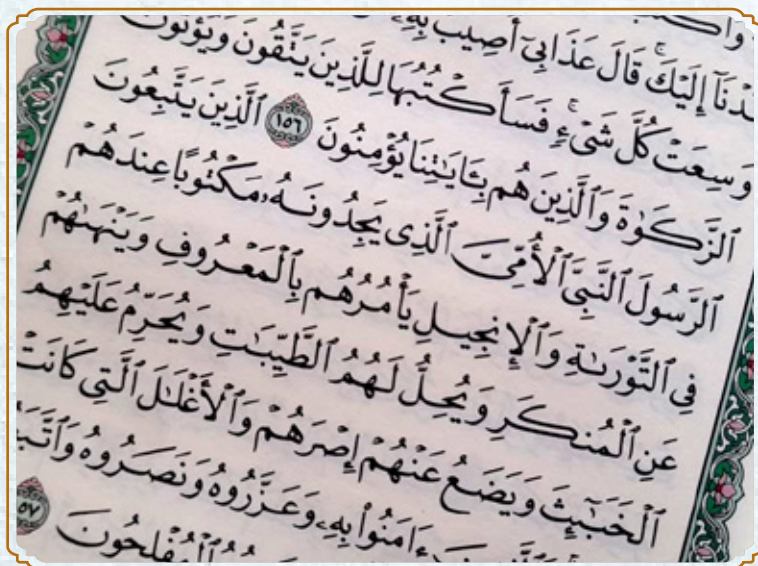
✍ تلك هي حالة الدين ببلاد العرب إلى القرن السابع. وقد بحث فيها الكتاب كل على حسب أمياله وكما اعتقد؛ لذلك تناقضت أقوالهم في اعتبارهم، والحكم على أهلها. فقال مسيو «رينان»: «لا يوجد في تاريخ التمدن كله صورة أجمل من حالة بلاد العرب قبل الإسلام». ومن رأيه أن القبائل في تلك البقاع كانت تدين باليهودية، أو بالدين المسيحي، وكانت مشغلة بحركة دينية عظيمة.

وقال مسيو «بارتيلي سانت هيلير»: «لو صح أن أولئك القوم كانوا على جانب عظيم من التمدن كما يدعون، لما احتاجوا إلى تلك التعاليم الأدبية، التي تقشعر أبداننا لسماعها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣] ومن رأي المؤلف: أن العرب كانت أمة متبريرة في حالة من التوحش، تقرب من حالة العبرانيين أيام بعث فيها موسى بمثل ما تقدم من المحرمات.

❁ ولست أريد الخوض في ترجيح أحد الرأيين، ولكني أرى التوسط في الأمور أقرب إلى الصواب، وأن أمة العرب قبل النبي كانت وثنية على وجه العموم وكان مذهب توحيد الإله يخطر في الأذهان رويداً رويداً. وكان المشخصون لهذا الاعتقاد، فريق يقال لهم «الأحناف»، بقوا على مذهب إبراهيم.

أما المسيحيون فكانوا فرقا كثيرة، كلها تعتقد بمذهب التكثير (تعدد الآلهة والتثليث).

وتلقى محمد مذهب أولئك الأحناف بحالة سطحية، ولكن لما كانت نفس ذلك النبي مفطورة على التشيع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه حتى صار اعتقاداً لم تصل إليه نفس قبله إلا قليلاً، وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي أحدث انقلاباً كلياً في النوع البشري.



❁ ومن الخطأ أن يبحث عن هذا المبدأ العميم فيضه من غير طريقة الأحناف؛ لأن محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مراراً نبياً أمياً. وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه. ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس؛ لأن

حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان. على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين في تلك الأقطار. ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد ذكره «جارسين دي تاسي» في كتابه الذي طُبِع سنة ١٨٧٤م.

❁ وكذلك من الخطأ مع معرفة أخلاق الشرقيين أن يُستدل على معرفة النبي للقراءة والكتابة، باختيار السيدة خديجة رضي الله عنها إياه لمتاجرها في الشام، ويقال: إنه لم تكن خديجة لتعهد إليه أعمالها في التجارة إن كان جاهلاً غير متعلم. فإننا نشاهد بين تجار كل قوم -غير العرب- وكلاء، لا يقرءون، ولا يكتبون، وهم في الغالب أكثرهم أمانة وصدقاً.

✍️ إذن، ثبت مما تقدم أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه، خلافاً لما ذهب إليه «إسكندر ديون» حيث يقول: «إنه كان يعرف في دين عيسى قراءة وكتابة».



نعم، إن البحث عن معرفة المصادر التي عساه يكون تلقى عنها بالمشافهة ديانة المسيح، أو الديانة اليهودية، أو ديانة عباد الكواكب، قد يكون مفيداً لمعرفة الموافقات التي جاءت بين القرآن وبين التوراة، إلا أنه بحث ثانوي؛ إذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضاً من الكتب المقدسة الأخرى لبقى الأمر مشكلاً - كما كان عليه - في معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الديني، وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحاً وجسماً!

ولقد نعلم أن محمداً مرّ بمتاعب كثيرة، وقاسي آلاماً نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالته، فقد خلقه الله ذا نفس تحصت للدين. ومن أجل ذلك، احتاج إلى العزلة عن الناس؛ لكي يهرب من عبادة الأوثان، ومذهب تعدد الآلهة، الذي ابتدعه المسيحيون وكان بغضهما متمكناً من قلبه حتى كان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة في جسمه.



❁ ولكي ينفرد محمد بما ألهم من الفكر العظيم، وهو وحدانية الله، اعتكف في جبل حراء، وأطلق العنان لفكره، يجول في بحار التأملات، عابداً متهجداً. ومضت عليه بهذه الحال ليال من ليالي هاتيك البقاع التي تملأ النفس انشراحاً، حتى جاء عنها في لسان العامة: أن الملائكة يسألون ربهم لو أذن لهم في الهبوط من السماء لقضاء ليلهم على الأرض؛ إعجاباً بجمال الليل فيها؛ وشوقاً إلى صفائه وجلاله.

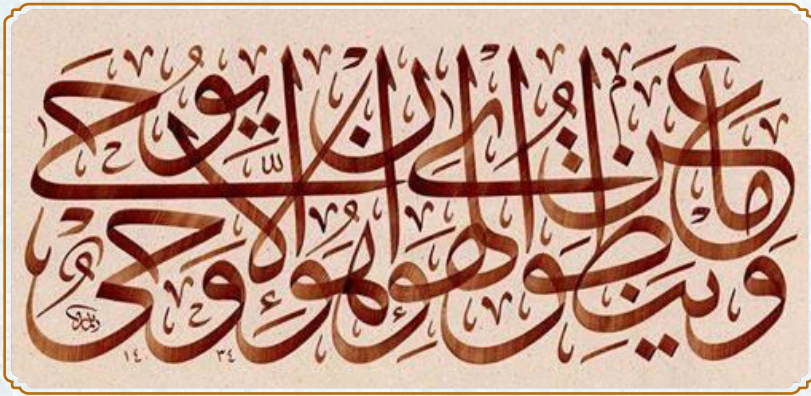
ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيل وقوة الإدراك لا بوضع المقدمات وتعليق النتائج عليها؟

✍ ما كان إلا أن يقول مراراً، ويُعيد تكراراً كلمات: «الله أحد، الله أحد». كلمات ردها المسلمون أجمعون في عهده، ومن بعده، ولكن غاب عنا معشر المسيحيين مغزاها، وذلك لبعدها عن فكرة التوحيد. ولم يزل عقل محمد منشغلاً؛ حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة، جاءت في القرآن، ومنها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

❁ وكانت مترادفات اللغة العربية تساعد محمداً بمعانيها الرقيقة على ترداد ذلك الفكر السامي، الذي دل عليه، ومن تلك الأفكار، وهذه العبادة، تولدت كلمة الإسلام: «لا إله إلا الله».

ذلك هو أصل الاعتقاد بالله بأنه فرد ورب صمد منزّه عن النقائص. وهو اعتقاد يكاد العقل يتصوره. وهذا اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام، ويمتازون به على غيرهم من الشعوب والقبائل وأولئك حقاً هم المؤمنون، كما يسمون به أنفسهم!

ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي محمد من مطالعة التوراة والإنجيل؛ إذ لو قرأ تلك الكتب لردّها؛ لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته، ومخالف لوجدانه منذ خلق؛ فظهر هذا الاعتقاد بواسطته في جزيرة العرب دفعة واحدة، هو أعظم مظهر في حياته، كما أنه بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته، وأمانته في نبوته.



أما مسألة الوحي بالقرآن، فهي أكثر إشكالاً وأكبر تعقيداً؛ لأن الباحثين لم يهتدوا إلى حلها حلاً مرضياً. والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي!

وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات، يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها. وكفى رفيع عباراتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها. وفاضت أعين النجاشي إمبراطور الحبشة بالدموع!

وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ

ساعة خاصة لمقالات قراء المجلة الكرام



٢٥٤

كيف أشرقت الأمة بعد غروب؟
علي جاد المولى



علي جاد المولى

كاتب مصري

غابت الشمس.. فكيف أشرقّت الأمة؟

في ذلك اليوم المشهود كان الصحابة يواجهون أعظم امتحان لصدق إيمانهم:

كيف تستمر الأمة بلا نبي؟ وكيف تسير السفينة بلا قبطان؟

❁ تجلّت الكارثة في عيون عمر بن الخطاب وهو يهتف في ذهول: «إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله مات!»، بينما كان أبو بكر الصديق يخطو خطواته التاريخية نحو المنبر، حاملاً في صوته المرتجف حقيقةً أقسى من الموت نفسه: «ألا من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي «لا يموت»..





لكن المفارقة الكبرى لم تكن في الموت، بل في الحياة التي تلتها. فما إن استقر التراب على القبر النبوي، حتى بدأ الصحابة يكتبون أعظم ملحمة في تاريخ القيادة: تحوّل الأتباع إلى قادة، والمقلدون إلى مجتهدين، والتلاميذ إلى أساتذة.



اليوم، بعد أربعة عشر قرنًا، تعيدنا استشهادات قادة مثل يحيى السنوار إلى نفس السؤال المصيري: هل تموت المشاريع الكبرى بموت أصحابها؟ ولماذا تنهار بعض الحركات بينما تزدهر أخرى بعد فقدان قادتها؟

هذا المقال ليس مجرد سرد تاريخي، بل بحث في سرّ البقاء. من المدينة المنورة إلى غزة، سنرى كيف تتحول لحظة الفقد إلى لحظة ميلاد، وكيف تنتصر الرسالة حين تتحرر من شخصنة القيادة.

● بين الفرد والرسالة: هل تموت المشاريع بموت أصحابها؟

التاريخ يُنشد لنا ملحمتين متقابلتين: ملحمة «المسلّات المصرية» التي صمدت آلاف السنين، وملحمة «تماثيل الرومان» التي سقطت مع سقوط أباطرتها.

نجد أنفسنا هنا أمامنا مشهدين متناقضين حدّ التباين: مشهد مشاريع عظيمة انهارت بانحيار رجالها، وأخرى ازدهرت رغم فقدان رُؤّادها. الفارق الجوهرى بين المشهدين هو بوصلة الانتماء: هل كانت للفرد أم للرسالة؟

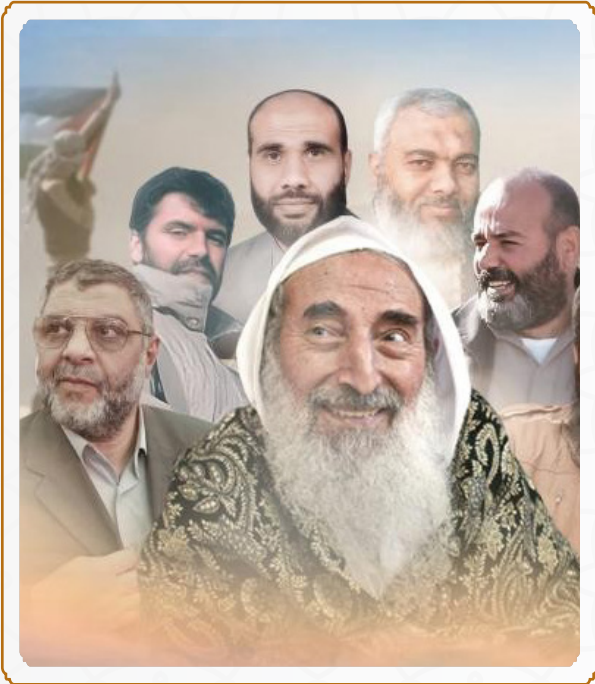
المشاريع التي تتمحور حول القائد وحده، مهما بلغت عبقريته، تشبه الأبراج الشاهقة التي تُبنى على عمود واحد.. يكفي أن يسقط العمود حتى ينهار البناء. قد ينجح القائد صاحب الكاريزما في جمع



الصفوف وتوحيد الجهود، لكنه إن لم يبن مؤسسات، ويُخَرِّج قادة بدائل، فموته يعني كتابة شهادة وفاة المشروع معه. ومن نتائج هذا ما رأيناه في العصر الحديث من انهيار حركات تحرر عربية عديدة بموت قادتها، لأنها اختزلت الوطن في «صوت الزعيم».

أما حين يكون القائد مجرد حاملٍ للرسالة، لا الرسالة نفسها، يصبح غيابه حدثاً مؤلماً لكنه غير قاتل. هنا يتحوّل القائد من كونه «المشروع» إلى كونه «المُلهِم» الذي يُطلق شرارة، ثم يترك للأمة أن تصون النار وتبني حولها المواقد.

لقد أدرك النبي ﷺ أنّ شخصه لن يبقى، لكن رسالته خالدة، فربّى أصحابه على حمل الرسالة لا التعلق به وحده. حين مات، لم يسألوا: «من يملأ مكانه؟» بل سألوا: «كيف نُكمل ما بدأه؟» تلك الفلسفة هي التي حوّلت جيل الصحابة من أتباع إلى صنّاع تاريخ.



❁ وفي واقعنا المعاصر، نرى كيف أنّ حركات مقاومة أو مشاريع دعوية انهارت سريعاً بعد فقدان قائدها لأنها كانت أسيرة شخصه. وفي المقابل، نرى تجارب صمدت، بل واشتدت قوتها، لأنّ قائدها أورشهم خطة، وهيكلاً، وثقافة، لا مجرد خطب حماسية.

هنا يتضح **الدرس**: القيادة الحقيقية ليست لحظة

احتضار فكرة بموت رجل، بل هي لحظة ولادة رجال

من رحم الفكرة.



● عندما تُصنع القيادات من رحم الرسالة



لم يكن النبي ﷺ شمساً تحجب
كواكبها، بل كان قرأً يضيء ليل الأمة حتى
تظهر فيها نجوم القيادة. لقد أدرك أنّ الرسالة
التي نزلت عليه ستبقى بعد رحيله، وأنّ ضمان
بقائها لا يكون إلا برجال ونساء يعرفون
كيف يقودون حين يغيب هو عن المشهد.

انظر إلى معركة مؤتة.. ثلاثة قادة يسقطون الواحد تلو الآخر، ثم يتقدم خالد بن الوليد، الذي لم يكن
حتى من أوائل المهاجرين، ليحمل اللواء وينسحب بالجيش في مناورة أنقذت الموقف. هذه ليست صدفة،
بل ثمرة إعداد جعل أي رجل من الصف الأول أو الثاني قادراً على الإمساك بالراية في لحظة الخطر.

❁ وفي غزوة تبوك، أقام ﷺ في المدينة محمد بن مسلمة حارساً للشغور، وجعل علياً درعاً يحمي البيوت، ووزع
المهام بدقة بين من يسير معه ومن يبقى في الخلف. لقد علمهم أنّ القيادة الحقيقية هي أن تكون غائباً فتشعر
الأمة أنك حاضر في كل موقع.

حتى في الهجرة نفسها، لم يكن كل شيء يدور حول شخص النبي ﷺ، بل كانت هناك عيون ساهرة
(أسماء بنت أبي بكر)، وأقدام تضيء الطريق (عامر بن فهيرة)، وبوصلة تعرف المسالك (عبد الله بن
أريقط). كل حلقة في هذه السلسلة كانت تدرك أنها تحمل جزءاً من مصير الأمة، لا مجرد تنفيذ لأوامر عليا.

كان النبي ﷺ يعلمهم أنّ النصر مشروع جماعي، وأنّ القيادة وظيفة، لا امتيازاً شخصياً.



هذه المدرسة هي التي جعلت أبا بكر يتسلم زمام الأمة في لحظة الصدمة الكبرى، وعمر يقود بعده، وعثمان وعلي من بعدهم.. من غير ارتباك ولا فراغ قيادي. الرسالة صنعت القادة، والقادة حموا الرسالة.



وفي غزة اليوم، تجد صدى هذه المدرسة النبوية واضحاً: استشهاد القادة لا يوقف المعركة، لأنّ الصف الثاني والثالث يعرفون أدوارهم قبل أن تُطلب منهم. السنوار نفسه كان ثمرة هذا الإعداد الطويل، وهو الذي أعدّ غيره ليأتي بعده، بنفس الهدوء، ونفس الإصرار، وكأنّ شيئاً لم يتغير إلا الاسم.

القائد الذي لا يُعدّ غيره، يكتب وصية موته بيده. أما القائد الذي يرى نفسه حلقة في سلسلة، فإنه يبني جداراً لا يسقط بسقوطه.

● الصحابة بعد النبي ﷺ: دولة لا تموت بموت رأسها



✿ حين أُسدل الستر على قبر النبي ﷺ، لم يدخل الصحابة في حدادٍ يشلّ الحركة، بل دخلوا في عملٍ يحمي الرسالة. كان الموقف حرجاً، والمدينة تشتعل بالشائعات، لكن أبا بكر وقف، وكأنه خلق لهذه اللحظة، ليقول كلمته الخالدة التي أعادت العقول إلى رشدها والقلوب إلى ثباتها: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

لم يكتفِ بهذا، بل دعاهم مباشرة لاختيار خليفة، فتمت البيعة له في نفس اليوم، وكأنّ الأمة قالت للعالم: «مات القائد، لكن الدولة حيّة».



لم تتأخر الفتوحات، ولم تغلق الجبهات، بل انطلقت الحملات إلى العراق والشام، وواجهت حروب الردة بعزم لا يلين. لم تكن تلك انطلاقة جديدة، بل استمراراً للمشروع الذي ربّاهم عليه ﷺ: أن الرسالة أكبر من أي إنسان، وأن القائد الحقيقي هو الذي يهَيئ أمته ليوم غيابه.

● متى تموت الحركات؟ هشاشة التنظيم أم غياب الرسالة؟

ليست كل الحركات التي تفقد قائدها تنهض من جديد. بعض المشاريع تشبه الخيام التي يقوم عمودها على رجل واحد؛ فإذا سقط العمود، انهارت الخيمة على من فيها.

❁ في تاريخنا المعاصر، رأينا حركات كانت تملأ السمع والبصر، لكنها ما إن غاب قائدها حتى تحوّلت إلى ذكرى. ليس لأنّ العدو أقوى، بل لأنّ بنيانها كان هشاً؛ القرار في يد شخص واحد، والرؤية لا يعرفها إلا هو، والخطط محفوظة في صدره لا في صدور الرجال.

هذه هي «مركزية القرار» حين تتحول من أداة تنظيمية إلى قيد يكتم المشروع كله. ومعها تأتي آفة «الكاريزما المفرطة»؛ حين تتعلق العيون بالقائد أكثر من الفكرة، وتغدو الطاعة لشخصه لا لرسالة أكبر منه.

حتى في الحركات الإسلامية، وقع هذا الخطأ. كم من جماعة ضاعت بوصلتها بعد غياب المؤسس، لأنّ الرؤية كانت تُحتزل في خطبه واجتماعاته، لا في مؤسسات تُعيد إنتاج القيادة جيلاً بعد جيل. وعلى النقيض، حين تكون الرسالة حاضرة في العقول والقلوب، يصبح غياب القائد حدثاً مؤلماً، لكنه لا يوقف المسير.



إنَّ الرسالة التي لا تُغرس في النفوس، والتنظيم الذي لا يُبنى على الشورى وتوزيع الأدوار، كلاهما يحمل في داخله بذور موته.. ينتظر فقط صدمة الغياب لينهار.

● السنوار... حين تولد القيادة من بين الانقراض



في صباح ذلك اليوم، كانت غزة تودّع عقلها المدبر وقلبها النابض. العالم كله شاهد يحيي السنوار وهو يترجل من ميدان القيادة إلى سبيل الشهداء، وكأنهم كانوا يتوقعون أن تنطفئ شعلة المقاومة مع آخر أنفاسه.

لكن غزة - كعادتها - قلبت التوقعات. لم يكن غياب السنوار نهاية الخطة، بل كان بداية فصل جديد منها. فالقيادة عندهم لا تولد في المكاتب المكيفة، ولا تُصنع بقرارات فوقية، بل تُنحت في الأزقة المهذمة، وتُختبر تحت القصف، وتُصقل في زنازين العدو.

✿ منذ سنوات، بنت حماس بنيتها على مبدأ «القيادة الموزعة»؛ كل قائد يعرف أن يومه قد يأتي في أي لحظة، وكل خلية تملك ما يكفي لتستمر حتى لو انقطعت عن مركز القرار. تماماً كما كان جيش النبي ﷺ في مؤتة وأحد وحُنين، لا يسقط بسقوط القائد الأول، بل ينهض من بين الصفوف من يكمل الراية.

لقد فهمت المقاومة درس السيرة: أن القائد جزء من الرسالة، لكنه ليس الرسالة كلها. ولذلك، كان استشهاد السنوار صدمة، لكنه لم يكن فراغاً. خرج من بين الركام قادة يعرفون الطريق كما يعرفون قائدهم، لأنهم ساروا فيه معه من قبل، لا خلفه فقط.



غزة لم تنتظر «قائداً جديداً» ليأمرها بالثبات.. كانت تعرف أنّ الطريق واحد، وأنّ الدم الذي سال ليس نهاية، بل توقيعاً على استمرار العهد.

● من النبوة إلى النهوض: كيف نُورث القيادة؟



في عالم الإدارة المعاصر، يتحدثون عن «خطة التعاقب القيادي» (Succession Planning) وعن «القائد الذي يصنع قادة» (Leader-Maker)، ويطبقون لها المؤتمرات والبرامج التدريبية، ثم ينفقون المليارات على تطوير «الصف الثاني» من المديرين. لكننا -نحن المسلمين- عرفنا هذا قبل قرون، يوم أسس النبي ﷺ مشروعاً لا يتوقف عند شخصه، بل يمتد في كل من آمن به وحمل رسالته.

❁ النبي ﷺ لم يترك الأمة لتبحث عن خليفة بعد موته بلا استعداد؛ بل كان يعدّهم واحداً واحداً. في بدر وأحد والخندق وتبوك، كان يضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ويفوضه بالصلاحيات الكاملة. وهذا ما يسميه خبراء الإدارة اليوم «تمكين القادة» (Empowerment)؛ أن تمنح الشخص السلطة قبل أن تحتاجه، ليكون جاهزاً حين يغيب من فوقه.

المقاومة في غزة فعلت الشيء نفسه دون أن تحضر دورات في «Harvard Business School».



بنت شبكة قيادة متعددة الطبقات (Multi-layered Leadership)، بحيث إذا استشهد القائد الأول، تولّى الثاني، وإن سقط الثاني، تقدّم الثالث.. تماماً كما أوصى النبي ﷺ في جيش مؤتة: «يأخذ الراية زيد، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة».

الفرق بين المشروع الذي يموت والمشروع الذي يبقى هو هذا: الأول يقدّس الفرد حتى يشلّه غيابه، والثاني يقدّس الفكرة حتى يضاعفها الغياب. في كتب القيادة يسمونها «القيادة المؤسسية» (Institutional Leadership)، وفي لغتنا نسميها: أن تكون الرسالة أكبر من حاملها.



المشاريع الخالدة لا تُبنى على أكتاف القائد، بل على أكتاف المدرسة التي أنشأها. وحين نتجح في توزيع مركز الثقل (Decentralization) على كوادرات تعرف الهدف وتملك الأدوات، نكون قد حولنا موت القائد من نهاية إلى بداية.

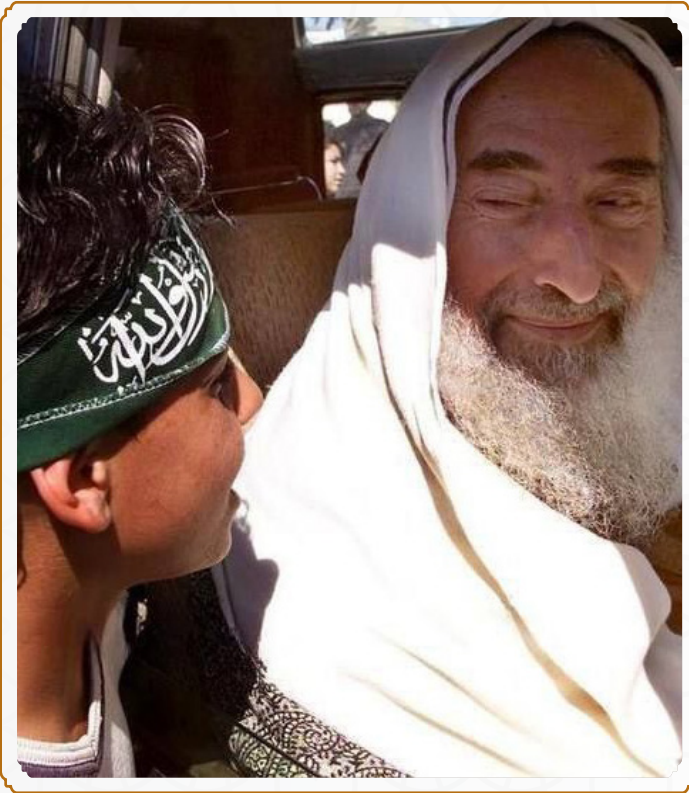
ولهذا، فإن السؤال الحقيقي ليس: هل نحن نملك قائداً عظيماً؟ بل: هل نحن نصنع عشرة عظماء آخرين منه؟

● الخاتمة: لا تموت الأمم... إن لم تمت رسالتها

الأمم لا تُقاس بعمر قادتها، بل بعمر رسالتها. قد يسقط القائد، وقد تغيب الشمس، لكن الفجر لا يعرف أسماء من أشرقت عليهم شمسهم بالأمس.



يوم مات النبي ﷺ، لم تُمُت المدينة، ولم تُطَوَّ راية الإسلام، لأنَّ الراية لم تكن في يد رجل واحد، بل في قلوب أمة بأكملها. ويوم اغتيل يحيى السنوار أمام العالم، لم تتوقف المقاومة، لأنهم صنعوا منه مدرسة لا مجرد شخص، وأودعوا فكرته في صدور رجال ونساء وأطفال يعرفون أنَّ الرسالة لا تُدْفَن مع صاحبها.



المشاريع التي تموت مع أصحابها هي التي بُنيت حول صورتهم، لا حول فكرتهم. أما تلك التي تحيا بعدهم، فهي التي أسست بنية حيّة تتغذى من الفكرة وتتكيف مع الزمن، فتظل تتجدد كما يتجدد النهر، مهما تغيرت مجاريه.

❁ إِنَّ سرَّ البقاء ليس أن نحيا مع قائدنا، بل أن نحيا برسالته من بعده. وحين نصنع جيلاً يرى في نفسه حاملاً للراية، لا تابعاً لها، نكون قد كتبنا للأمة عمراً آخر.

فالراية التي رُفعت في بدر، وحُملت في مؤتة، ورفرفت فوق خيبر، ومرّت من يد أبي بكر إلى عمر، ومن جيل الصحابة إلى جيل المقاومة، لا تسقط بموت رجل.. بل تسقط فقط إذا ماتت في القلوب.

رئيس الهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
أ. محمد الهاجي

السنة الرابعة العدد ٤٠

سبتمبر ٢٠٢٥ ربيع الأول ١٤٤٧

